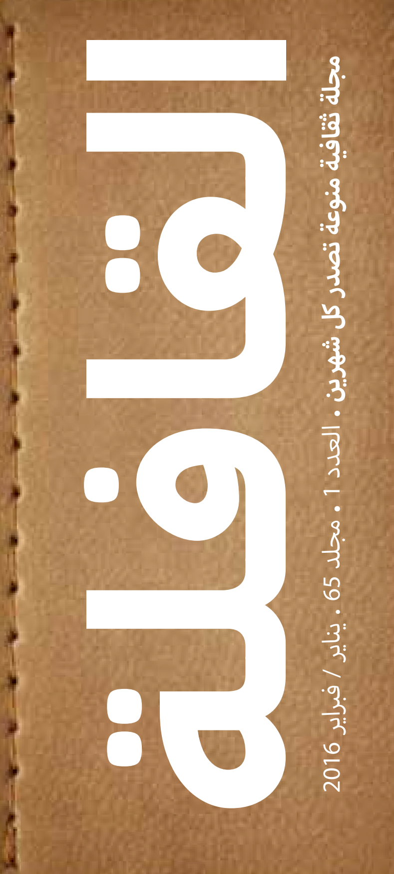

القافلة
مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين • العدد 1 • مجلد 65 • يناير / فبراير 2016

القافلة

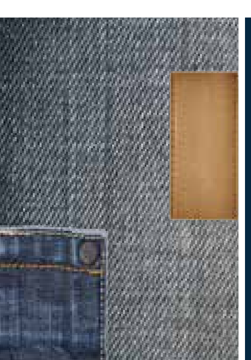
مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين
العدد 1 • مجلد 65
يناير / فبراير 2016

توزع مجاناً للمشتركين
• العنوان: أرامكو السعودية
ص.ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية

• البريد الإلكتروني:
alqafilah@aramco.com.sa

• الموقع الإلكتروني:
www.qafilah.com

• الهواتف:
فريق التحرير: 0175 876 13 966+
الاشتراكات: 0477 876 13 966+
فاكس: 0303 876 13 966+



هذا الغلاف | أن تخصِّص القافلة ملفها في هذا العدد لسروال الجينز، وأن تخصه بصورة الغلاف، فالأمر لا يعود إلى الاحتفاء بطراز معيَّن من الملابس، بل بما يقف وراء رواجه، ألا وهو مفهوم الابتكار وظروف نجاحه، وتبني العالم له. إذ من المسلَّم به أن سروال الجينز هو واحد من أضخم ابتكارات الحياة المعاصرة.
تصميم الغلاف: حنين جمال



الناشر
شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
أمين بن حسن الناصر

نائب الرئيس لشؤون أرامكو السعودية
ناصر بن عبدالرزاق النفيسي

مدير عام دائرة الشؤون العامة
عبدالله بن عيسى العيسى

رئيس التحرير
محمد الدميني

تصميم وتحرير



www.mohtaraf.com

طباعة
شركة مطابع التريكي
www.altraiki.com

ردمد ISSN 1319-0547

محتوى العدد

الرحلة معاً

المحطة الأولى

علوم وطاقة

حياتنا اليوم

أدب وفنون

التقرير

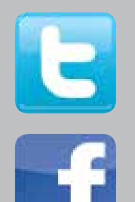
الملف

Qafilah App available at







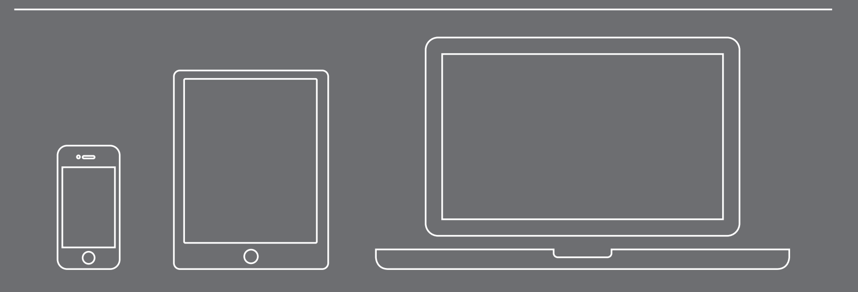


@QafilahMagazine

القافلة أونلاين



www.qafilah.com





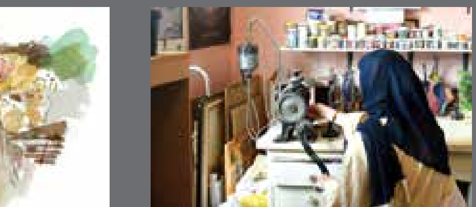
نقاش مفتوح | تشكِّل معارض الكتب مناسبات لاستطلاع أحوال الكتاب «بالجملة»، وهو ما تكون الصحافة الثقافية قد قامت به «بالمفرَّق». وعلى الرغم من الطابع السلبي الذي غالباً ما يميِّز العناوين التي تتناول حال الكتاب العربي، تبدو معارض الكتب ذات حيوية تناقض سوء الأحوال التي يشكو منها الكثيرون. فهل هذه المعارض هي الدواء؟



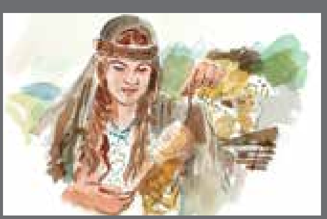
عين وعدسة | يمكن للتكوينات الصخرية في البراري أن تتخذ أشكالاً جميلة إلى حـدٍّ يدفع الحكومات في بعض الدول إلى إعلانها محميات طبيعية، أو حدائق صخور، أو متاحف صخور.. ومن دون أن نتقصّد البحث عن مثل هذه «المتاحف»، وجدنا أنفسنا فجأة أمام أحدها في محيط مدينة روافة في شمال المملكة.



علوم | نعيش اليوم في عالم يحتل فيه البلاستيك مكانة مهمة بدءاً بتغليف الأطعمة إلى أكياس التسوق وغيرها الكثير. ولكن، من جهة أخرى، فإن البلاستيك هو عنوان مشكلة بيئية معروفة، بسبب صعوبات التخلص منه بعد الاستعمال. ولكن ماذا لو ظهر بلاستيك قابل للتحلل الطبيعي؟ هذا ما حصل فعلاً.



فرشاة وإزميل | قلائل جداً هم الفنانون العرب الذين يحترفون اليوم فن المينا مقارنة بالرسامين والنحاتين ومن شابههم.. فللمينا، فن الرسم على المعادن، تقنياته الخاصة التي ينفرد بها، ومستلزمات لا يشترك فيها مع باقي الفنون، وربما كان في طليعتها الموهبة، والمزاج الشخصي الذي يميل إليه من بين كل الفنون، نظراً لصعوبة العمل فيه.



أدب | ينقسم الأدب الكردي إلى أدب شعبي وأدب مدوَّن. وكان الأدب الشعبي الكردي شفهياً، ينتقل من جيل إلى جيل عبر الرواة والمغنين الذين كان لهم الفضل الأكبر في الحفاظ عليه من الضياع وتمريره للأجيال، على رغم معاناة الشعب الكردي من الأمية طويلاً، وعيشه حياةَ البداوة والترحال بين جبال كردستان وسط طبيعة وظروف مناخية صعبة.

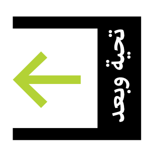


الملف | ما هو هذا اللباس الذي تراه هو نفسه ملائماً إذا كنت للعمل على زراعة الحديقة أو إصلاح السيارة، وأيضاً للذهاب إلى السوق ولحضور مباراة رياضية في الملعب ولقاء الأصدقاء في المقهى أو تلبية دعوتهم لتناول العشاء.. وحتى الذهاب به إلى مكتبك للعمل؟. ففي كل مكان ومهما كانت المناسبة، الجينز مرشّح لكي يكون اللباس.



مِن رئيس التحرير

في بيت العرب الكبير



اختار منظِّمو مؤتمر «فكر 14» هذا العام عقد ورش العمل والجلسات في مبنى جامعة الدول العربية احتفاءً بمناسبة الذكرى السبعين لقيام هذه المؤسسة العريقة.

لا بد أن الجامعة التي كُتب ميثاقها عام 1945م، ووقَّعته أغلب الدول العربية المستقلة آنذاك كانت، بمقاييس تلك الأيام، مبنًى فارهاً يطل على النيل، وتحيط به المساحات الخالية والحدائق من جميع جهاته، لكنه اليوم يفاجىء زائره بصغره وضيق إمكاناته وخاصة التقنية منها، لكن هويته المعمارية وما شهده من فصول مفصلية في السياسة والاقتصاد والأمن يبقيه حياً في ذاكرة وأذهان الجميع ويجعله رمزياً: «بيت العرب الكبير» رغم أية إخفاقات لازمت هذا البيت، أو تحديات خاضها. وقد أحسن المؤتمر بتوزيع نسخ زنكوغرافية للميثاق موشًّى بتواقيع رجالات ذلك العهد، وهو الوثيقة التي تنص مادتها الثانية على: توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها.

انعقد مؤتمر هذا العام تحت شعار قديم يتجدد، هو : «التكامل العربي: تجارب، تحديات، وآفاق» وفيما كان المتابع يتمنى أن تكون الجامعة خلال سبعينيتها الأولى قد رسَّخت أركان هذا التكامل، وأجابت عن أسئلة الهوية العربية، ووحّدت اقتصاديات الدول العربية، وارتقت ببيئتها التعليمية والعلمية، فإن ما تحقّق عربياً لم يكن بمستوى المأمول، بل إن الإخفاق الذي خالط بعض قراراتها قد أدى إلى تفكّك سياسي واقتصادي تدفع الشعوب العربية ثمنه على حساب تنميتها واستقرارها وصناعة مستقبلها.

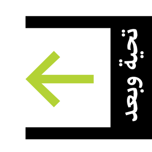
الأجواء العربية الغائمة لم تفارق أجواء المؤتمر، ولعل هذا بعض ملامحه الشفّافة، فقد تناولت كلمة الرئيس المصري، عبدالفتاح السيسي التحديات التي يمرّ بها الوطن العربي مشيراً إلى أنها لم تعد مشكلات، بل تشكل تهديداً وجودياً مباشراً لكيانات تلك الدول ومقدّرات شعوبها، مما يتطلب ضرورة الحفاظ على وحدة التراب الوطني وتفعيل النظام الإقليمي كإطار منظّم للاتفاقيات العربية.

من جهته رأى سمو الأمير خالد الفيصل أننا نعيش حال عدم استقرار نفسي واضطراب فكري، وحتى عقائدي، وأننا نسينا المواطنة أمام ظهور التيارات الإسلامية المتطرفة، لافتاً إلى أننا أصبحنا شعوباً وحكومات نستدعي الآخرين ليتدخلوا في شؤوننا ويفرضوا علينا حلولهم.

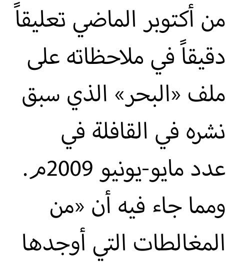
إذا كان المؤتمر قد أصغى لكلمات القادة، فهو احتفى أيضاً بالطاقات الشابة المبدعة التي تنخرط موسمياً في ورش عمل تدريبية تعالج مسائل كثيرة بينها مهارات التواصل، واختلاف الثقافات، وتنمية بيئات العمل، وتطوير البنى التعليمية، وتعميق ثقافة الحوار والتسامح والمواطنة. وكان للروح الحيوية والخلاقة التي يتمتع بها الشباب والشابات خلال مداخلاتهم في الجلسات الرسمية والورش أو من خلال الجوائز التشجيعية التي يحصدونها دور واضح في صناعة أمل جديد يكون جناحاه العلم والمعرفة.

من بين أجمل ملامح المؤتمر إصدار التقرير السنوي للتنمية الثقافية الذي يدرس كل سنة معضلة عربية حية، ويكتب أبحاثها نخبة من المتخصصين والباحثين، بالإضافة إلى تقرير سنوي يترجم عن الفرنسية عن أحوال العالم خلال سنة مقبلة، وبضعة كتب في السياسة والاقتصاد والعلاقات الدولية.

المؤتمر ثري بأعماله وأفكاره وطموحاته، ويبقى على صنَّاع القرار تحويل تلك الأفكار إلى خطط عملية يلمسها ويتفاعل معها المواطن العربي رغم كل الأزمات التي تعصف به.



تعتز القافلة بأن تكون أعدادها التي صدرت منذ سنوات، لا تزال مثار اهتمام القرَّاء، وكأن موادها لا تشيخ بمرور الزمن. وهذا ما نتلمسه يومياً في رصدنا لتعليقات القرَّاء على الموقع الإلكتروني للمجلة.



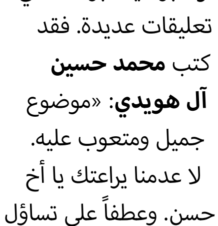
فعلى سبيل المثال، كتب **حمود الغيلاني** في الثالث من أكتوبر الماضي تعليقاً دقيقاً في ملاحظاته على ملف «البحر» الذي سبق نشره في القافلة في عدد مايو-يونيو 2009م. ومما جاء فيه أن «من المغالطات التي أوجدها الغربيون، وسار على نهجهم بعض الكتَّاب العرب، إطلاق اسم (داو) على السفن في عُمان والخليج العربي. بينما هو اسم لنوع من السفن الهندية». كما انتقد في تعليقه المقارنة ما بين أحمد بن ماجد وماركوبولو، «فالأول نوخذة معلم ومؤلف، والثاني مجرد قبطان رحَّال..» مرتئياً أن هذه المقارنة لا تجوز.



ومن التعليقات الأخرى على أعداد سابقة نذكر على سبيل المثال واحداً لـ **معتز بغداد** وافانا به مؤخراً حول ملف «المظلة» المنشور في عدد سبتمبر-أكتوبر 2012م، ويقول فيه: «لم أقرأ منذ سنين مقالاً ممتعاً كهذا، خصب المادة ورائع الصياغة الأدبية. أشكر الكاتبة والمجلة».

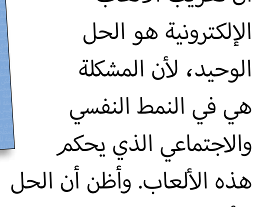


وحول المواضيع الأحدث نسبياً، عبَّر **محمود عبدالمجيد** عن رأيه في موضوع «غوغل.. بيئة مثالية للابتكار»، قائلاً: «موضوع رائع جداً، ومن أجمل ما قرأت في القافلة. أعتقد أن بيئة العمل الفريدة في غوغل هي واحد من أسرار نجاحاتها الكبيرة. ولو عملت الشركات العربية الكبرى وفق هذا النهج لأصبحت أكثر ريادة وابتكاراً».



وأثار موضوع «حياة من السيليكون» المنشور في القسم العلمي من عددها نوفمبر-ديسمبر الماضي تعليقات عديدة. فقد كتب **محمد حسين آل هويدي**: «موضوع جميل ومتعوب عليه. لا عدمنا يراعتك يا أخ حسن. وعطفاً على تساؤل الأستاذ حسين الوباري، فإن الحياة الذكية تفترض وجود حياة بسيطة وبدائية تسبقها. ولذلك يبقى الترجيح دائماً في صفّ الحياة البسيطة».

وكان **حسين الوباري** قد عقَّب على الموضوع نفسه قائلاً: «مع وجود 100 مليار مجرة في الكون فإن شكلاً من أشكال الحياة الكربونية أو السيليكونية قد يكون محتملاً، ولكن السؤال هو: هل هي حياة ذكية أم بسيطة؟».



وحول موضوع «الفصحى بين إزميل العولمة ومفاتيح الكيبورد»، كتب **فلاح العتيبي:** «لا أظن أن تعريب الألعاب الإلكترونية هو الحل الوحيد، لأن المشكلة هي في النمط النفسي والاجتماعي الذي يحكم هذه الألعاب. وأظن أن الحل الأمثل هو دفع النشء الجديد إلى استخدام العربية، واعتبار فهمها وحسن استخدامها والتحدث بها من شروط التقدم لأي عمل».

وكتب **ساعد غويني** يقول: «لقد أتعبتموني بمجلتكم الرائعة هذه، وأجبرتموني على قراءتها كاملة.. فما من عدد أراه عند صديق إلا وتملكني الذهول لجودة مواضيعها التي تضطرك إلى الوقوف عندها وقراءتها والاستفادة منها.. شكراً لكم على هذا الصرح العربي الذي يبدِّد هذه العتمة والظلام الحالك».

ومع شكرنا للأخ ساعد على عاطفته، نقول له: «لا داعي بعد اليوم لأن تطلع على القافلة عند صديقك. أرسل لنا عنوانك البريدي، وسيسرنا أن نضع اسمك ضمن قائمة المشتركين».

المشتركون الجدد

الأخوة: الدكتور ياسر إبراهيم الخليفي، الرياض؛ صباح محسن جاسم، العراق؛ محمد عبدالله العتيق، المذنب؛ جاسم أيوب، البحرين؛ أمل عبدالرحمن ناضرين، جدة؛ الدكتور الحسين محمد آل عواض، الرياض؛ حسن عبدالله العلي، المبرز؛ هاني بن جابر النجار، الأحساء؛ الدكتور محمد عبداللطيف عيد حامد، مصر؛ محمد بن عبدالله الشهري، الظهران؛
وصلتنا رسائلكم، وأحلنا عناوينكم وما طرأ على بعضها من تعديلات إلى قسم الاشتراكات، وستصلكم أعداد القافلة تباعاً بإذن الله.

على شاطئ البحر

على شاطئ البحر ألقيت هما
وأغرقت في الماء حزناً وغما

وداعبت إشعاع شمس الصباح
بجلد تلبسه الدهر سقما

تركت على الرمل إيقاع رقصي
يغني حكاياه للروح نغما

به سلم الدو ريمي فا سولاسي
بيات الصبا للنهاوند يظما

ودالي يترجمها للحيارى
جنوناً يسربله الفكر رسما

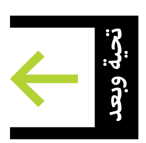
بموج يدغدغني حين يعتو
طبعت ابتسامة شكري ختما

يشاركني الملح لهوي فيبقى
إذا عاد للبحر ملقيه قدما

إذا اسمرَّ لوني فلا تسألوني
بتبديل لوني أقارفت جرما

وهل كان ظلي على الأرض مثلي
يرافقني سائحاً مستجما

شعر: محمد الزاير



عشرة أمور لا يكررها الأشخاص الناجحون

كلنا نرتكب الأخطاء ولكن الأشخاص الذين يتعلَّمون من أخطائهم هم الناجحون حقاً. لقد اكتشف الدكتور هنري كلاود مؤلف كتاب «عشرة أمور لا يكررها الأشخاص الناجحون» أن هؤلاء لا يكرِّرون ولا يتعاملون مع الأمور التي تؤدي إلى الفشل بالطريقة نفسها، وإنما يغيِّرون طرق تعاملهم معها، حتى ينجحوا فيها سواء أكان ذلك في العمل أو العلاقات الإنسانية أو في أي من أمور الحياة.

بدأ الدكتور هنري بدراسة تصرفات أنجح الأشخاص، وخلص إلى أن هناك عشرة أمور لا يكررها هؤلاء، وهي:

1 - لا يرجعون إلى ممارسة الطرق التي لا تؤدي إلى النجاح، سواء في العمل أو في أي من الأمور الحياتية الأخرى، وإنما يحاولون دائماً تغيير طرقهم حتى يصلوا إلى النجاح في الأمور التي فشلوا فيها سابقاً.

2 - لا ينفِّذون الأمور التي تتطلب منهم أن يكونوا عكس شخصيتهم وقناعاتهم، فهم دائماً يتساءلون: «لماذا أنا أفعل هذا الأمر؟ هل أنا الأنسب لهذا العمل؟ هل يناسبني؟». إذا كان الجواب «لا» عن أي من هذه الأسئلة فإنهم يتجنبون المضي فيها.

3 - لا يحاولون تغيير الآخرين. فعندما تلاحظ أنك لا تستطيع أن تجبر شخصاً على أن يفعل شيئاً، فإنك تعطيه الحرية وتسمح له أن يكتشف عواقب اختياره، وبذلك تنال أنت أيضاً حريتك.

4 - لا يعتقدون أن عليهم إرضاء الجميع، فهم يعلمون أن هذا الأمر مستحيل؛ لذلك هم يعيشون في راحة ورغد من العيش.

5 - متى علم الأشخاص الناجحون أن الأمر الذي يريدون تحقيقه يتطلب خطوة مؤلمة على المدى القصير، فإنهم لا يمانعون في اتخاذ هذه الخطوة المؤلمة؛ لأنها ستثمر بفائدة على المدى الطويل، وهو واحد من أهم الأمور التي تفرق بين الأشخاص الناجحين وغيرهم سواء على الصعيد المهني أو الشخصي.

6 - الأشخاص الناجحون لا ينشدون الكمال في موظفيهم أو أصدقائهم أو الشركات التي يتعاملون معها، فهم يعلمون يقيناً أنه لا يوجد إنسان أو سياسة ليس بها نقص أو عيب أو حتى أخطاء.

7 - الناجحون لا يغفلون عن رؤية الأمور من المنظور الشامل ومن كل الجوانب.

8 - هم لا يهملون النظر إلى الأمور من المنظورين الخارجي والداخلي معاً. ولا يكتفون بالحُكم على الأمور من المنظور الخارجي فقط.

9 - أحد أهم الفوارق بين الأشخاص الناجحين وغيرهم، هو أنهم يسألون أنفسهم ما هو دورهم في كل أمور الحياة سواء المهنية أو الشخصية. ولا ينظرون أبداً إلى أنفسهم على أنهم ضحية.

10 - لا يتناسون أن أعماقهم الداخلية تحدِّد نجاحهم الخارجي. فالحياة الجيدة عادة لا تؤثر كثيراً في الأمور الخارجية فنحن سعداء بحسب شخصياتنا من الداخل.

إن الكل يرتكب الأخطاء، حتى أكثر الناس نجاحاً، ولكن ما يجعل الأشخاص المنجزين ينجحون أكثر من غيرهم في الحياة هو حقيقة أنهم يتعرفون إلى ما هي أسباب الأخطاء فلا يعيدونها مرة أخرى. باختصار، إنهم يتعلمون من أخطائهم وأخطاء الآخرين.

ومن الأمور التي يجب أن نتذكرها دائماً أنه لا يمكن تجنب الأخطاء، فهي تقع، ولكن يمكن تجنب تكرار الأخطاء نفسها وذلك بالعمل وفق طرق غير تلك التي أدت إلى الخطأ.

صلاح النعيمي
الظهران

إنها ثقافة التبرع التي نفتقدها

قرأت في العدد الأخير من «القافلة» تحقيقاً قيِّماً كتبه محمد أبو المكارم وفايز البيشي حول «المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي»، واستوقفتني الفقرة التي يتحدَّث فيها الكاتبان عن ركن التاريخ العربي والإسلامي، وفقره بالمعروضات، وتساؤل الكاتبين حول أسباب هذا الفقر.

والحقيقة أن السبب يكمن في كون معظم مجموعات هذا المتحف، كما هو الحال في غيره من المتاحف الأمريكية، وحتى الأوروبية، قد تشكَّلت من تبرعات أفراد، فضَّلوا وضع ما يملكونه بين أيدي مجتمعاتهم، لا الاحتفاظ بها في خزائنهم وقصورهم الخاصة.

إنَّ من يتفحَّص نوعية التبرعات التي يقدِّمها الغربيون، والأمريكيون بشكل خاص، سيصاب حتماً بالدهشة من الحدود التي يمكن أن يذهب إليها سخاؤهم. فالصائغ الشهير هاري ونستون، على سبيل المثال، تبرَّع بأكبر ماسة زرقاء في العالم لمتحف «سميثونيان»، الذي قام أساساً في القرن التاسع عشر على تبرع بالنقد وبكنز من الحجارة من العالِم البريطاني جيمس سميسون. ومن يزور هذا المتحف اليوم، يكتشف أن معظم ما فيه قد أتى عن طريق التبرعات..

الأمر نفسه ينطبق على متحف «ناشيونال غاليري» في واشنطن، الذي تمكَّن في أقل من قرن واحد من الزمن من تشكيل مجموعة من أعمال كبار الفنانين العالميين تنافس أكبر المتاحف الأوروبية في أهميتها، بما فيها مجموعة أندرو ميلون الشهير التي يستحيل تقديرها بثمن.

ولكي نختصر، نكتفي بالعودة إلى الأمس القريب، إلى عام 2013م، عندما نشرت وسائل الإعلام في العالم بأسره خبر تبرع رجل الأعمال الأمريكي ليونارد لودر بمجموعته من اللوحات التكعيبية التي تقدَّر قيمتها بنحو 1.1 مليار دولار، لمتحف الفن الحديث في نيويورك.

فهل ثقافة التبرع هذه موجودة عندنا في البلاد العربية، وعلى هذا المستوى؟

ما الذي يمنع كبار الأثرياء العرب الذين يمتلكون كنوزاً حقيقية من التحف الفنية العربية والإسلامية من التبرع بها أو حتى إعادتها للمتاحف، بدلاً من الاحتفاظ بها، حيث لا وظيفة لها غير تأكيد المكانة الاجتماعية لصاحبها، و«تفوقه» على محيطه المباشر؟

إن مجموعة الفن الإسلامي في متحف المتروبوليتان في نيويورك، تأسست بشكل رئيس عام 1891م بفضل قيام رجل الأعمال إدوار مور بوهب مجموعته من التحف الإسلامية لهذا المتحف. ومنذ ذلك الحين وهذه المجموعة تكبر باستمرار بفضل الهِبَات والتبرعات.

باختصار، فإن الأمريكيين يقومون بأكثر مما هو مطلوب منهم في نشر ثقافات الآخرين والتعريف بها، وإذا كان هناك من فقر في بعض الزوايا يتعلَّق بنا، فعلينا أن نحذو حذوهم لمعالجته.

عبدالله العطوي
الرياض



جلسة نقاش على هامش معرض جدة للكتاب

معارض الكتاب ومتاعبها

تشكِّل معارض الكتب مناسبات لاستطلاع أحوال الكتاب «بالجملة»، وهو ما تكون الصحافة الثقافية قد قامت به «بالمفرَّق» من حين إلى آخر. أزمة قراءة، أزمة تأليف، ضعف التوزيع، مسألة الحقوق.. إلخ. وعلى الرغم من الطابع السلبي الذي غالباً ما يميِّز العناوين التي تتناول حال الكتاب العربي، تبدو معارض الكتب ذات حيوية تناقض - ظاهرياً على الأقل - سوء الأحوال التي يشكو منها كثيرون. فهل هذه المعارض هي الدواء؟

تغطية **عمر المضواحي**
تصوير **صالح الذبياني**



على هامش معرض الكتاب الذي أقيم مؤخراً في جدة، عقدت القافلة جلسة نقاش مفتوح تناولت بعض أوجه حال الكتاب العربي وما طرأ عليه من تحولات في السنوات الأخيرة. وشارك فيها عدد من المتخصصين في صناعة الكتاب تأليفاً وطباعة ونشراً وتسويقاً، كما شارك فيها عدد من الزملاء الإعلاميين والمهتمين بشؤون الكتاب.

أدار هذه الجلسة صديق القافلة الزميل عمر المضواحي - يرحمه الله - وبكفاءته المعهودة بدأ العمل على تحرير مجرياتها، ولكن القدر لم يمهله حتى يُكمل مهمته، فاضطر فريق التحرير، وهو يغالب حزنه، أن ينوب عنه في ذلك.

بدأت الجلسة بكلمة للمضواحي أشار فيها إلى أن الحضور مدعو لمناقشة «مجموعة محاور لمناسبة عودة معرض الكتاب إلى جدة بعد توقف دام لأكثر من سنوات عشر. إذ تغيَّرت صناعة الكتاب التقليدية خلال السنوات الماضية. حيث ظهر الكتاب الرقمي والسمعي، ومعارض الكتاب نفسها تحولت إلى ما يشبه المنتجعات، تذهب إليها مع عائلتك وكأنك تقصد مكاناً للاستمتاع فيه. إذ باتت هناك فعاليات مرافقة وأمسيات وندوات فكرية وشعرية.. ووسط كل هذا هناك المنتج المُحتفى به، الذي لم يعد يقتصر على الكتاب الورقي التقليدي، فبجواره هناك أدوات إلكترونية، وعروض تحميل 10 آلاف كتاب على جهاز معيَّن.. وكل هذا بات متوفراً في معرض جدة للكتاب». ولذا، كانت البداية بتناول معارض الكتب وتقييم ما باتت تمثله اليوم.

معارض الكتاب ومتاعب تسويقية

يقول الأستاذ عبدالعزيز الغامدي، المدير التنفيذي لمطابع «السروات»: «لزيارة معارض الكتب نكهة خاصة تختلف من شخص إلى آخر، نظراً لتنوع المعروضات. ترى فيها القرَّاء يتفحصون الكتب، ويتلمسون حاجتهم إليها، كما ترى أن كل ما تحتويه هذه المعارض له من يهتم به دون الآخرين. والمجتمع الذي نتهمه اليوم بالعزوف عن القراءة، سيعود إليها وإن بنمط مختلف بفعل المنافسة والمغريات الحديثة الأخرى. فالكتاب بشكله العام وخاماته التي طُبع عليها ومحتواه العلمي أو الأدبي، يختلف تماماً عن معظم ما تعرضه الأجهزة الحديثة للقراءة».

وأضاف: «إننا عندما نخرج من قاعات المعرض، غالباً ما نكون منبهرين بما رأيناه من مظاهر الاهتمام بالكتاب على الوجوه، وتطلعها إلى امتلاك أكبر عدد منها. وهذا ما يميِّز الكتاب ومعارضه عن غيره من المعارض المختلفة. فحاجة الإنسان إلى المعرفة لا تقف عند حد».

وهنا طرح المضواحي سؤالاً حول مكمن مشكلة الكتاب العربي طالما أن معارض الكتاب تلقى مثل هذا الإقبال الكبير عليها؟

وعن هذا السؤال أجاب الأستاذ ماهر الكيالي صاحب «المؤسسة العربية للدراسات والنشر» بقوله: «المشكلة هي في تسويق الكتاب. والتسويق ليس مهمة الناشر، الذي يجب أن يعطيه إلى جهة تتولى أمر توزيعه. لكن، مع الأسف، بات على الناشر أن يقوم بكل شيء. فنحن نقيِّم الكتاب ونطبعه ونعلن عنه.. ولذلك أصبحت المعارض وسيلتنا إلى التسويق، وهذه حالة غير موجودة في الغرب، حيث تتولى شركات التوزيع هذه المهمة باعتبار الكتاب سلعة تسويقية».

وعقَّب على موضوع التسويق السيد عطاء رسولي، المتخصص في التسويق والرئيس التنفيذي لـ «عطاء الرسالة»، قائلاً: «التسويق هو الأهم في كل المجالات، وخاصة في عالم الكتاب بوصفه سلعة. أما نحن فمشكلتنا ليست مع الناشر أو الكاتب، بل هي مع المجتمع ومفهوم القراءة لديه. ونرى أن أغلب الجهود التسويقية يجب أن تحوَّل إلى الإعلام. فبإمكان الإعلام الوصول إلى الشريحة المستهدفة. فنحن، على سبيل المثال، نستهدف الإعلاميين من خلال تويتر وإنستجرام لإيصال رسالتنا ومنتجنا إلى الشريحة التي نستهدفها بهذا الكتاب أو ذاك».



الغامدي: لزيارة معارض الكتب نكهة خاصة!

المجتمع الذي نتهمه اليوم بالعزوف عن القراءة، سيعود إليها وإن كان بنمط مختلف..

الكيالي: مشكلة في تسويق الكتاب!

بات على الناشر أن يقوم بكل شيء. فنحن نقيِّم الكتاب ونطبعه ونعلن عنه..

أما السيدة شيماء يماني المتخصصة في قطاع الأعمال والتسويق، فقد أضافت إلى ضعف دور الإعلام في مساعدة الناس على الوصول إلى الكتاب ومعارضه، تأخر الكتاب العربي عن اللحاق بإيقاع الحياة المتسارع في عصر المعلومات الرقمية.. ولفتت إلى أن هذا الضعف هو ما يجعل الناس تميل أكثر لتعلم اللغات الأخرى من أجل القراءة والوصول إلى المعلومات التي تهمها.

ورداً عن سؤال حول الدور الذي يلعبه ثمن الكتاب والحسومات عليه في المعارض، قال الكيالي: إن الكتب تُباع في المعارض بأسعار يمكننا أن نصفها بالتعبير العامي «بين بين»، أي متوسطة. ففي الأحوال العادية، نعطي نحن الناشرين المكتبات حسومات تصل إلى 50 في المئة من السعر على الغلاف. ولكننا في المعارض غير مضطرين إلى ذلك. لأن هناك مصاريف كبيرة تواجهنا. فنحن ندفع على سبيل المثال أربعة آلاف دولار بدل إيجار جناح مساحته 24 متراً مربعاً. وهو مبلغ كبير، تضاف إليه تكاليف السفر والشحن والإقامة وغير ذلك..

ولدى سؤاله حول موقفه كناشر من تكاثر المعارض، وما إذا كان يهمه أن يشارك فيها كلها، خاصة وأن المنطقة الشرقية تطالب الآن بمعرض فيها، قال الكيالي: «نحن من جهتنا نرحِّب بذلك. ولكن يجب أن يكون هناك تنظيم وتنسيق. فكثرة المعارض وتداخل بعضها بالبعض الآخر يُرهق الناشر من ناحية اختيار العناوين التي يجب أن يشارك فيها هنا أو هناك، وأيضاً التنظيم والإشراف وتجهيز الكتب وشحنها وغير ذلك».



وفي الشأن نفسه قال الباحث محمد الفضلي:
من خلال رحلاتنا في البحث عن الكتب، لاحظنا أن المعارض توفر الأحدث والكتب النادرة التي لا تتوافر كلها في المكتبات حتى الكبيرة منها. فالفترة الزمنية المحددة لمعارض الكتاب، والتنافس القوي، يفرضان على الدور عرض كثير من العناوين غير تلك الرائجة في المكتبات.

وفي البحث عن الكتاب المتوافر بسهولة، قال الكاتب الصحافي حسن شعيب إنه بدأ السفر للبحث



رسولي: التسويق يجب أن يُحوَّل إلى الإعلام!

مشكلتنا ليست مع الناشر أو الكاتب، بل هي مع المجتمع ومفهوم القراءة لديه...

المعارض السعودية تفوقت على غيرها

والمكتبات العصرية هي الضلع الأهم و.. الأسوأ



حالت ظروف خاصة دون مشاركة الكاتب والناشر الأستاذ عادل حوشان، صاحب دار «طوى» في الندوة، غير أنه حرص على إعداد ورقته وإرسالها إلى المنتدين، ونقتطف منها ما يأتي:
«إن المكتبات هي الضلع الأهم والأسوأ في الوقت نفسه بالنسبة لصناعة الكتاب. لا أعتقد أن المكتبات العصرية التي تمثّلها اليوم بعض الشركات التجارية، تشكّل عنصراً ثقافياً نموذجياً. إنها النموذج التجاري الأنسب لترويج الأجهزة الذكية والإكسسوارات وأغلفة الهواتف والمصنوعات المجمَّعة.
في اعتقادي أن معارض الكتب هي النافذة الأهم. لقد تغيَّر مزاج الثقافة في الخليج خلال السنوات الخمس الأخيرة بشكل خاص، فانصرف عن المتون والتجارب الأهم في الأدب والفكر والسياسة والتاريخ إلى أحدث العلوم والفنون.
وحول صناعة الكتاب في المملكة يقول: «لقد عانت صناعة الكتاب في المملكة طويلاً من إرث المؤسسات الثقافية التي حاصرتها طويلاً بإنتاج الأندية الفاقدة للخبرة في صناعة الكتاب، ومؤسسات تجارية انساقت خلف المزاج الثقافي التقليدي، بينما تقدَّمت دول أخرى لا تتملك عمقاً اقتصادياً يوازي ما تملكه المملكة من أجل تطوير هذه الصناعة.
ولكن، خلال السنوات القليلة الماضية، كان لا بد من هجرة صناعة الكتاب إلى دول تقدِّم النموذج الأمثل في اختيار المواضيع وفي الجانب الفني والتقني للكتاب. ورغم عمرها القصير، فإن صناعة الكتاب في المملكة، التي أتت من الخارج إلى الداخل، تطورت خلال السنوات العشر الأخيرة، بحيث أصبحت المملكة محط أنظار الجميع، لما تمثله معارض الكتب فيها من حضور يفوق كل المعارض العربية وبتميِّز يشهد له معظم الناشرين».



بافقيه: رواج المحتوى ليس تقييماً للكتاب!

تقييم الكتب مسألة صعبة للغاية. فالكتب التي تشيع ويتلقفها القرَّاء ليست بالضرورة جيدة أو متواضعة..

عن الكتاب قبل سنوات سبع، برحلة البحث عن الكتاب المكي، بدءاً بمعرض الكويت فالرياض ثم الشارقة والدوحة، سعياً إلى الكتاب الجديد، وغير المتوافر في المعارض المحلية. وأضاف: «هناك كتب غير مفسوحة وتباع تحت الطاولة، وكثيرون يسعون إليها.

المحتوى الجيد ليس بالضرورة هو الرائج

ولأن بعض معارض الكتاب تطالعنا أحياناً بعناوين «أكثر مبيعاً» من غيرها، ويثير ذلك جدلاً حولها، طرح المضواحي قضية محتوى الكتاب، وما إذا كانت جودته تلعب دوراً في المعرض، أو ما إذا كان المعرض قادراً على الترويج للمحتوى الجيد. وهنا كانت للناقد والباحث حسين بافقيه مداخلة قال فيها:

«أعتقد أن الأمر معقَّد إلى حدٍّ ما. فرواج المحتوى ليس بالضرورة تقييماً للكتاب. إن تقييم الكتب مسألة صعبة للغاية. فالكتب التي تشيع ويتلقفها القرَّاء ليست بالضرورة جيدة أو متواضعة، ونضرب مثلاً على ذلك نجيب محفوظ.. كم نسخة كانت تُطبع من رواياته؟ حوالى 10 آلاف نسخة.. فهل يُعد هذا الرقم كبيراً ومعبِّراً في المحيط المصري والعربي؟ في المقابل، نجد كتباً تباع وتوزَّع ويعاد نشرها على نحو كبير. فكتاب «لا تحزن» مثلاً للشيخ عائض القرني باع ملايين النسخ. فهل هذا الكتاب قيِّم أم لا؟ من يملك حق تقييم الكتاب؟ المسألة إذاً صعبة ويجب أن يكون هناك احتراز عند التطرق إليها».

وضرب بافقيه مثلاً آخر: «نحن نعرف قيمة طه حسين، عميد الأدب العربي، الذي تشيع كتبه من الخليج إلى المحيط، لكننا نجد أن للشيخ علي الطنطاوي (قبل أن يكون شيخاً) رأياً في طه حسين، لأن هذا الأخير يبدو في نظره «يلت ويعجن وكتبه تافهة»، وطه حسين قمَّة وقيمة أدبية، فهل نصدِّقه، هل نختلف معه؟؟.. إنني أتحفظ كثيراً على وصف كتاب بأنه ذو محتوى قوي أو متوسط أو غير ذلك».

وهنا تجاوز المضواحي قضية جودة المحتوى إلى قضية عدم جماهيرية بعض الكتب بغض النظر عن الحكم على جودتها، وسأل عن الدور الذي يمكن أن تؤديه المكتبات في إنقاذ الكتب غير الجماهيرية، قائلاً: «لدينا في جدة ثلاثة آلاف مدرسة، ولو اشترت كل مدرسة نسختين، لكانت الحصيلة بيع 6 آلاف نسخة، فما بالك بباقي مدن المملكة؟ وأين دور الجهات الرسمية في إنقاذ الكتاب؟».

مضواحي: الدور الذي يمكن أن تؤديه المكتبات في إنقاذ الكتب!

لدينا في جدة ثلاثة آلاف مدرسة، ولو اشترت كل مدرسة نسختين، لكانت الحصيلة بيع 6 آلاف نسخة، فما بالك بباقي مدن المملكة؟ وأين دور الجهات الرسمية في إنقاذ الكتاب؟..

أجاب بافقيه: نظرياً، يجب أن يكون حضور الكتاب على هذا المستوى في المكتبات. لكن ما تقوله مثالي. فأن تكون في مجتمع يهتم بالثقافة؛ فإنك تحتاج إلى بلدان تجاوزت مشكلاتها. وللوصول إلى ذلك، عليك أن تكون قد حققت كثيراً من أمور التنمية السياسية



شيماء: تأخر الكتاب العربي عن اللحاق بإيقاع الحياة!

هو ما يجعل الناس تميل أكثر لتعلم اللغات الأخرى من أجل القراءة والوصول إلى المعلومات التي تهمها.

والتعليمية. إن مكتبات الجامعات عندنا فقيرة، كما أن بعض المكتبات العامة هي مجرد مبانٍ. ونحن نعرف أن وزارة الثقافة تشرف على 84 مكتبة عامة سبق أن تحدثنا عنها في وسائط التواصل الاجتماعي. إن الناقد الأدبي أو الفيلسوف الروائي لا يستطيع أن ينافس خطاب الشيخ أو رجل المنبر لأسباب ثقافية. فهذا الخطيب يتوجه إلى الناس بما يمسّ حياتهم اليومية بأسلوب خفيف وقريب منهم، لا يحتاجون إلى جهد كبير لفهمه.

لذلك، من الصعب أن تبيع كتاباً في النقد الأدبي. فالنقاد يشكون من ضعف الإقبال، وكذلك الشعراء الذين صاروا ينشرون شعرهم على نفقتهم الخاصة، إلا الكبار منهم مثل محمود درويش، وغازي القصيبي - يرحمهما الله -.

وختم بافقيه كلمته بقوله: «الكتاب إذاً سلعة، وإلا ما كان هناك معرض له. إنه سلعة تغذِّي الاقتصاد ووراء هذه السلعة هناك مئات العمال ما بين المطبعة والمعرض، ممن يعتمدون على هذه السلعة لكسب عيشهم.. وبالتالي، علينا أن نتفهم إحجام الناشر مثلاً عن طباعة آلاف النسخ، لأن ما سيبيعه منها لن يوازن التكلفة».

وهنا توجه المضواحي إلى الكيالي بالسؤال: «ما هي المعايير التي تتبعونها عندما تقررون نشر كتاب؟ وما



الذي يسعى إليه القارئ؟ أهو المحتوى الشيِّق أم الجيد والجدِّي؟».

فأجاب: «لا بد من أن يحمل الكتاب قيمة فكرية، جمالية، أدبية، كي نُقدم على نشره. الناشر يبحث دائماً عن الحيوية. فمن ناحية تجارية، المحتوى الشيِّق رائج أكثر من غيره بشكل عام. ولكن النموذج الذي نسعى إليه هو الكتاب الجيد والشيِّق في آن. ففي الآونة الأخيرة، على سبيل المثال، أصبحت الرواية موضع اهتمام الناشرين لأكثر من سبب. من ذلك، قدرة الرواية على التعبير عن الأوضاع الاجتماعية وتحولاتها التي هي شأن عام يهم كثيرين. وساعد تقديم الجوائز على تحفيز الرواية والروائيين».

وفي إنقاذ صناعة الكتاب، يقول حسن شعيب في هذا الشأن: يعاني الكتاب في عالمنا العربي من حالة كسادٍ في المبيعات مع قلّة القُرَّاء العرب مقارنةً بالغرب؛ حيث اتخذت صناعة الكتاب عندهم منهجاً يصنع السوق ويتحكّم فيه؛ ما أثمر انتشاراً للكتاب وازدهاراً لبورصته.. يقول أحد صنّاع الكتاب الغربيين: حين يقدِّم مؤلِّفٌ نتاجه للمطبعة يكون قد انتهى من 10% فقط من صناعة كتابه، وتبقت له 90% هي تسويق الكتاب وحُسن عرضه وتعريفه للجمهور، وهو هنا أمام اتجاهين: الأول فردي يقوم هو فيه بهذه المهمَّة المُضنية، والآخر مؤسسي عبر جهات مختصة بالتسويق وهو ما تقوم به دور النشر الأجنبية.

لن تقوم صناعة الكتاب العربي إلا عبر ذيْنك الخطين في صناعة الكتاب؛ ولا تكفي جودة المحتوى وشهرة المؤلف لوصول الكتاب إلى أكبر شريحة من الناس؛ فكبار الكتّاب العرب لا تتجاوز نسخ كتبهم المطبوعة الألفين في أحسن الأحوال، بينما يطبع الغرب ملايين النسخ للكتاب الواحد!

إن أسباب ضعف هذه الصناعة الورقيَّة كثيرة، وهي ذات مناحٍ سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة وفكريّة؛ ولكن هناك ما يمكن معالجته إذا اتخذت السبل العلميَّة المؤسسيَّة فيه خاصةً ما يقع على عاتق دور النشر والهيئات العلميَّة التي لديها إصدارات قيمة؛ تستطيع أن تضمّ إليها متخصصين في التسويق يضعون الخطط التسويقيَّة لكل كتاب جاهزٍ للنشر، والاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام التقليديَّة، ونجوم الإعلام والفنِّ والرياضة المؤثرين، والأحداث والمناسبات المحليَّة والإقليميَّة.

وختم شعيب مداخلته بإشارته إلى أنَّ الكتاب لم يُصنع للقراءة على الورق فقط؛ وإنَّما ليكونَ جزءاً من حياة وثقافة الناس؛ يشاهدونه في كل مكان في حياتهم اليوميَّة، يستطيعون التعرُّف والتواصل مع مؤلفه بأيسر الطرق، يتلمّسونه في لوحة فنان أو فِلم قصير أو مسرحيَّة أو حتى مقال!

المؤلفون من الجيل الجديد يسوِّقون أعمالهم بأنفسهم

قاد الحديث عن الرواية إلى التفكير بالشريحة الواسعة من الروائيين وغيرهم من المؤلفين الشبان الذين خاضوا غمار الكتابة بشكل لافت خلال السنوات الأخيرة. وفي هذا المجال قال بافقيه: «مشكلتنا أننا نتعامل مع هذه الفئة بشيء من عدم الاهتمام، رغم أن المؤلفين الشبان يمثلون ظاهرة إيجابية. فمن الجيد أن يكون الشاب مؤلفاً. ولكننا نلاحظ في الوقت نفسه أن نصفهم لا يقرأون، بل يستفيدون من الوسائط الجديدة، ولذلك صاروا يتحدثون بلغة «النت»

ربّما يا عُمر

بنفس تلك الروح المندفعة المتَدَفّقة التي طبعت مقالاته، وبنفس التفكير المنظَّم الحاسم الذي عُرِف به، أدار جلسة النقاش هذه، التي ربما هي آخر مهمَّة صحفية تولَّى عمر المضواحي إدارتها وتحريرها.

في الليلة التي سبقت صباح النبأ الحزين، كان عمر قد اعتذر عن دعوة عشاء للمشاركين في النشاط نفسه، لأنَّه وعد بتسليم المادَّة محرَّرة في الصباح!

وهكذا فإنَّ هذا الصحفي الذي يقدِّس أصول المهنة لم يحُل بينه وبين التزامه بموعد، ما كان سيسمح لنفسه بالتخلُّف عنه، إلا المنية دون سواها!

ورغم أنَّ هذا الصحفي الذي كان شديد الإصرار على أهميَّة الاحتراف في الصحافة، لم يعمل في القافلة كمنتمٍ إلا أنَّه رافقها منذ بدايات انطلاقتها الجديدة قلباً وعقلاً وروحاً، وكان شديد الحماس لشكلها ومضمونها، يتحدَّث عنهما في مجالسه بالروح نفسها التي يتحدَّث فيها عن قضايا يؤمن بها، وكان هو أوَّل من وصف القافلة ببئر أرامكو الثامنة التي لا ينضب زيتها، وذلك ربما في أوسع تغطية صحفيَّة عنها كتبها في جريدة «الشرق الأوسط» يوم كان من ألمع محرريها.

كل الصحافة السعوديَّة تفتقد روح عمر المضواحي، واحترافيته، لكن ربما يختلف افتقاد «القافلة» له عن سواها.

ربما يا عمر!

كما في رواية «بنات الرياض». وأصبح النقد الأدبي التقليدي لا يصلح مع أعمالهم. فهؤلاء يصنعون ثقافة جديدة وبلاغة جديدة. والبلاغة عندما لا نعرفها نتفهها. ولكن حينما يكون هناك ناقد متفهم، فإنه يأتي بقيمتها وكأنها ظاهرة حقيقية لها روادها وتأثيرها».

وهنا كانت مداخلة للزميلة منال الحميدان قالت فيها: «عندما يتحدث بعض الكتَّاب الكبار والناشرين عن جيل الشباب، فإنهم يتحدثون وكأن هؤلاء يشكِّلون فئة واحدة. ولكن الجيل الشاب ليس موحداً في اهتماماته». وأضافت الحميدان: «إن الكاتب الشاب أصبح يسوِّق لنفسه. فهو قريب من القرَّاء، يعرف كيف يصل إلى أبناء جيله من خلال وسائط التواصل الاجتماعي، ويعرف كيف يختار دار النشر التي تسوِّق له، ويفهم في التصميم، ويمتلك الذكاء اللازم، ويتدخل في الطباعة. فترى كاتباً سوَّق لكتابه قبل أن يصدر الكتاب، وأشرف بنفسه حتى على طباعته».

حماية الملكية الفكرية لا تزال هشَّة وقابلة للاختراق

وبحضور شخصيات عاملة في مجالي النشر والطباعة، كان ولا بد من طرح مسألة «الملكية الفكرية» التي يقول كثيرون إنها واحدة من أكبر آفات صناعة الكتاب العربي، وأنها مسؤولة إلى حدٍّ كبير عن حالة الإحباط العام التي يعاني منها عدد من الكتَّاب والمؤلفين.

يقول الغامدي: «نحن نعاني كطابعين ما يعانيه المؤلفون والناشرون من اعتداءات على الحقوق الفكرية، وأرهقنا ذلك كثيراً، وأدخلنا في مساءلات قانونية. وقد كثَّفت وزارة الثقافة والإعلام في المملكة جهودها في مجال حماية الحقوق الفكرية للناشرين والمؤلفين، ووزعت تعميماتها في هذا الصدد على فروعها قبل نحو سنوات خمس، وهذا ما جعلنا نشعر بارتياح إلى وجود سلطتها على هذه المسألة. هناك كتَّاب يطبعون كتبهم في أماكن ما، ثم يأتون إلينا لتجليدها. وقد حوسبنا بسبب تزوير أحد المؤلفين لكتاب مستنسخ من إحدى المكتبات الصغيرة. إنها آفة تعاني منها معظم الدول، حتى أمريكا».

ويضيف الغامدي: «بصفتي رئيس لجنة الطباعة في الغرفة التجارية في جدة، أوصلت الرسالة إلى وزارة الثقافة. لكن في رأيي، ورغم الجهود الكبيرة في مجال مكافحة القرصنة والاعتداء على الملكيات الفكرية، لا يمكن القضاء على الاستنساخ، وذلك لسهولة توفر أدواته التي أصبحت متاحة للجميع. فبإمكانك وأنت في البيت أن تطبع كتاباً. وفي معرض جدة هناك دار نشر تستنسخ لك عن طريق أمازون. إذاً فالحماية الفكرية تحتاج إلى نشاط مكثَّف وتعاون من جميع الجهات».



شعيب: إن الكاتب الشاب يسوِّق لنفسه!

> فهو قريب من القرَّاء، يعرف كيف يصل إلى أبناء جيله من خلال وسائط التواصل الاجتماعي..

وفي الشأن نفسه قال الكيالي: هناك بالفعل مشكلة. واتحاد الناشرين العرب شكَّل «لجنة حقوق الملكية الفكرية». لكن المهمة صعبة في الواقع. فالتزوير أو القرصنة آفة على الثقافة.

في المملكة، نجد أن الكتاب المقرصن لا يُباع، وهذا من إيجابيات حضور الناشرين بأنفسهم إلى المعرض، حيث تسوَّق الطبعة القانونية فقط. وفي مصر كان هناك نوع من الفوضى إلى أن أنشئت الشرطة الوقائية لحماية الحقوق الفكرية والمصنفات. ولكن، حتى الآن، نجد في معرض القاهرة للكتاب سوقاً موازية تبيع الكتب بأسعار زهيدة وتجارية، وفي هذا بالطبع تجنٍّ على الناشر والكاتب.



من معرض بيروت للكتاب

سعت «القافلة» إلى تنويع مصادر الآراء المختلفة في حال الكتاب العربي حتى أقصى حدٍّ ممكن. ولهذه الغاية استفادت من تزامن معرضي جدة وبيروت للكتاب، فاستطلعت في هذا الأخير آراء عدد من الناشرين العرب.
فحول أهمية معارض الكتب، يقول إبراهيم الجريفاني، صاحب دار «الرِّمك» السعودية، إنها «تظاهرات ثقافية مهمة، تجمع حولها كل فئات المجتمع ولكنها تختلف في جوهرها عن المعارض التي تقام في عواصم العالم الغربي. هناك لا يجري بيع الكتب بل توقيع عقود بين دور النشر، وتتاح الفرصة للاطلاع على الإصدارات الجديدة، على عكس ما يحدث عندنا حيث لا يتجاوز المعرض كونه محطة لتسويق الكتب المخزَّنة في دور النشر».
وفي رأي الجريفاني أن بعض المسؤولية عن قطع الطريق بين الكتَّاب والقرَّاء يقع على عاتق دور النشر «فالأسعار ما زالت مرتفعة جداً، ويجب أن تُدرس جيداً لكي يصبح الكتاب في متناول الجميع». ويوافق على صحة هذه الملاحظة السيد قيس عقل، ممثل داري «رسلان» و«علاء الدين» من سوريا.



آراء في الأزمة وبعض أوجهها

01

عزوف الشبان عن الكتاب

وفيما رأى ممثل وزارة الإعلام في سلطنة عُمان السيد موسى الذهلي أن «العالم العربي لا يزال يُقبل على الكتاب ولو بنسبة أقل مما كان عليه الحال سابقاً»، أشار إلى «ضرورة دعم المساعي الحكومية وغير الحكومية التي تصبُّ في إطار التوعية لأهمية القراءة التي يمكننا من خلالها التعرف إلى ماضينا والتعلم من أخطائه».

المسؤول في «الملتقى العربي لناشري كتب الأطفال» الذي يتخذ من دولة الإمارات مركزاً له، محمود حسونة، رأى أن «جفاءً حاداً يحكم العلاقة الحالية بين العرب والكتاب».

ويؤكد صحة هذه الملاحظة المسؤول في مجلس الثقافة العام في ليبيا، محمد الشويكي، بقوله: «لم يعد الوضع كما كان في السابق. فالشخص الذي يحمل كتاباً اليوم بات نادر الوجود. فالوزارات المعنية في الدول العربية مقصِّرة في هذا الإطار. فضلاً عن أن التطور التكنولوجي السريع والإنترنت أسهما في ابتعاد العرب ولا سيما الشباب عن قراءة الكتب واقتنائها». ويوافق الجريفاني على ما يقوله الشويكي، مضيفاً: «إن أهم معاناة للكتاب العربي اليوم هي ابتعاد الفئة الشابة عنه».

02

دور الظروف السياسية والأمنية

وللأوضاع الأمنية والسياسية المضطربة ظلٌّ ثقيل على حال الكتاب وقراءته على ما يبدو. فالجريفاني يقول: «إن الظروف الجيوسياسية أثّرت كثيراً على الناشرين العرب. حتى إن بعضهم أحجم عن المشاركة في معرض بيروت». ويوافقه في رأيه هذا مدير «دار العلوم العربية» في بيروت خالد ناصر، الذي يقول: «خففت الأوضاع الأمنية والسياسية المتأزمة في لبنان مشاركة إخواننا العرب، وترك بصمتهم التي اعتدناها كل سنة في المعرض». أما مدير «الدار العربية للموسوعات» إسماعيل الطويل، وبعد قوله «إن الإنسان العربي مشوَّش اليوم، ولا مزاج لديه للقراءة بسبب الأوضاع»، فإنه يبدي تفاؤله في أن يحصد نتائج أفضل في معرض جدة للكتاب الذي كان على وشك الافتتاح.

وإلى ما تقدَّم، يضيف المشارك في الجناح العُماني مسلَّم الزكواني أن «الإنترنت حجَّمت دور الكتاب وحضوره، والأجهزة الحديثة هي التي حلَّت بين يدي القارئ محل الكتاب».

03

مسألة اللغة

وعن سبب اتجاه الشباب العربي إلى القراءة بلغات أجنبية أكثر من القراءة باللغة العربية، أكد حسونة أن «الأمر لا يقتصر على القراءة فحسب، بل إن مجازر عديدة تُرتكب بحق اللغة العربية من قبل أشخاص يصفون أنفسهم بالشعراء والكتَّاب، وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى عدم وجود رقابة حقيقية على مضمون الكتب التي تُصدر وتنشر وتوزع باللغة العربية وفي الأقطار العربية، بالإضافة إلى تراجع ثقة العرب بأنفسهم ونظرتهم إلى الغرب على أنه المتفوق دائماً ويجب علينا التحدث بلغته».

وأشار الشويكي إلى أنه «من الضروري القراءة بلغات متعددة، إلا أنه من غير المقبول إهمال اللغة الأمّ لأن ذلك سينعكس سلباً على الأفراد أنفسهم بشكل خاص وعلى أوطانهم بشكل عام».

من جهته، اعتبر الذهلي أن «اعتماد الإنترنت وكل وسائل التواصل الاجتماعي والتطبيقات العالمية الحديثة على اللغات الأجنبية وتحديداً اللغة الإنجليزية، يُلزم في بعض الأحيان الشباب العربي تعلم تلك اللغات واعتمادها، حتى بات تأثر البعض بها سبباً كافياً لابتعادهم عن لغتهم العربية»، مشيراً إلى أن «ضعف الإنتاج العربي والرقابة عليه وعلى مضمون الكتب التي تصدر، والتي وصل بعضها إلى حد الابتذال، أسهم في ابتعاد الشباب عنها»، مؤكداً أنه «لمعالجة أزمة الابتعاد عن اللغة العربية يجب إيجاد حلول منطقية وواقعية لتلك الأسباب ومواجهتها».



السفر السياحي مع مجموعة أو بشكل مستقل



1

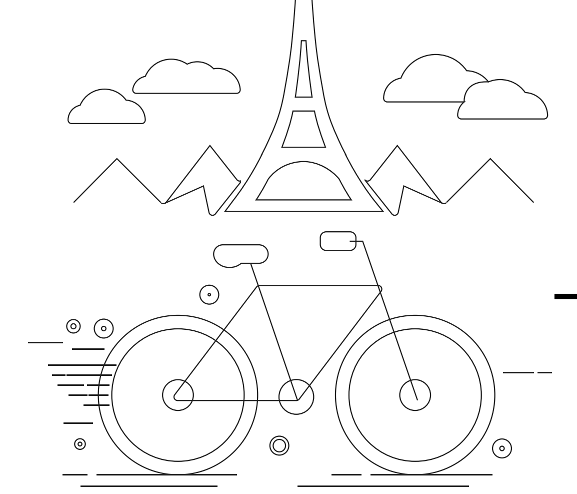
معاذ قاسم
إعلامي

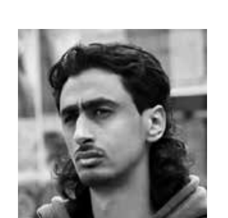
أفضِّل خارطتي السياحية الخاصة

ما زلت أذكر ذلك اليوم من بداية العام الفائت حين كنت أنوي السفر من فيلادلفيا في أمريكا إلى فرنسا. كنت أنتظر بلهفة فرصة السفر إلى باريس كسائح وكطالب في برنامج الكتابة الإبداعية في الأكاديمية الأمريكية بباريس؛ لكنها جاءت في وقت صعب، فإما أن أغامر بأقل التكاليف أو أفوّت الفرصة!

قررت المغامرة وبدأت الرحلة بتخطيط مسبق ودقيق، توجهت مباشرة نحو مطار دالاس الدولي ثم إلى باريس وحيداً. لا أملك سوى أمتعتي وخريطة طبعتها من قوقل، بعد تحديد الأماكن التي سأتوقف فيها ومحطات المترو وأرقام الباصات لأوفِّر بذلك تكاليف سيارات التاكسي الباهظة. لم يكلفني النقل سوى 47 دولاراً أمريكياً حتى الوصول إلى باريس، والتذكرة كانت من مكافأة أميال الخطوط السعودية والسفر عبر إحدى شركات تحالف سكاي تيم.

أخيراً باريس، قلتها حين وصلت إلى مطار شارل ديغول. وهناك أخذت بطاقة المترو المفتوحة لمدة شهر بما يعادل 90 دولاراً، لأصل إلى مقر إقامتي الذي سبق وحجزته عبر الإنترنت، بعيداً عن برامج الشركات السياحية والارتباط بمجموعات قد تعرقل خططي الخاصة، فأنا لم أفكِّر يوماً بالانضمام إلى هذه المجموعات، ما دمت قادراً على رسم خارطتي السياحية.





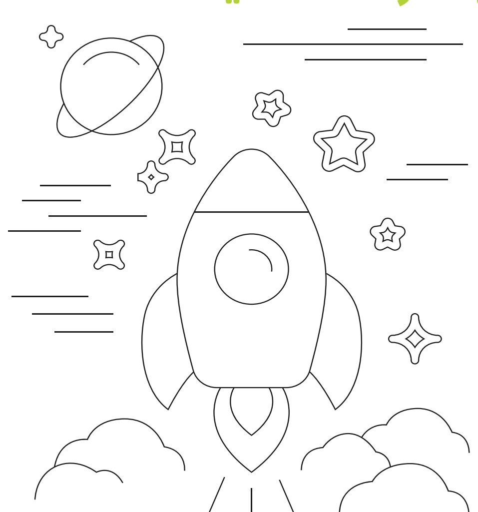
2

أحمد الصميلي
أخصائي مختبرات طبية

الإنترنت أفقد الشركات السياحية أهميتها

أعتقد أن التخطيط للسفر من الأمور المهمة التي تسهم في الاستمتاع بالرحلة. وفترة التخطيط بالنسبة لي هي جزء من تلك المتعة، إذ إن هناك نقاطاً لا بدَّ من التأكد منها قبل السفر كالحجوزات والمصروفات والأوراق الثبوتية، وفي رأيي إن الشركات السياحية فقدت كثيراً من أهميتها بعد ظهور الإنترنت. إذ بات بإمكانك الاستعلام عبره عن كل الأماكن والمتنزهات وحتى الأماكن الخطرة لتجنبها. أما بالنسبة لشركات السفر فأرى أن دورها تقلَّص ليكاد ينحصر في الحجوزات للطيران. فلديها عروضها في هذا الجانب، وبرامجها قد توفر عليك جهد البحث. لكن كل هذا على حساب اختراق مبدأ الخصوصية؛ لأنها غالباً ما تفرض السفر في مجموعات. الأمر الذي قد يناسب البعض، ولا يناسب البعض الآخر.

التكلفة لا تهمني بقدر الطمأنينة





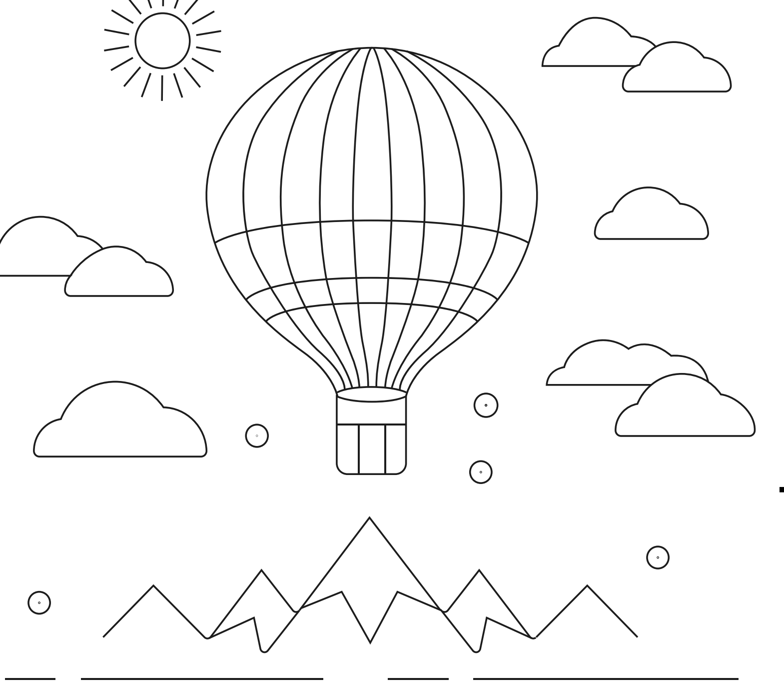


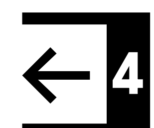
محمد السوادي
روائي سعودي

السفر عبر إحدى الشركات المشهود لها بالمهنية هو الأفضل بالنسبة لي. صحيح أن التكاليف ستكون مرتفعة عما لو توليت أمر تنظيم سفري بنفسي، ولكن الزيادة في التكاليف يقابلها برنامجٌ منظمٌ سأكون فيه متفرغاً للاستمتاع بالسياحة، متجنباً ما قد يحدث من مشكلات تتعلَّق بأنظمة البلدان السياحية المستهدفة، والابتعاد عن الأماكن التي قد يحمل الوصول إليها خطراً من الناحية الأمنية، ثم إن الشركات المتخصصة أعلم بالأماكن السياحية الأفضل والأجمل في تلك البلدان التي سأسافر إليها. لم أبنِ رأيي هذا اعتباطاً بل من تجارب فعلية.

على السائح فقط أن يُحسن اختيار الشركة السياحية حتى لا يهرب من معاناة (الفردية) ليقع في معاناة أخرى تتمثل في عدم مقدرة الشركة على خدمته بالصورة التي يتوقعها. فشركات السياحة كغيرها مختلفة، وعليه ألَّا يثق في الوعود، بل أن يسأل، وسيجد الشركات الموثوقة التي يرتاح إليها وتخدمه جيداً، حتى وإن كانت أغلى من حيث التكلفة.

أشارك رفقاء السفر جدول الرحلة





ناهد آل حبيل
طالبة

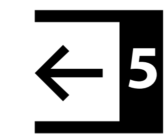
أعشق التخطيط للسفر بنفسي وأحرص على مشاركة رفقاء السفر بجدول الرحلة وكذلك اختيار الفنادق والأماكن السياحية عبر التصفح عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي وكذلك من تجارب الآخرين.

نادراً ما نذهب أنا وعائلتي بدون تخطيط أو عن طريق المجموعات السياحية على الرغم من أن تكلفة المجموعات السياحية أقل فعلياً.

نحرص على تغطية جميع الأماكن التي لا ينبغي تفويتها ونسبر أغوار المناطق التي يندر زيارتها، نحن عائلة غير تقليدية بتاتاً، نهتم بالدرجة الأولى بمدى أمان وسلامة البلدة التي نزورها ونقضي أغلب أوقاتنا خارج الفندق ونستغل كل دقيقة للاستكشاف.

السفر مستقلاً أفضل

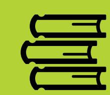




م. موسى عشيري
مهندس في وزارة النقل

ما كان يعجبني في السياحة مع المجموعات عبر شركة سياحية هو الإرشاد السياحي والتعارف عبر هذه المجموعة، فأنا اجتماعي بطبعي. لكن بعد تجربتي السياحية بشكل مستقل مع أصدقائي خلال الصيف الماضي، ودون الاعتماد على أي وسيط سياحي، اكتشفت أن هذا النمط هو المفضَّل لديَّ. استمتعت بالبحث عبر الإنترنت عن الأماكن الجذابة في الوجهة المقصودة، وحجز الفنادق حسب الميزانية المرصودة، وخيارات التنقل أيضاً دون الارتباط بأوقات معيَّنة مع مجموعات. فالخيارات تبقى مفتوحة أمام السائح، هو من يختار حسب رغبته وظروف سفره وأيضاً مرافقيه.





المرأة والحدوتة

تأليف: الدكتور خالد أبو الليل

الناشر: دار العين للنشر (يونيو 2015)

كتاب «المرأة والحدوتة» هو دراسة في الإبداع الحكائي الشعبي للمرأة المصرية، جمعها ودرسها الدكتور خالد أبو الليل، وقدَّم لها الدكتور أحمد مرسي، أستاذ الأدب الشعبي بجامعة القاهرة. ويقول الباحث فى كتابه إن المرأة هي المبدعة لمعظم أشكال المأثورات الشعبية والحافظة لها أيضاً. فحياتها زاخرة بأشكال متنوعة من الإبداع، سواء على صعيد السلوك؛ مما جعلها قادرة على أداء أدوارها المتعددة، أو على صعيد الإبداع الفني الذي عبَّرت من خلاله عن مشاعرها ورؤيتها لنفسها ولدورها في الحياة، من خلال الحواديت التي كانت تحكيها - وما زالت تفعل ذلك - لأبنائها وأحفادها.. والكتاب ثمرة للمقولة التي ترى «أن أكثر من 90% من مأثوراتنا الشعبية تحفظها ذاكرة المرأة المصرية». وهي مقولة دفعت الكاتب إلى الانطلاق منها كفرضية علمية بهدف إثباتها أو نفيها. وكان هذا الكتاب ثمرة ذلك البحث. وهو مقسم إلى قسمين، يبدأ أولهما بدراسة مستفيضة عن الحواديت، تبدأ بتعريف الحدوتة، والتوقف عند أهم خصائصها الفنية. أما مجموعة الحواديت - التي تمثِّل القسم الثاني من الكتاب - فهي في أصلها جزء قليل من مجموعة الحكايات الشعبية التي جمعها الكاتب من الأدب الشعبي.

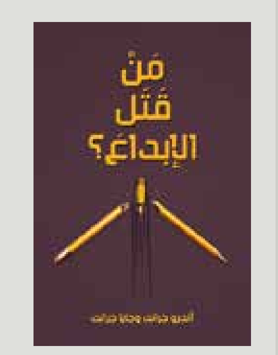
حدثني ميخائيل نعيمه

تأليف: إسكندر داغر

الناشر: دار نلسن (2015)

عشية الذكرى المئوية لانتقال ميخائيل نعَيمه إلى نيويورك عام 1916م، صدر كتاب «حدَّثني ميخائيل نعَيمه»، متضمناً أربعة حوارات مع نعَيمه، وحواراً خامساً مع ابن أخيه الدكتور نديم نعَيمه بعد سنوات خمس على غياب عمّه. وعلى مدى الأحاديث الأربعة في الكتاب، تتبسطُ أفكار نعَيمه في الحرية وعلاقة الأدب بالحياة والسياسة، وبالإنسان الذي يرى فيه طاقة عجيبة على الاكتشاف ستظهر قواها تباعاً في المستقبل.

وفي بعض أجوبته إلى المؤلف يظهر نعيمه أنه قرأ كثيراً في الأدب الروسي، ويحبّ منه كتابات تولستوي ودوستويفسكي، ويرى أنّ الأدب العربي لم ينفتح على العالمية إلَّا مع بداية عصر النهضة، وقبلَها كان متقوقعاً داخل حدود جغرافيته، حتى دخلَت على أُدبائِه النَّهضويين أنسامُ الأدب العالمي من قصة ورواية ومسرح، وشِعر خرجَ على نمطية المدح والفخر والرثاء إلى مواضيع إنسانية شاملة. ويرى أن الأدب العربي تُبعده عن جائزة «نوبل» وسواها بمستواها قلَّة الترجمة إلى اللغات العالمية الحية. وفي لفْتة مقْنعةٍ إلى المتلقّي يرى نعَيمه أنّ ضآلة القراءة في العالم العربي تُؤثّـر في ضآلة الإنتاج الأدبي الجيِّد، فالناس في بلادنا لا يُقبلون على القراءة إقبال الغربيين عليها، ولا المدارس تشجِّع تلامذتها على القراءة، ولا أكثرية المدُن والقرى تَهرَع إلى فتح المكتبات العامة والتشجيع على نشاطات القراءة، ولا أرباب البيوت يباهون بمكتباتهم مباهاتَهم بما فيها من تحف وجواهر وأدوات في المطابخ والحمّامات. هذا عدا تعثُّر النشر والتوزيع وخصوصاً خارج البلاد، وهدر حقوق المؤلف، فتُزوَّر مؤلَّفاته ولا حيلة له أن يتابعَ أو يحصِّل حقوقَه من القراصنة والمزوِّرين.



من قتل الإبداع؟

تأليف: أندرو جرانت وجايا غرانت

ترجمة: أحمد عبدالمنعم يوسف

الناشر: مؤسسة هنداوي للثقافة والتعليم (2015)

يلفت المؤلفان أندرو جرانت وجايا جرانت إلى أن البراءة الإبداعية التي كانت تعرفنا وتميِّزنا في صغرنا، قد تاهت وسط السعي إلى تحقيق الأهداف الشخصية أو المؤسسية. ويبدو أننا نتحوَّل إلى كائنات من الموتى الأحياء بلا مخيلة. يرى المؤلفان أن قتل الإبداع جريمة في حق الإنسانية. لذا، تعاملا معها من خلال فصول الكتاب التسعة كأنهما محققان قضائيان. ويقع عملهما في جزءين أساسيين، أولهما يحاول الإجابة عن الأسئلة الأساسية التالية: من قتل الإبداع؟ أَقَتلهُ الإجهاد المفرط في مكتب المدير التنفيذي بسلاح «الإرغام الساحق»؟ أم قتلته البيروقراطية في مكتب الحسابات بِطَعَنَات «السلبية الخبيثة»؟ إن التفكير الإبداعي يتناقص بدرجة مخيفة؛ فما السبيل إلى استعادته؟

وبعدما كشفت دراسةٌ أُجريت مؤخراً حول الرؤساء التنفيذيين أن الإبداع يُعَدُّ أهمَّ سمة من سمات القيادة، يبحث هذا الكتاب كيف تستطيع الشركات والقادة والمديرون والأفراد بناء، أو إعادة بناء ثقافة الابتكار، عن طريق تعزيز التفكير الإبداعي ومهارات التوصُّل إلى حلول أفضل وأسرع للمشكلات.



الماء يبحث عن إدارة

تأليف: د. محمد بن حامد الغامدي
الناشر: جامعة الملك فيصل / دار الكفاح للنشر والتوزيع
(مارس 2013)

من عاش يوماً غزارة مياه ينابيع واحة الأحساء، يدرك أكثر من غيره خطورة استنزاف المياه الجوفية. لقد عاش مؤلف هذا الكتاب؛ الدكتور محمد بن حامد الغامدي خبير المياه، وعضو هيئة التدريس في كلية العلوم الزراعية والأغذية في جامعة الملك فيصل ملامح نضوب مياه تلك الينابيع التاريخية، وهكذا تخلقت لديه قضية المياه الجوفية. ومن خلفيته العلمية والواقع الذي كان شاهداً عليه، استشعر عظم المسؤولية، وأصبحت قضية المياه الجوفية وما يتعلق بها جزءاً لا يتجزأ من حياته.

يبوح كتاب (الماء يبحث عن إدارة) عن هموم وقضايا المياه الجوفية في المملكة العربية السعودية وما يتعلَّق بها، بأربع وتسعين مقالة، كتبت على مدار سبع سنوات بدءاً من العام 2005م، في جريدة «اليوم السعودية». بدأ المؤلف بمجموعة مقالات العام 2005م، حملت عنوان (التنبؤات) تناول فيها موضوعات مثل؛ التصحر ومشكلاته، وذكرياته مع عيون الأحساء؛ التي كان عددها فيما مضى 70 عيناً تنتج كل منها 80 متراً مكعباً في الدقيقة ويرتفع عمود الماء من بعضها إلى مترين، والتي نضبت وأصبحت في عام 2000م على بعد أكثر من 20 متراً تحت سطح الأرض.

تطرَّق المؤلف في مقالاته إلى ندرة المياه والملوثات، وارتفاع منسوب مياه البحار. كما تحدث عن السيول والسدود وجدواها. وباعتباره خبيراً للمياه فإنه يحذِّر من انتشار السدود في المناطق الجافة، والممارسات الخاطئة في التعامل مع شح المياه.



متاهات

تأليف: روان بنت سليمان الجميل
الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون (سبتمبر 2015)

يمكن قراءة كتاب «متاهات» كحصيلة من النوع النقدي المستند إلى خلفية معرفية وثقافية امتازت بها الكاتبة في مقاربة الحياة أو نصّ الحياة. تقول الكاتبة في «كلمة المؤلف»: «مجتمعنا أساسا وثقافته من صنعنا. فعندما نسعى لتطوير ذواتنا لا بدَّ أن نميّز الحق من الباطل وألّا نسير وفق ما يريده الآخرون. فهناك من يغرس معتقدات باطلة في نفوسنا ليس لها مرجع سواه، وعندما نبحث عن أصلها فإننا قد نجد عكس ما قيل أو ما ينفي ذلك الاعتقاد.

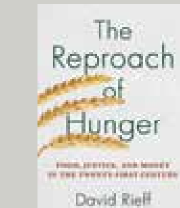
إن تطوير الذات جزء من تقدم المجتمعات. ولما كان الشخص يُعد جزءاً من مجتمعه، فكل ما يحمله من أفكار ومعتقدات هو بمنزلة تمثيل لمجتمعه. فعندما ترغب أيها القارئ بتطوير ذاتك، تذكر أنك ستقوم بدور مجتمع بأكمله. وبناءً على مجموع ما يقوم به الأفراد من تطوير لذواتهم سيكون المجتمع إما مجتمعاً متقدماً بثقافته وفكره ومعتقداته، وإما مجتمعاً يحمل معتقدات باطلة ليس لها أي مرجع».

وتقول في مكان آخر من الكتاب «إن تطوير ذواتنا، على الرغم من ارتباطه بنا، له دور كبير في تقدم مجتمعنا أو تراجعه. وهذا الكتاب يحتوي على معتقدات باطلة يعتقد أشخاص مثلنا ومثل من حولنا أنها صحيحة نتيجة تداولها. ما نسعى إليه في هذا الكتاب هو أن نثبت عدم صوابية هذه المعتقدات لنسهم برقي المجتمع وتطوره بشخصياتنا وثقافتنا وفكرنا الذي يُعد أساس المجتمع».

كتاب سيبويه معتزلياً: حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي

تأليف: إدريس مقبول
الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
(سبتمبر 2015)

يحاول إدريس مقبول في هذا الكتاب البرهنة على أن اللغة لم تنفصل في أي يوم من الأيام عن العقيدة، وأن العقيدة ليس لها وجود فعلي إلَّا باللغة؛ لأنها مضمرة ولا تظهر إلا باللسان. ويرى الكاتب أن أكثر من ضلَّ من أهل العقيدة وحاد عن القصد هو مَنْ كان في لغته ضعف. أما الهدف من هذا الكتاب فهو فحص الأثر المعتزلي في نصوص سيبويه. ولهذه الغاية، عمد الكاتب إلى القيام بحفريات في المدونة النحوية لسيبويه الموسومة بعنوان «الكتاب»، وإلى تتبّع الفكر النحوي لسيبويه. وقاده هذا المسار إلى قضايا التأويل النحوي للقراءات القرآنية، وإلى الردّ على بعض التيارات الاستشراقية التي تأبى إلَّا أن تردّ أيّ جهد فكري عربي إلى أصول غير عربية كاليونانية مثلاً. فقد سعى كثيرون إلى إقامة البرهان على أنّ النظر النحوي عند العرب مدين للفلسفة اليونانية في نشأته وبنائه. أمّا الكاتب، فينتصر لسيبويه الذي تأثّر بالثقافة الفقهية وبالمنهج الفقهي، إلا أنّه كان أحد بنّائي منهج النظر النحوي.

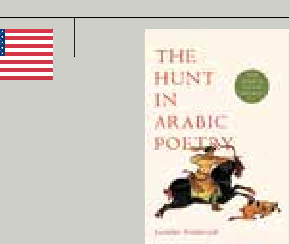



عار الجوع: الغذاء والعدالة والمال في القرن الواحد والعشرين
The Reproach of Hunger: Food, Justice and Money in the Twenty-First Century
تأليف: ديفيد ريف
الناشر: Simon and Schuster - أكتوبر (2015)

في هذا الكتاب الرائد الذي يستند إلى سنوات ست من الاستقصاءات العملية، يقدِّم الخبير ديفيد ريف عرضاً موثقاً حول ما إذا كان القضاء على الفقر المدقع والجوع في متناول أيدينا، كما وعدت جهات عدة في العالم. فهل بإمكاننا توفير ما يكفي من الغذاء لحوالي 9 مليارات شخص في عام 2050م خاصة في المناطق الأكثر فقراً في جنوب الكرة الأرضية؟

يتوقع عدد كبير من أبرع العلماء والسياسيين وأبرز العاملين في مجال التنمية، وضع حدٍّ لأزمة سوء التغذية في العقود القليلة المقبلة. ولكن النشطاء في حقوق التغذية والداعمين لوسائل الزراعة التقليدية يرفضون الحلول التي تعتمد على التكنولوجيات الحديثة والصناعات الزراعية.

يضع ريف، الذي كان يدرس ويعدّ التقارير حول المساعدات الإنسانية والإنمائية لمدة ثلاثين عاماً، مطالب الجانبين تحت المجهر ويسأل إذا كان بإمكان أي من هذه الجهود حل الأزمة. ويجيب أنه من غير الممكن حل هذه الأزمة المستعصية إلا إذا لم نخلط بين الآمال والحقائق وبين النيات الحسنة والإمكانات الفعلية.

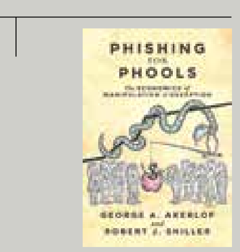


الصيد في الشعر العربي: من الشعر البطولي إلى الغنائي إلى ما وراء الشعري
The Hunt in Arabic Poetry: From Heroic to Lyric to Metapoetic
تأليف: جاروسلاف ستيتكيفيتش
الناشر: University of Notre Dame Press
ديسمبر (2015)

من بين التقاليد الأدبية العريقة في العالم، يبدو أن الشعر العربي يتميز بتردد فكرة الصيد فيه بشكل استمر منذ ما قبل الإسلام مروراً بالعصرين الأموي والعباسي إلى العصر الحديث. وتخضع هذه الاستمرارية لهذه الفكرة، من الصياد ورفاقه وفرسه والصقر والفريسة، إن كانت حماراً وحشياً أو غزالاً أو أرنباً أو ثعلباً، إلى تحولات دراماتيكية في الأنواع الشعرية وبنيتها الأساسية.

ومن خلال الترجمات الأنيقة والتفسيرات المقنعة، يقدِّم ستيتكيفيتش، أستاذ اللغة العربية في جامعة شيكاغو الأمريكية، هذا التقليد العربي العريق ويدخله إلى حقول الدراسات الثقافية والإنسانية المعاصرة.

في الفصول الأولى من الكتاب، يستكشف ستيتكيفيتش مواضيع متنوعة من مغامرات الصيد البطولية ضمن القصائد العربية القديمة، وتحولها مع ظهور الإسلام إلى شاعرية التضحية والفداء. أما الجزء الثاني فيتتبع جماليات أشعار الصيد والتحول من مجرد الوصف إلى إطلاق العنان للمخيلة. ومن ثم ينتقل في الجزء الثالث إلى حداثة القرن العشرين مع الأشعار العربية الحرة وعودة الفكرة الكلاسيكية للصيد.



اصطياد الأغبياء: اقتصاد التلاعب والخداع
Phishing for Phools: The Economics of Manipulation and Deception
تأليف: جورج أ. أكرلوف و روبت ج. شيلر
الناشر: Princeton University Press -
سبتمبر (2015)

منذ أن وضع آدم سميث نظريته الاقتصادية الشهيرة بقي المبدأ الأساسي للاقتصاد يعتمد على كون الأسواق الحرة قادرة على توفير الرفاه المادي. ولكن العالِمان الحائزان جائزة نوبل للاقتصاد، جورج أكرلوف وروبرت شيلر، قدَّما تحدياً أساسياً لهذه النظرية، وأكدا أن الأسواق الحرة يمكن أن تكون مضرة بقدر ما قد تكون مفيدة. فلطالما كان هناك سعي لتحقيق الأرباح كان هناك دافع لاستغلال نقاط الضعف لدى المستهلك، مما يجعل عمل الأسواق الحرة مملوءاً «بالخدع والكمائن التي تصطاد الأغبياء».

يدعم أكرلوف وشيلر نظريتهما هذه بعشرات القصص التي تُظهر كيف أن الاصطياد يمكن أن يطال الجميع في كل جانب من جوانب الحياة. فنحن ننجذب أكثر مما نظن إلى الإعلانات، كما أننا ندفع كثيراً من الأموال على الأمور التي لا تفيدنا بشيء. بالإضافة إلى عدة ظواهر تنتج عن استجابتنا لهذا التلاعب أهمها ازدهار النظام المالي العالمي ومن ثم انهياره في دورات متعاقبة.



إعادة التشغيل: كيف أعادت كرة القدم الألمانية اختراع نفسها وهزمت العالم
Das Reboot: How German Soccer Reinvented Itself and Conquered the World
تأليف: رافييل هونيغستين
الناشر: Nation Books - أكتوبر (2015)

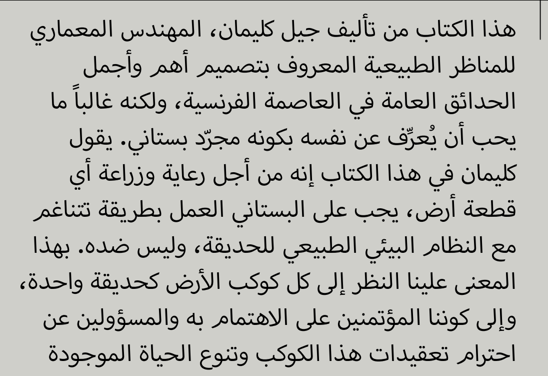
يقول مارتن ليمس من الجامعة التقنية في ميونيخ في ألمانيا إن حوالي نصف الأهداف التي تُسجل في لعبة كرة القدم عشوائية. ولكن كتاب «إعادة التشغيل» لمؤلفه رافييل هونيغستين يركِّز على الجانب غير العشوائي لهذه اللعبة الرياضية الأكثر شعبية في العالم، ويؤكد أن الفريق المدرَّب والمجهَّز بشكل جيد قادر أن يتغلب على جميع الصعوبات وتحقيق الفوز المنشود.

فبعد فترة طويلة من الإنجازات الألمانية العظيمة في مجال كرة القدم، عانت هذه اللعبة تراجعاً كبيراً في تسعينيات القرن الماضي، مما أدى إلى اقتناع اتحاد كرة القدم الوطني هناك بوجوب اتخاذ خطوات إصلاحية جذرية للنهوض بهذه اللعبة من جديد. ويستعرض الكتاب أهم هذه الخطوات التي يمكن أن تتلخص بإنشاء الأكاديميات الكروية المتخصصة، التي تركز على تدريب الشباب الصغار، والإصلاحات الكبيرة التي أدخلها يورغن كلينسمان عندما بدأ عمله كمدرِّب للفريق الوطني في 2004م حين سلَّط الضوء على تطوير الجانب الفكري للاعبين إلى جانب قدراتهم الجسدية، كما عمل على تحسين إدارة الفريق بشكل مستمر.





حديقة الكوكب وكتابات أخرى
The Planetary Garden and Other
تأليف: جيل كليمان - ترجمة: ساندرا موريس
الناشر: University of Pennsylvania Press
يونيو (2015)

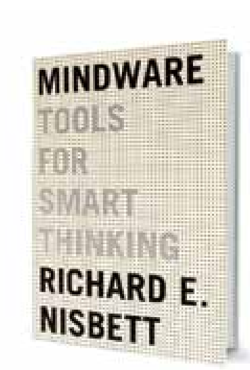


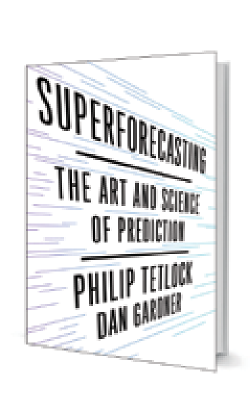
هذا الكتاب من تأليف جيل كليمان، المهندس المعماري للمناظر الطبيعية المعروف بتصميم أهم وأجمل الحدائق العامة في العاصمة الفرنسية، ولكنه غالباً ما يحب أن يُعرِّف عن نفسه بكونه مجرّد بستاني. يقول كليمان في هذا الكتاب إنه من أجل رعاية وزراعة أي قطعة أرض، يجب على البستاني العمل بطريقة تتناغم مع النظام البيئي الطبيعي للحديقة، وليس ضده. بهذا المعنى علينا النظر إلى كل كوكب الأرض كحديقة واحدة، وإلى كوننا المؤتمنين على الاهتمام به والمسؤولين عن احترام تعقيدات هذا الكوكب وتنوع الحياة الموجودة عليه.

يُعد هذا الكتاب بمنزلة بيان بيئي يرسم فيه كليمان القوانين العامة التي تحكم العالم الطبيعي والمبادئ التي ينبغي أن توجه إدارتنا لحديقة الأرض العالمية. وكل هذه المبادئ تؤكد على الفلسفة التي يشدِّد عليها كليمان، والتي تفترض عدم الفصل بين الإنسان والبيئة العالمية الطبيعية المحيطة به.

بين كتابين

أدوات التفكير الذكي





(1) كتاب: عدّة العقل: أدوات التفكير الذكي. تأليف: ريتشارد نيسبيت
Mindware: Tools for Smart Thinking by Richard Nisbett
الناشر: Farrar, Straus & Giroux - أغسطس (2015)

(2) التوقع الدقيق: فن وعلم التنبؤ. تأليف: فيليب تيتلوك ودان غاردنر
Superforecasting: The Art and Science of Prediction by Philip Tetlock and Dan Gardner
الناشر: Crown Publishers - سبتمبر (2015)

يقدِّم كتابان صدرا حديثاً بعنواني «عدّة العقل» و«التوقع الدقيق»، طرقاً مختلفة للتعامل مع العالم المعقَّد الذي نعيش فيه.

«عدّة العقل» هو كتاب مهم لعالم النفس ريتشارد نيسبيت، الذي قال عنه الكاتب مالكولم غلادويل، صاحب المؤلفات الشهيرة مثل «الومضة» و«المميزون»، بأنه «أكثر المفكرين تأثيراً في حياتي»، وأضاف أنه «هو الذي ساعدني على تكوين رؤيتي للعالم». يعرض الكتاب في أجزائه الستة لعدد من العوامل المهمة التي تؤثر في طريقة التفكير، من دور الوعي في إطلاق الأحكام واتخاذ القرارات، إلى دروس الاقتصاد السلوكي إلى مبادئ الإحصاء والاحتمالات، إلى علم المنطق وطبيعة المعرفة وكيفية اختبار الأفكار. وقد أشار نيسبيت إلى أنه «لا يوجد شيء في الكتاب لا يتطابق مع متطلبات الحس السليم».

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا، هو: لماذا نهتم بكتاب يعلِّمنا كيفية التحلي بالحس السليم الذي نمتلكه جميعنا وإن كان بدرجات متفاوتة؟ يجيب نيسبيت نفسه عن هذا السؤال بقوله: إنه عند قراءة هذا الكتاب سيصبح القارىء أذكى، لأن الكتاب المذكور يُعد مكملاً للحس السليم من خلال عرضه لمجموعة من المبادئ والقوانين التي، عند اكتسابها بشكل جيد، يمكن تطبيقها تلقائياً لحل عدد كبير من المشكلات المعقَّدة. ويضيف أن من أهم نقاط الضعف التي نعاني منها هي أننا لا نعرف كيفية وضع أطر مختلفة للمشكلات التي نواجهها. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب من حيث تقديمه لطرق مختلفة في التفكير بمسألة معينة، تكون كلها معتمدة على أدلة ثابتة. وكل ذلك يسمح باتخاذ القرارات الأنسب وتغيير حياتنا إلى الأفضل.

وبينما يتطرق كتاب «عدّة العقل» لفهم العالم المعقَّد الذي نعيش فيه من عدة جوانب، يركِّز كتاب «التوقع الدقيق» على مسألة واحدة: كيف تكوِّن النظريات حول ما سيحدث في المستقبل. هل ستنشب الحرب؟ هل أن الانهيار الاقتصادي قادم لا محالة؟ هل سيتفشَّى هذا الوباء؟ماذا ستكون نتيجة هذه الانتخابات؟ وغيرها الكثير من المسائل التي يمكن توقعها من أجل تجنبها أو التعامل معها بشكل أفضل.

قسّم تيتلوك الأشخاص إلى فئتين: «القنافذ» الذين يعتمد فهمهم للعالم على فكرة واحدة أو فكرتين، و«الثعالب» الذين يؤمنون بأن العالم الذي نعيش فيه معقَّد لدرجة أنه لا يمكننا أن نسير فيه تحت شعار واحد. والذين يستطيعون التوقع الدقيق هم بالطبع من الفئة الثانية. فهم واعون تماماً لخدع العقل التي يمكن توهمنا بأن ما نتوقعه هو دقيق بالفعل، وهم على استعداد دائم لتغيير توقعاتهم عند ظهور أدلة جديدة، كما أنهم منفتحون على الأفكار الجديدة، إضافة إلى تحلّيهم بميزة الحذر الدائم دون التخلي عن القدرة على الحسم. ويضيف تيتلوك أن التوقع الدقيق يستدعي وجود «التواضع المطلوب لإصدار الأحكام السليمة، الذي لا علاقة له بالتشكيك بالنفس ولا بالإحساس بعدم الموهبة وقلة الذكاء أو القيمة»، وإنما المطلوب هو التواضع الفكري الذي يشمل الإدراك بأن الحقيقة معقَّدة بشكل كبير، وبأن رؤية الأمور بوضوح هي معاناة مستمرة، وبأن إصدار الأحكام البشرية لا بدَّ وأن يكون مشوباً بالأخطاء.

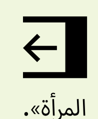
يقدِّم الكتاب مجموعة من المبادئ الأساسية التي تعتمد على البيانات والمنطق والقضاء على التحيز الشخصي ومتابعة التقارير، لمعرفة دقة توقعاتك وتوقعات الآخرين وتفكيك أية مسألة إلى أجزاء والتمييز بين الحقائق والافتراضات. وليست هذه بالمبادئ الجديدة أو المثيرة، ولكن المثير هو دقة التوقعات التي تُمكِّن أشخاصاً عاديين من تحقيقها من خلال التطبيق الدقيق لهذه المبادئ الأساسية.

ولسوء الحظ، يواجه معظم الناس صعوبة في تطبيق هذه المبادئ في حياتهم اليومية. ولكن مما لا شك فيه أن التوصيات المقدَّمة في كتابي «عدّة العقل» و«التوقع الدقيق»، تتيح للجميع فرصة التفاعل بشكل أفضل وأذكى مع العالم المُحيِّر الذي نعيش فيه.

قول في مقال

حول الكتابة عن المرأة

هند إبراهيم القحطاني



قرأت في القافلة مؤخراً مقالاً للأستاذ محمد العصيمي بعنوان «أن تكتب عن المرأة».

أخذ بي المقال كثيراً، وأدهشني عنوانه في صيغته الشرطية (أن)..، قرأتُ الأحرف، ولا أخفيكم قرأتها بجنسي الأنثوي أو لكوني امرأة كما يريد الكاتب أن أقرأه.. استوقفتني قوة شواهده بزمانها وأسماء صاحباتها ونقل مقولاتهن التي تشدُّ وتقوي عضلات كلماته والتي من خلالها أبرز مقالته وطرح فكرته وعنون موضوعه.

حينما نتحدث عن المرأة، لا بد أن نعي أن وراءها رجلاً وأمامها رجلاً، وعند ذكر المرأة فهي دوماً مستعينة بك وبه وبهم ، وأنت كذلك على الدوام ستكون برفقة امرأة، إن لم تكن أماً، فهي زوجة أو أخت، أو قد تكون تحت رئاسة امرأة كما في زمن شجر الدر التي دبَّرت أمور الحكم في ظل وفاة زوجها السلطان الصالح أيوب، على مدى ثمانين يوماً تشهد أن للمرأة سيادتها إن هي أرادت وابتغت إلى ذلك سبيلاً.

أتفق معك أن المجتمع العربي يميِّز بين المرأة والرجل، ولكن الأمر طبيعي إلى حدٍّ ما. ففي القرآن الكريم تكلم الرب بآيات موجهة للمرأة على وجه الخصوص، ولا شأن للرجل بها.

التعميم ليس محموداً على الدوام. فالإنسانية أوسع بكثير من أن نجعلها في حروف سجينة لأوضاع يتحكم بها الإرث الاجتماعي أو مختزنة للعقل الاجتماعي الراهن في دماغ أحدنا.

نحن نتحدث ونكتب عن الرجل بصفته أباً وأخاً وزوجاً وصانعاً للبطولات ومعلماً مربياً، فاكتب عني أختاً وبنتاً ومعلمة وطبيبة.. اكتب عني، ولا تكتب عنهم ، خُصَّني بالذكر، فاسمي مباح إن كان في ظل عمل شريف يرفع الإنسان ويعلي ذكره وعمله..

ستجدني في البيت والمدرسة، في الجامعة والمستشفى وحتى في السوبرماركت، أبذل وأعطي لأشيد حروفك وأصنع كلماتك ونتعاون في طرح الفكرة عني.

اكتب عني لتحميني، لترفع معنوياتي، لتجد لي مكاناً في المجتمع أسهم فيه بدوري حتى أكون صوتاً وفكرة وطرحاً ومضموناً يستحق الإشادة به.

لقد كان للمرأة في عهد النبوة والخلافة الراشدة حضور وقوة ومشاركة فعالة في المجتمع. فكانت تتعلم وتَعلِّم ويقصدها طلاب العلم للأخذ منها. ولم تقتصر براعة المرأة على ذلك، فقد تجاوزته إلى مجال الشعر والأدب، وفاق بعض النسوة الرجال. فالمرأة منذ خلقت وصوتها مسموع، وفكرها إن كان محموداً فهو موجود وخلَّده التاريخ لها، ولك على سبيل المثال: الخنساء (تماضر بنت عمرو) التي أجمع الدارسون على رفعة مستوى شعرها، وهند بنت عتبة صاحبة الأبيات التي تطرق الأسماع حتى الآن، وكانت السيدة عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنها -، من الصحابيات الفصيحات البليغات بالأنساب والأشعار، ولا ننسى السيدة خديجة رضي الله عنها، وغيرهن الكثيرات ممن خلدهن التاريخ، وتكلم عنهنَّ الكتَّاب وكتبوا وفصَّلوا.

وإن رغبت في عصرنا الحالي فالقائمة تطول بأسمائهن، ولك على سبيل المثال لا الحصر: الدكتورة الكاتبة أمل الطعيمي، د. ثريا العريض، د. عهود اليامي، أ. فاطمة القرني، أ. سلطانة السديري، والكثيرات غيرهن...

لا أعتقد أن التمييز الفكري الثقافي هو الآن على أساس امرأة أو رجل فقط، فقد يكتب أحدهم من الجنسين ويضرب بالفكر والثقافة عرض الحائط. فالتمييز في هذا العصر انتقل إلى شعبة أوسع وهي «المضمون».

فأنا شخصياً أرى أن المسألة باتت حول المضمون والفكرة، فثقافة المرأة وحضورها في المجتمع موجودان منذ الأزل، ولا خلاف على ذلك قطعياً. ولكن مستوى ذلك الحضور يحدده المضمون أولاً وأخيراً.

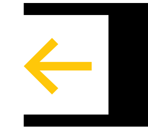
علوم

تخلَّص من عيبه البيئي

البلاستيك القابل للتحلل

نعيش اليوم في عالم يحتل فيه البلاستيك مكانة مهمة، بدءاً بتغليف الأطعمة وحفظ المشروبات وتعبئتها، إلى أكياس التسوق وصناعة المفروشات وغيرها كثير مما يعتمد على المنتجات البلاستيكية التي توفر الحماية للبضائع من التلف والتلوث والهدر. ولكن، من جهة أخرى، فإن البلاستيك هو عنوان مشكلة بيئية معروفة، بسبب صعوبات التخلص منه بعد الاستعمال. ولكن ماذا لو ظهر بلاستيك قابل للتحلل الطبيعي؟ وهذا ما حصل فعلاً.

إيمان عبدالله أمان



قبل عقود من الزمن، بدأ الترويج للأكياس البلاستيكية لتحل محل استخدام الأكياس الورقية، لأنها تتميز بخفة وزنها وقوتها وبقائها لفترة طويلة دون أن تتغير! ولكن فكرة البلاستيك الذي يبقى إلى الأبد باتت فكرة غير محبذة لصعوبة التخلص منه بسهولة، وللخطر الذي يشكله على البيئة، ولأنه يتسبب في تشويه الطبيعة، وأقله منظر الأكياس البلاستيكية وهي ملقاة على الأرض أو في البحر أو متعلقة بالأشجار..

حقائق عن البلاستيك

يستهلك العالم سنوياً حوالي تريليون كيس من البلاستيك. فالصين وحدها تستهلك 3 مليارات كيس يومياً! والولايات المتحدة الأمريكية تستهلك 380 ملياراً سنوياً. بينما تستهلك دول الخليج العربي حوالي 20 إلى 25 مليار كيس سنوياً. والجدير بالذكر أن الأكياس البلاستيكية هي مواد كيميائية مصنَّعة حرارياً من رقائق مرنة، وأفلام بلاستيكية وأنسجة بلاستيكية محبوكة، مصنوعة من البولي إيثلين المشتق من النفط. وحسب دراسة لوكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن ما بين 60 - 80% من النفايات في المسطحات المائية هي من بلاستيك. ويشكِّل رمي الأكياس البلاستيكية في المسطحات الزراعية خطراً على التوازن الميكروبي للتربة وإعاقة تغذية النبات. أما إذا تم دفنها في التربة، فيتسبب



ذلك في فصل التربة إلى جزءين، العلوي حيث يتجمع فيه الماء، والسفلي الذي لا يحصل على الماء والأسمدة اللازمة لنمو الزرع. وتؤدي عملية حرق الأكياس البلاستيكية مع النفايات إلى تلوث الهواء بالغازات المتصاعدة السامة المضرة بصحة الإنسان، مثل أكاسيد الكربون وأكاسيد النيتروجين، ومركبات هيدروكربونية طيارة عديدة.

التجارب الناجحة في التوعية البيئية

في كثير من الدول، تشجِّع البلديات محلات التسوق الكبرى، على الحدّ من استهلاك الأكياس البلاستيكية عن طريق بيع الكيس البلاستيكي للمستهلك إذا أراد نقل مشترياته، فلا يقدَّم إليه مجاناً، لتشجيع عادات بيئية جيدة مثل إعادة استخدام الكيس لأكثر من مرة واحدة. وهناك منظمات بيئية تدعو إلى فرض حظر على بيع وشراء الأكياس البلاستيكية، وإلى تشجيع المحلات على التحول إلى الأكياس البلاستيكية القابلة للتحلل، بدلاً من الأكياس البلاستيكية الضارة.

كانت إيطاليا أول دولة أوروبية تحظر استخدام الأكياس البلاستيكية غير القابلة للتحلل! بالإضافة إلى عدد من الدول التي اقتصرت على حظر استخدام الأكياس البلاستيكية ذات النسيج الرقيق جداً (thin plastic bags)، مثل الصين وجنوب إفريقيا وكينيا وأوغندا. وفي بنجلاديش والنيبال صار القانون يحظر هذا النوع من البلاستيك

يستهلك العالم سنوياً حوالي تريليون واحد من الأكياس البلاستيكية ومليون يومياً، بينما تستهلك الصين وحدها 3 مليارات كيس يومياً!





بعد أن تسبب إلقاء المخلفات من الأكياس البلاستيكية في سد مجاري تصريف مياه الأمطار الغزيرة في الطرقات، وبالتالي حدوث فيضانات مميتة. أما في دولة الإمارات العربية المتحدة فقد تمَّ حظر استخدام أكياس البلاستيك التقليدية، لتحل محلها الأكياس البلاستيكية القابلة للتحلل من نوع OXO.

البلاستيك القابلة للتحلل

هو نوع مطوَّر من البلاستيك القابل للتحلل بعد فترة زمنية معينة يمكن أن تطول أو تقصر بحسب طبيعة العوامل المساعدة على التحلل في البيئة، وذلك بسبب مكوناته من الخامات النباتية.

ويمكن تقسيم البلاستيك القابل للتحلل إلى نوعين بحسب المادة المصنَّعة منه: البلاستيك الحيوي المعتمد في مكوناته على الخامات النباتية المتجددة organic materials (النباتات والنشا والسكريات والسليلوز) القابلة للتحلل بشكل حيوي في ظروف مناسبة بفعل البكتيريا، فيتفكك إلى غاز ثاني أكسيد الكربون أو غاز الميثان في مدة قد تصل إلى ستة أشهر. وثانياً، البلاستيك القابل



زيّ مصنوع من الأكياس البلاستيكية

تستهلك دول الخليج العربي حوالي 20 إلى 25 مليار كيس سنويا. والأكياس البلاستيكية هي مواد كيميائية مصنَّعة حرارياً من رقائق مرنة، وأفلام بلاستيكية وأنسجة محبوكة أو بلاستيكية.

للتحلل المصنّع من البتروكيماويات مع إضافة مادة تسمى «w2d» إليه، تحسّن قابليته للتحلل وبشكل كامل. وتتم هذه العملية في كافة الظروف، في الضوء والظلام، في الحر والبرد، سواء أكانت بيئته جافة أو مغمورة بالماء، دون ترك أي شظايا أو غاز الميثان، ولا يحتاج إلى توفر بيئة من الميكروبات كي يتحلل ويتفكك. وعندما يتحلل هذا البلاستيك المميز في التربة فإنه يفيدها ولا يؤثر على النبات، حتى إنه يمكن إعادة استخدام البلاستيك القابل للتحلل في شكل أسمدة للنباتات، ويمكن إعادة تدوير المهملات من البلاستيك القابل للتحلل واستخدامها من جديد.

ويمكن إجمال فوائد البلاستيك القابل للتحلل على النحو التالي:

- تخفيض الاعتماد على مصادر الوقود الأحفوري: أغلب البوليمرات polymers (المكون للبلاستيك التقليدي) هي مصنَّعة من المشتقات البترولية، مما يرفع الطلب على مشتقات النفط، خلافاً للبلاستيك المصنّع من خامات حيوية، مثل الأنواع المعروفة بالرموز: PHBV، PLA، وPHA.

- البلاستيك القابل للتحلل مصنوع من مواد حيوية وهي موارد متجددة مثل الأشجار والنباتات والأعشاب، وعدد من المواد العضوية القابلة للتحلل بسرعة مثل الدهون الحيوانية والأنسجة.

• الإسهام في خفض كمية النفايات، حيث يمكن جمع بقايا الطعام مع البلاستيك القابل للتحلل وتحويل هذا الخليط إلى سماد دفعة واحدة دون فرز.

• سهولة إعادة تدويره، بسبب قابلية مواده للتحلل، فإنه يحتاج إلى طاقة أقل، وهذا يرفع معيار الكفاءة لهذا النوع من البلاستيك.

• يتحلل (يتفكك) في مدة زمنية قصيرة في حال عدم تدويره، ويمكن إعادة استخدامه مرات عدة بعد التدوير.

• البلاستيك القابل للتحلل يعتمد في تصنيعه على الخامات النباتية والحيوية، وهو بذلك غير سامّ، عكس البلاستيك التقليدي المحتوي على مواد ضارة وكيماوية ضارة بالإنسان والبيئة.

• لا توجد تكلفة إضافية لتحويل منتجات البلاستيك التقليدية إلى البلاستيك القابل للتحلل، حيث تستخدم الأجهزة نفسها في المصنع وكذلك نوعية الأيدي العاملة.

ولكن، هذه الميزات لن تؤتي ثمارها إلا إذا ترافقت مع حملات ترشيد للرأي العام، تحضه على التحوُّل عن البلاستيك التقليدي إلى البلاستيك القابل للتحلل، علماً أن حلول الثاني محل الأول في كل مجالات استخدام البلاستيك ليس وارداً في الوقت الحاضر. لأن عدم القابلية للتحلل بسرعة هي من المميزات المطلوبة في بعض التطبيقات، مثل قوارير حفظ الأدوية لثلاث أو خمس سنوات، حيث لا يمكن المجازفة بالتعليب أو التغليف بالبلاستيك القابل للتحلل.

الحكومات ودعم الاستدامة البيئية

باتت مواضيع حماية البيئة والحدّ من التلوث من الأمور التي يسعى كثير من الحكومات لإيجاد الحلول الناجعة لها، ومن ذلك مشكلة النفايات البلاستيكية التي تشكِّل تحدياً يومياً للتخلص منها بشكل آمن أو إعادة تدويرها. وتستقبل المرادم كثيراً من النفايات التي من ضمنها البلاستيك غير القابل للتحلل، الذي يبقى على سطح الأرض أو يتم دفنه.





ومن الإجراءات التي بدأت تروَّج في الآونة الأخيرة العمل على سن قوانين تحدُّ أو تمنع استخدام الأكياس البلاستيكية غير القابلة للتحلل، خصوصاً في محلات البقالة الكبيرة، أو تحويل الأكياس المستخدمة لديهم إلى أكياس قابلة للتحلل (صديقة للبيئة). يضاف إلى ذلك تشجيع برامج إعادة التدوير للبلاستيك التقليدي، ويمكن التعامل مع (البلاستيك غير القابل للتحلل) بإضافة مادة OXO القابلة للتحلل، وهي عبارة عن مادة البولي أولفن (polyolefin) مع مقدار معيَّن من الأملاح، بحيث لا تحتوي معادن ثقيلة ضارة. وفي حالة عدم تدوير هذا النوع من البلاستيك، تقوم (الأملاح) بالتحفيز الطبيعي في وجود الأكسجين لتحويل البلاستيك إلى مادة قابلة للتحلل وحماية البيئة من التلوث وإصدار غازات الدفيئة المغضوب عليها.

ومع سياسة التوجه إلى تطبيق مستلزمات الاستدامة البيئية، نرى أن كثيراً من الدول بادرت إلى تشريع قوانين تشجِّع على التحول إلى الأكياس البلاستيكية القابلة للتحلل أو تفرضه فرضاً، كحلٍّ مجدٍ للحدِّ من مضار الأكياس البلاستيكية التقليدية وآثارها السيئة على البيئة والإنسان.

يشار أخيراً إلى أنه لم يتم تصميم البلاستيك القابل للتحلل ليتم رميه في الأماكن العامة ومجاري المياه أو البحر، بل لا بدَّ من العمل على توعية المستهلكين بضرورة تجميع هذا البلاستيك في حاويات خاصة، لإعادة تدويره وتحقيق مطلب الاستدامة البيئية.

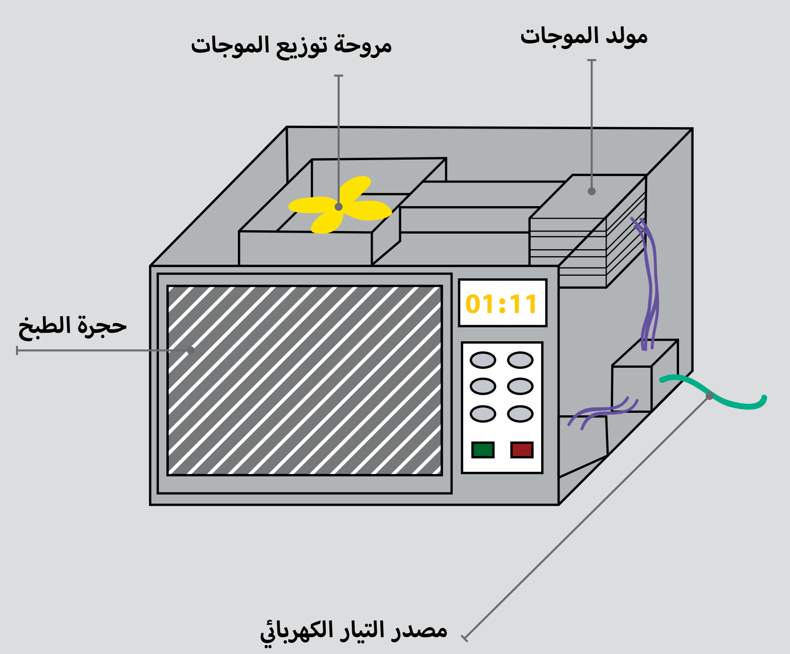


كيف يعمل...

فرن المايكروويف

أشعة الموجات الصُغْرِيّة أو أشعة المايكرو-ويف (Microwave) هي موجات كهرومغناطيسية ذات طول موجي قصير يمتد بين 1 ملليمتر (بتردد 300 غيغا هيرتز) إلى 1 متر (بتردد 300 ميغا هيرتز).

تنتج هذه الأشعة في الطبيعة عندما يمر تيار كهربائي عبر موصل، وهي تشبه موجات التلفزيون والراديو والهاتف الجوال. وتسمى الأجهزة التي تنتجها بالصمامات المغناطيسية الإلكترونية أو الـ «ماغنيترون».
تميز هذه الموجات بأنها تولّد حرارة عند اختراقها للنسيج الخلوي، إذ يتم امتصاصها من قبل جزيئات الماء فتزداد سرعة حركتها وتنتج هذه الحركة المتسارعة حرارة. ولذلك تستخدم هذه الأشعة في الأفران سريعة التسخين التي تسمى بأفران المايكروويف.



1. يشغّل مصدر التيار الكهربي مولّد الموجات (الماغنيترون) داخل الفرن فينتج أشعة مايكروويف بتردد يصل إلى 2450 ميغا هيرتز.
2. تقوم المروحة داخل الفرن بتوزيع الأشعة داخل حجرة الطهي ذات الجدران المعدنية. تنعكس الأشعة عن الجدران فتنتشر داخلها.
3. يوضع الطعام المراد تسخينه داخل الحجرة قبل تشغيل الفرن على قاعدة دوّارة لضمان مزيد من التوزيع العادل للأشعة.
4. تقوم الأشعة بتسخين المادة العضوية - الطعام - من الداخل للخارج، فيما تنعكس الأشعة عن الوعاء ما يضمن عدم احتراق أجزاء الطعام الملامسةله.
5. يستمر التسخين وفق المدة التي تمت برمجة الفرن بها بواسطة المستخدم.

أما التحذير من وضع أي جسم معدني في فرن المايكروويف، فيعود إلى أن هذا الجسم مهما كان شكله يلعب دور اللاقط لهذه الموجات، التي ينتج عنها تيار كهربائي. وإذا كان الجسم المعدني مسنناً، أو ذا حواف معدنية دقيقة، فقد تنتج عنه شرارات كهربائية تؤدي إلى احتراق الفرن أو حتى انفجاره.

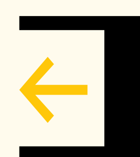
التلوث الحراري للماء

درجات مئوية قليلة تكفي لإفساده

www.breakingenergy.com

إضافة إلى الأشكال المعروفة من التلوث البيئي التي تستقطب الأضواء والتحذيرات، ثمة نوع من التلوث يلقى اهتماماً متزايداً، ألا وهو التلوث الحراري الذي، وإن بقي محصوراً في محيط المناطق الصناعية، فإن مفاعيله ملحوظة على الحياة، وخاصة المائية منها. فالعمليات الصناعيه تؤدي عادة إلى انبعاث طاقات حرارية مختلفة كالمياه الحارة أو الهواء الساخن، وعلى الرغم من أن بعض هذه الصناعات لا تلوث الماء إلا أن استخدامها كميَّات كبيرة من الماء في التبريد، ثم تصريف هذه الكميات إلى المحيطات والبحار والأنهار والبحيرات والسدود يؤثر على الحياة المائية والحيوانية والنباتية.

محمد مصطفى العُمري



التلوث الحراري هو ارتفاع درجة حرارة الماء لأي سبب غير طبيعي، الأمر الذي يؤثِّر على التوازن البيئي للمسطح المائي. ومن التعريفات الأخرى بأنه إفساد البيئة عند مصبات المياه الحارة في المسطحات المائية.

ومصادر التلوث الحراري كثيرة. ويمكن إجمالها بالقول إنها كل الصناعات التي تتولد عنها طاقة حرارية عالية، يتم تصريفها في الطبيعة عشوائياً. ومن أبرز مصادر التلوث الحراري للماء يمكننا أن نذكر على سبيل المثال محطات توليد الطاقة الكهربائية.

تُبنى هذه المحطات في أحيانٍ كثيرة بالقرب من المصادر المائية، لأنها تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه لتبريد مفاعلاتها. والتبريد يعني نقل الحرارة من الآلات إلى الماء، فترتفع حرارته. وعندما يُصرف هذا الماء إلى المسطحات المائية، فإنه يرفع حرارتها، الأمر الذي يؤدي إلى خلل في الحياة المائية والحيوانية والنباتية.

وإلى محطات التوليد الكهربائية، يمكننا أن نضيف أيضاً صناعة الحديد والصلب إلى مصادر التلوث الحراري للماء. فهذه الصناعة هي من أكثر الصناعات استهلاكاً للطاقة وتحتاج إلى كميات كبيرة من المياه للتبريد. كما أن مياه تبريدها تحتوي كميات من جزيئات الحديد والقشور المختلفة.

ولمعرفة حجم المشكلة نشير إلى أن إنتاج طن واحد من الحديد يحتاج إلى 300 متر مكعب من المياه. أما إنتاج طن واحد من الأسمدة النيتروجينية فيحتاج إلى 6000 متر مكعب من المياه من أجل عمليات التصنيع والتبريد.

إلامَ يؤدي التلوث الحراري؟

كشفت الدراسات التي أجريت على الحياة المائية في المسطحات الملوّثة حرارياً، عن بعض نتائج هذا التلوث، ومنها:

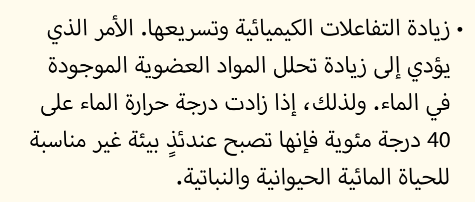
- يؤثر على العمليات الأيضية للأحياء المائية، مما يقلل من نشاطها، وبالتالي إلى موتها المبكر.
- تقل كمية الأسماك في الأنهار الملوثة، وخاصة إذا زادت درجة حرارة الماء عند المصب على 50 درجة مئوية.. ومن الأمثلة الدراماتيكية التي يمكننا أن نضربها عما يمكن أن يذهب إليه التلوث الحراري، أن بعض أنهار أمريكا الشمالية وصلت حرارتها إلى أكثر من درجة الغليان أكثر من مرة. وهذا ما يؤدي إلى انعدام الحياة فيها تماماً. ومن الأسماك التي تتأثر جداً بالتلوث الحراري للماء مهما كان طفيفاً، أسماك السلمون.
- تستطيع الأسماك وبعض الحيوانات المائية أن تهرب عند تعرضها للتلوث الحراري المائي ولكن بعض الأصداف واللافقريات والرخويات لا تستطيع أن تهرب بسرعة نظراً لضعف حركتها مما يؤدي إلى موتها. كما أن هروب الأسماك من منطقة معينة يعني إفقارها بما قد يكون مورد رزق وعيش للإنسان الذي يعيش في محيطها.
- إن ارتفاع حرارة الماء يؤدي إلى نقص الأكسجين المذاب في الماء. فمن جهة، تعمل الحرارة العالية على طرد الأكسجين الذائب، ومن جهة أخرى تُضعف قابلية الماء لإذابة الأكسجين فيه. فاللتر الواحد من المياه عند حرارة 5 درجات مئوية يذيب 9 سنتيمترات مكعبة من الأكسجين، أما عند 20 درجة مئوية فاللتر الواحد يذيب 6 سنتيمترات مكعبة من الأكسجين فقط. ولذلك، كلما زادت درجة حرارة الماء قلَّت نسبة الأكسجين في الماء. وينعكس هذا على الثروة السمكية مما يؤدي إلى خسارة كبيرة فيها وإلى موت كثير من الهائمات المائية (البلانكتون) التي تُعد مصدر غذاء رئيس ومهم للأسماك ومصدراً غير مباشر لتوفير الأكسجين أيضاً من جهة أخرى.



www.ibtimes.co.uk

www.trbimg.com

• زيادة التفاعلات الكيميائية وتسريعها. الأمر الذي يؤدي إلى زيادة تحلل المواد العضوية الموجودة في الماء. ولذلك، إذا زادت درجة حرارة الماء على 40 درجة مئوية فإنها تصبح عندئذٍ بيئة غير مناسبة للحياة المائية الحيوانية والنباتية.



• تغير طوبوغرافي عام على المدى الطويل عند مصبات المياه الحارة.

• إن البرمائيات مثل الضفادع والسرطانات هي أكثر حساسية من الأسماك تجاه التلوث الحراري الذي قد يؤدي إلى هجرتها أو موتها، الأمر الذي ينعكس سلباً بدوره على الطيور التي تتغذى عليها.

• يؤدي التلوث الحراري إلى تحلل الملوّثات الأيونية، مثل أيون السيانيد وأيون الأمونيوم. أما الأمونيا فتشكل حالة اتزان بين جزئي الأمونيا من جهة وأيون الأمونيوم وأيون الهيدروكسيد من جهة ثانية. ولا ننسى أن جزيء الأمونيا سامٌّ جداً بالنسبة للحيوانات البحرية. ومن الأمثلة على البحيرات التي توقفت فيها الحياة المائية بحيرة أورتا في إيطاليا منذ أكثر من ستين سنة، وبحيرة إيري في أمريكا الشمالية التي يصب فيها سبعة ملايين متر مكعب من المياه المستعملة في المدن، وثلاثة ملايين من المياه الملوثة حرارياً والناتجة عن الصناعة.

• ومن التأثيرات الطبيعية للتلوث الحراري للماء تغير لزوجته وقدرته على الشد السطحي وعلى تذويب الغازات.

وصولاً إلى الإنسان

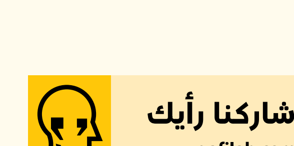
وتمتد مفاعيل التلوث الحراري للماء إلى الإنسان. وذلك ليس فقط من خلال خسارته للثروة السمكية، بل أيضاً من خلال ما يتبقى له منها. فمعروف أن الأسماك النافقة تبدأ بإفراز مادة سامة تُعرف باسم «ديوكسين السمك». وبعيد اصطياد السمك بوقت قليل، تكون نسبة هذا الديوكسين ضئيلة جداً، ولكنها تزداد بمرور الوقت، ولذا تفسد الأسماك بعد أيام قليلة من اصطيادها، أو حتى بعد يوم واحد إذا لم يتم تبريدها أو تجميدها لإبطاء فرزها لهذا الديوكسين. أما ارتفاع حرارة الماء بشكل ملحوظ في محيط السمكة، الذي يؤدي إلى موتها ببطء، فإنه يمنح وظائفها العضوية مزيداً من الوقت لإفراز الديوكسين الذي يمكن أن ينتقل إلى الإنسان لاحقاً.

وما الحل؟

من الآن وإلى أن تتبدل تقنيات الصناعة بشكل جذري في مستقبل لا يبدو قريباً، لا مناص من استخدام المياه في تبريد الصناعات الكبيرة. غير أن حل مشكلة التلوث الحراري للماء ليست مستحيلة ولا صعبة، وإن كانت مكلفة مادياً بعض الشيء.

ففي مدينة الجبيل الصناعية، يتم تبريد المياه الحارة الخارجة من المصانع فيما يشبه البحيرة الصناعية وقناة تصريف تمتد لمسافة طويلة وتسمح للمياه أن تفقد حرارتها الخطرة قبل أن تصب في مياه الخليج العربي. وهذه القناة الصناعية هي من الضخامة بحيث يمكن رؤيتها من الفضاء الخارجي على موقع «غوغل الأرض».

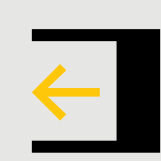
إذن فإن الحل يكمن في تخطيط المنشآت الصناعية التي تستهلك الماء للتبريد، بشكل يضمن تبريد المياه بدورها قبل إعادة ضخها في المسطح المائي الطبيعي، كما هو حال المثل الذي ذكرناه أعلاه. ولا بدَّ من سن القوانين ووضع النظم الإلزامية في هذا الشأن. ولكن في دول عديدة، لا يستقطب التلوث الحراري اهتمام الرأي العام بما يكفي لكي تعمل المنشآت من تلقاء نفسها على درء مشكلته. كما أن القوانين الضابطة لهذه المشكلة لا تزال عند حدودها الدنيا، ليس فقط في الدول الآسيوية والإفريقية النامية، بل حتى في أمريكا، ودول حوض البحر المتوسط.




بسبب الزحام، لا شك أن سكان الرياض سيرحِّبون بشركة نقل لديها تقنية الشعاع الجرار. ففي صباح يوم العمل، تخرج من بيتك إلى ساحة تجمُّع مخصصة لسكان الحارة. وما إن تصل إليها حتى ترى مركبة ضخمة تحلِّق في الأفق باتجاهك ومن معك من المنتظرين. تصل المركبة فوقكم كسحابة، ثم ينزل منها شعاع يصاحبه صوت رنان، فيحيطكم الشعاع جميعاً ويجذبكم إلى المركبة التي تطير بكم إلى ساحات إنزال على بعد خطوات من مكان عمل كل واحد منكم!

د. مَعين يحيى بن جنيد

الشعاع الجرّار



قديماً وحديثاً

فكرة الشعاع الجرار (Tractor Beam) تراود كثيراً من العلماء وكتَّاب الخيال العلمي. وتعود بداياتها إلى رواية نشرت عام 1931م، وفيها يتخيل الكاتب رحلة فضائية إلى المريخ تنتهي بهجوم تشنه مخلوقات فضائية مدججة بتقنية لم يرها الإنسان من قبل: تقنية الشعاع الجرار! فمركبة الأعداء تسلط شعاعاً يحطِّم مركبة البشر، ويجر ركامها نحو قمر من أقمار كوكب زحل. وهناك ينكب بطل الرواية ومساعدته - اللذان نجيا في إحدى المقصورات - على البحث عن مخرج من ورطتهم ويحاولان الاتصال بالأرض.

واليوم تعج روايات الخيال العلمي وبعض مسلسلاته الشهيرة بتقنيات الشعاع الجرار. ولو كنت قد شاهدت مسلسل جونكر صغيراً، فقد تذكر أنه كان يرسل شعاعاً من صدره ليجذب البطل الصغير إليه. لا شك أن فكرة الشعاع الجرار جذابة للكاتب والقارئ وصانع الأفلام، ولو كانت تقنية حقيقية لرأينا لها استخدامات لا حصر لها! تخيل دورها في عمليات الإنقاذ، وفي الحروب، وفي النقل الخاص والعام، وفي نقل الآلات والجوامد!

علوم الشعاع الجرار

لو فكرت في الافتراض الذي ذكرناه في بداية المقال، ستعرف أنه ينبغي للشعاع الجرار أن يعمل عمل المضاد

للجاذبية الأرضية؛ لكي يتمكن من جذب الشخص من الأرض إلى المركبة. وإن كانت هذه الفكرة تبدو ضاربة في عمق الخيال، غير أن بعض جوانبها يتوافق مع الفيزياء، وتحديداً النظرية النسبية العامة، وهي النظرية العلمية للجاذبية.

في المدرسة، تعرفنا على الجاذبية وفقاً لنيوتن، الذي يقال إن تفاحة سقطت على رأسه، فقاده ذلك إلى وضع نظريته وقوانينه! وجاذبية نيوتن هي نفسها التي تجعل الأرض تدور حول الشمس، والقمر حول الأرض. غير أن ما يخفى على كثير منا هو أن جاذبية نيوتن ليست النوع الوحيد من أنواع الجاذبية!

وفقاً للنسبية العامة - وهي الامتداد الذي يعالج قصور نظرية نيوتن -، فإنك إذا أتيت بجسم على شكل حلقة (دونات)، وكان ذا كتلة كبيرة، وجعلته يدور حول نفسه، ثم وضعت جسماً صغيراً في منتصف الحلقة؛ فإن نوعاً جديداً من الجاذبية قد يظهر ويؤدي لرفع الجسم الصغير إلى الأعلى. أي إنك قد ترى الجسم الصغير يطفو في الهواء؛ لا لشيء سوى دوران الحلقة الثقيلة! غير أن هذا النوع من الجاذبية الجديدة التي تنبأ بها النسبية العامة ضئيل التأثير ويتطلب ظروفاً صعبة التحقق تجريبياً.

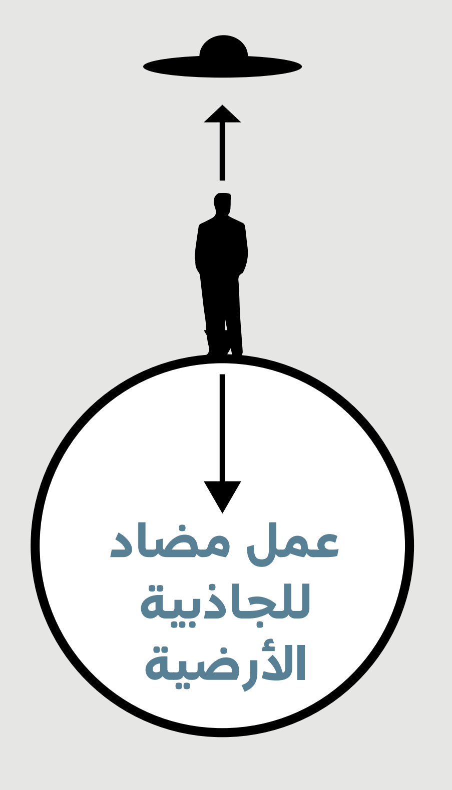
ولكن، عموماً، قد يكون باستطاعتنا في المستقبل أن نحول تنبؤات النسبية العامة إلى تقنيات للتحكم بالجاذبية وربما لخلق تقنية الشعاع الجرار.

تجارب حديثة

لطالما ارتوى كثير من الصغار من معين الخيال العلمي حتى أصبح طموح بعضهم هو أن يكونوا علماء يحيلون الخيال إلى واقع. وهذا ما حدث مع الشعاع الجرار. إذ نجح علماء اليوم في تحقيقه تجريبياً. ليس في نطاق نقل البشر، بل في العالم المجهري (واحد على مليون من المتر) وحدود المليمتر (واحد على ألف من المتر).

ففي العام الماضي، تمكن باحثون من تحريك كرات زجاجية مغلفة بذرات الذهب وذات أبعاد مجهرية لعشرات السنتيمترات، وذلك باستخدام «شعاع جرار» من الليزر. وتقوم الفكرة على تسليط شعاع ليزري خاص على الكرات المغموسة في وسط غازي داخل أنبوبة أسطوانية، وبسبب خصائص الليزر فإن درجة حرارة مختلف أجزاء الكرة تتغير بطريقة تؤدي إلى نشوء ظاهرة تسمى القوة الكهروضوئية، وهي التي تدفع الكرة - أو تجرها - لمسافات سنتيمترية.

وفي هذا العام، قام باحثون بصناعة «شعاع جرار» باستخدام موجات فوق صوتية - مثل تلك المستخدمة في تصوير الجنين في بطن أمه - تقوم



برفع وتحريك وتدوير كرات صغيرة بحجم نواة الفستق أو تصغرها. وتصدر تلك الموجات عن منظومة مكبرات صغيرة ومترابطة مربعة الشكل تتحرك الكرة الصغيرة فوقها. وتقوم فكرة التجربة على استخدام ضغط الموجات فوق الصوتية لرفع الكرة في الهواء والتحكم في حركتها. أما المكبرات، فهي مبرمجة لخلق تلك الموجات فوق الصوتية على هيئة ثلاثية الأبعاد تحيط بالجسم المراد تحريكه، ولتغيير خصائصها حسب المهمة المطلوبة.

إن نتائج التجربتين السابقتين قد تستخدم في عالم الأبحاث والصناعات المجهرية والصغيرة، إذ يمكن أن تترجم إلى تقنيات لنقل الأجسام وعزلها ودراستها. بل قد تصل إلى عالم الجراحة الطبية الدقيقة!

البداية والنهاية

ولكن تقنية الشعاع الجرار ما زالت محصورة في نطاق الأبعاد الصغيرة. وتقوم على فكرة الضغط الكهروضوئي، أو ضغط الموجات فوق الصوتية. وحتى الآن، لا نعرف كيف نتحكم بالجاذبية على مستوى يمكننا من خلق شعاع جرار لمركبة تقلنا حول الرياض أو إلى مدينتك التي تسكنها!

ربما الأجيال المقبلة ستصل إلى هذه التقنية ليس للانتقال في أرجاء الأرض وحسب، بل لصد الأجرام السماوية التي قد تهدد الأرض، وصيد الكويكبات التي تحتوي معادن ثمينة. وأخيراً، ستكون وسيلة غاية في الأهمية عندما نزور كواكب أخرى، فمركباتنا ستكون مثل جونكر، والمستكشفون هم البطل الصغير. ➔



الرمز كابا (𝒦) هو الحرف العاشر في الأبجدية الإغريقية. وكما هو واضح، فهو الجد القديم - شكلاً ونطقاً - للحرف K.

وبسبب موقعه في الأبجدية الإغريقية، تمَّت تسمية النجم العاشر في مجموعة كوكبة الجبّار باسم Kappa Orion وهو النجم (سيف) بالعربية.

في علم المخططات حيث تمثِّل العلاقة بين الموجودات بنقاط بينها خطوط أو روابط، يُعتمد الرمز كابا للإشارة إلى مقدار التواصلية بين نقاط الرسم البياني لقياس العدد اللازم من الخدود التي لو أزلناها، لصارت هناك قطيعة بيّنة بين النقاط في الرسم.

كابا حاضر كذلك في الفيزياء ويرمز إلى (ثابت القوة) في قانون هوك الذي يقيس قوة الإجهاد التي يتغير بها شكل الجسم المرن إذا ما تعرض لقوة قد تشوهه بحيث لا يعود إلى شكله الأصلي. كما أن ثابت آينشتاين للجاذبية يُرمز له بالرمز كابا، والمعروف أن تعريف آينشتاين للجاذبية يختلف عن تعريف نيوتن الكلاسيكي لكون آينشتاين يقرن جاذبيته بالزمكان وبانحناء المسارات المستقيمة عند اللانهاية!

في علم النفس، ترمز كابا إلى مقدار الاعتمادية والموثوقية في تشخيص الحالة. أما في الصيدلة، فترمز كابا إلى نوع من المستقبِلات العصبية تعرف بالمستقبلات الأفيونية، الموجودة في الجهاز العصبي المركزي والقناة الهضمية، وتُصنع لأجلها مسكنات تستخدم عادةً لتسكين الآلام الشديدة والحادّة كآلام السرطان أو المغص الكلوي. ➔



منتج

صندوق التلفزيون الرقمي

مضى زمن كان الناس يتحلقون فيه أمام شاشة «الرائي»، في المقاهي والبيوت، ليتابعوا مباراة كرة أو خطاب زعيم. لكن التلفزيون اليوم بات يواجه منافسة ضارية تكاد أن تلغي دور محطات البث الأرضية والفضائية. هذا المنافس المرعب هو الإنترنت. لأن قنوات الإنترنت - اليوتيوب تحديداً - صارت تتيح لك أن تشاهد ما تشاء وقتما تشاء. وصارت توفر كذلك محتوى بديلاً يناسب ذائقة الشباب أكثر، غير مقترن برؤى المخرجين والمنتجين ولا مرتهن بسوق الإعلان.

مؤخراً.. بات اليوتيوب ومشتقاته في مواجهة خطر جديد. فالتلفزة اليوم مقبلة على مرحلة مختلفة تماماً مسخت التلفزيون إلى محض «شاشة» لعرض المحتوى فحسب. أما المحتوى نفسه فمادة رقمية يتم بيعها أو تأجيرها حسب الطلب، من قبل مسوِّقين محترفين عبر صناديق صغيرة حلّت محل «الرسيفر» والحاسوب ووزارات الإعلام بأسرها. نحن اليوم في عصر «التدفق التلفازي» أو (Streaming Television)، والمستحوذون على هذه السوق هم ذواتهم عمالقة العوالم الرقمية: أبل وأمازون وغوغل، ومن سار مسارهم واختط خطهم.

صندوق وجهاز تحكم وبطاقة ائتمان

في السوق اليوم منتج واحد تقريباً لكنه مطروح تحت أكثر من علامة تجارية. يحمل شعار غوغل وأبل وأمازون في إطار حرب شعواء للاستحواذ على سوق البث الرقمي التلفازي. هذا المنتج - مع تعدد اسمه التجاري - له ذات السمات المشتركة: صندوق أسود ينبغي لك وصله بمصدر للكهرباء، وبقابس الإنترنت، وبشاشة التلفاز. كما أنه يأتي بجهاز تحكم عن بُعد. وهذا الوصف يكاد يكون مطابقاً لـ «الرسيفر» التقليدي. لكن الفرق هنا أنك لن تحتاج لصحن «الدش» المزعج وأسلاكه المتدلية من السطح. فعبر فضاء الإنترنت ستتمكن من الوصول لكل محتوى رقمي ممكن. شرط أن يكون لديك حساب مستخدم مرتبط ببطاقتك الائتمانية؛ لأنك ستضطر لأن تدفع لتشاهد.



الكثير من أساطين التلفزيون التقليديين فطنوا للفكرة وتهيأوا للمرحلة المقبلة. شركات الإنترنت الكبرى التي تسوِّق لصناديق البث الرقمي هذه تتيح لك اليوم مشاهدة برامج من إنتاج (HBO)، أو منتجين جدد متخصصين بهذه المرحلة الجديدة من عصر التلفزة مثل Netflix وHulu، إضافة لمحتوى موسيقي من متاجر أبل وSpotify وPandora فضلاً عن مصفوفة لامتناهية من الألعاب وبرامج الترفيه. هذه المنتجات الإنترنتيّة الجديدة تقدِّم خدمة الكل في واحد بشكل غير مسبوق يلغي وظيفة محطة التلفزيون والإذاعة في آنٍ معاً.

تلفاز جديد.. سلوك جديد

تمثل هذه المنتجات مرحلة ثورية جديدة في عصر التلفزيون، لا لأنها ستُنهي وجود محطة التلفزة كما انتهى وجود جهاز «الفيديو كاسيت» قبل سنين.. لكن لأنها ستقلب ممارسة «المشاهدة» رأساً على عقب وعلى نحو سيغيِّر من سلوكنا وتعاطينا من ذلك الجهاز الذي وسم سلوكنا لأجيال.

إن ارتباطنا القديم بالبث التلفزيوني المباشر، ذلك الذي يأتي إلينا في وقت محدَّد وقد لا يعود أو يتكرر إلا بعد لَأْيٍ وفي مستقبل مجهول، جعلنا نتعامل بتقدير واحترام مع المحتوى البصري، وبشيء من الالتزام الأخلاقي كذلك.

في الماضي كان المشاهد مرتهناً بوقت البث الذي تقرره المحطة. وإذا فاته موعد البث لأي سبب كان.. فاته المحتوى. وفي الماضي كان المحتوى التلفزيوني المهم يعامل بتقدير. لا أحد يتكلم ليقاطع المذيع ولا ليفسد لحظة الإبداع الدرامي. لا أحد يجرؤ على أن يمر مروراً من أمام الشاشة وقت تنفيذ ركلة الجزاء أو وقت إعلان الخبر المهم. لكن ومنذ أن تم تقديم أجهزة تسجيل المحتوى التلفزيوني TiVo في بدايات القرن الحادي والعشرين، اهتز هذا التقدير لموعد البث ولفردانيته. تغيَّرت أنماط السلوك. لأن المشاهد بات بوسعه أن يسجِّل المحتوى المباشر ليشاهده وقتما يحلو له مراراً وتكراراً. ربما يُعد ذلك تغيراً حميداً لأنه أدى لاسترخاء أعصاب الكثيرين..

لكن الآن، ومع انهمار صناديق البث الإنترنتي للأسواق وانفتاح سوق لانهائية المحتوى من الأفلام الوثائقية والترفيهية والمسلسلات والأعمال التثقيفية بكل اللغات ولكل الشرائح، فقد تؤدي هذه الوفرة المفرطة إلى أثر معاكس، ولعلها تقود إلى عدم الاكتراث. إن الأعمال الكلاسيكية القديمة قد لا تثير فينا الانبهار نفسه الذي عرفه المشاهد القديم الذي انتظر طويلاً في الماضي ليعثر عليها. كما أن المسرحية التي لم تكن تُعرض إلا صبيحة العيد قد صارت على بعد بضع نقرات في أي وقت. أعمال المخرجين العظماء، أفلام الرعب النادرة، كلها متوافرة وحاضرة حتى حدّ الابتذال.. طالما توفَّر في بطاقتك الائتمانية ما يكفي من رصيد.

الطاقة الشمسية

تحت سقفها الواقعي

تتصدَّر الشمس دوماً خيارات مصادر الطاقة البديلة التي يُراد بها أن تحل - ولو جزئياً - محل الوقود الأحفوري (النفط والغاز والفحم). ويبدو هذا الاختيار بديهياً لعدة أسباب. فالشمس كانت دوماً موجودة ومتوهجة تغمر كوكبنا بالضياء والدفء منذ 5 مليارات سنة. كما أن الطاقة الناتجة عنها تستتبع مخاطر أقل إذا ما قورنت بالطاقة النووية مثلاً.. وثمة تقديرات أولية تشير إلى أن مقدار الإسقاط الشمسي الواقع على صحراء الربع الخالي وحده كفيل بتغطية حاجة الكوكب بأسره من الطاقة الكهربائية. لِمَ لا تحل الشمس - والحال كذلك - محل الوقود الأحفوري بالكليَّة؟ لم لا تحرك الكهرباء الشمسية سياراتنا وتضيئ بيوتنا بدلاً من الاعتماد على المفاعلات النووية والفحم وسواها من مصادر الطاقة الأقل أماناً؟

د. أشرف فقيه





يُروى أن منارة الإسكندرية كانت مزوَّدة عند قمتها بمرآة كبيرة يتم تسليطها على سفن الأعداء فتسقط عليها أشعة الشمس وتحترق. سواء أكانت هذه القصة حقيقية أم مختلقة إلا أنها تشهد بفهم قديم للأدوار المتعددة لأشعة الشمس، نلحظه عند جدّاتنا اللواتي استخدمن هذه الأشعة لتجفيف الغسيل. لكن فهم العلاقة الفيزيائية بين الضوء وموجات الطاقة لم يتحقق إلا بدايات القرن العشرين، ولم تظهر أول خلية كهروضوئية إلا عام 1954م في مختبرات (بيل) الأمريكية، وكانت تلك أول خلية يسعها أن تشغل جهازاً إلكترونياً.

منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، باتت «الطاقة الشمسية» بمنزلة الوعد والحلم لمصادر الطاقة البديلة للنفط. فالشمس تشعّ بتفاعلاتها النووية بعيداً على مسافة 150 مليون كيلومتر عن الأرض، هي آمن بكثير من المفاعلات النووية الصناعية التي تُرعبنا بحوادثها المحتملة. والشمس - عكس الرياح - تغطي الأرض كلها. كما أنها - عكس النفط والفحم - مصدر طاقة متجدد لا ينضب. بل إن مصادر الطاقة المتنوعة تبدو معتالة على الشمس. فحرارة الشمس تسخِّن الهواء في الغلاف الجوي الأرضي وترفعه للطبقات العليا. ويتحرك الهواء البارد ليملأ الفراغ. هذه الحركة هي ما نسميه رياحاً. وغني عن الذكر أن الحيوانات والنباتات التي عاشت وماتت قبل ملايين السنين قبل أن تتحول بقاياها إلى نفط وغاز وفحم، تلك الكائنات غذّت أجسامها طاقة أشعة الشمس.

لكنَّ مزيداً من التفكر في الأمر قد يكشف أن حلم الاستغناء بالشمس عن مصادر الطاقة الأخرى ليس وردياً، ولن يكون كاملاً كما قد يبدو لأول وهلة. فهناك تعقيدات تقنية ولوجستية عدة تعترض سبيل ذلك. إذ إن استغلال الطاقة الشمسية قائم على تحويل أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية ذات فرق جهد (يقاس بالفولت) بواسطة ما يعرف بالخلايا «الفولت-ضوئية» المصنوعة أساساً من أشباه موصلات كالسليكون. والأسئلة الكبرى التي تطرح نفسها هنا، هي: ما مدى كفاءة هذه الخلايا؟ هل يسعها أن تنتج مقادير مهولة من الطاقة تنير مدننا الضخمة وتشغل المصانع ومحطات التحلية وأجهزتنا الكهربائية والإلكترونية المتعددة؟ هل يمكن لطائراتنا وبوارجنا و1,2 مليار سيارة أن تسير - ولو جزئياً - بفضل خلايا الطاقة الشمسية هذه؟ لأن النفط ومشتقاته يؤدي كل هذه المهمات على نحو جيِّد حتى الآن، ويتوقع أن تستمر كذلك إلى 100 سنة مقبلة. لِمَ التفكير في الطاقة الشمسية كبديل للنفط إذاً؟

مع انخفاض تكلفة الخلايا الكهروضوئية وزيادة إنتاجها انخفضت أسعارها وتنوَّعت استخداماتها في الأجهزة اليومية، بدءاً من ساعات المعصم والآلات الحاسبة الصغيرة

لنبدأ بالخلية الضوئية

تبدو الطاقة الشمسية مغرية لعدة أسباب: فهي أولاً طاقة نظيفة لا تنتج عنها ملوثات. وثانياً فإن مصدرها يتوهج على الدوام بإشعاع لا ينضب، وإن كان مركزاً على مناطق دون مناطق عبر كوكبنا. وهذا السبب الثاني - يوحي - بكونها طاقة رخيصة كذلك. ثالثاً؛ الطاقة الشمسية سهلة التحويل إلى كهرباء وذلك بفضل التطور في صناعة الخلايا الشمسية.

الأسطح الصقيلة الزرقاء التي نراها في صور محطات الطاقة الشمسية ما هي إلا دارات كهربائية مطبوعة على ما يُعرف بالخلية الشمسية أو «الكهرو-ضوئية». ويتم وصل الخلايا الشمسية معاً لتشكل وحدة توليد طاقة كهربائية بفرق جهد معيَّن (12 فولتاً مثلاً) على هيئة تيار كهربي مستمر (AC). وبتجميع عدة خلايا معاً يصير لدينا لوح شمسي يمكن تثبيته على سطح البناية أو هيكل السيارة.

منذ أن ظهرت الخلية الكهروضوئية الأولى قبل ستة عقود وعنصر (السليكون) يُعد المكون الأشهر لها. يتم تصميم الخلية في رقاقة مُعالجة بشكل خاص لتشكل حقلاً كهربائياً ذا قطبين: موجب وسالب. وعندما تصل الطاقة الضوئية إلى الخلية، تقوم فوتونات ضوء الشمس بتحفيز حركة الإلكترونات إلى مستوى أعلى من الطاقة الحركية. يتم تجميع الإلكترونات المحفّزة على شكل تيار كهربائي إذا تم وصل نواقل كهربائية إلى الطرفين السالب والموجب. ويخضع تصميم الخلايا الكهروضوئية لتقنيات عدة معقدة لرفع كفاءتها، من ذلك رشها بمواد كيميائية لزيادة تفاعلاتها وتزويدها بمواد تقلل الانعكاس لتركيز أشعة الشمس عليها أكثر. والخلية الكهروضوئية العادية بمساحة 4 بوصات مربعة تُنتج ما يقارب 1.5 واط من الطاقة الكهربائية في ظهيرة يوم مشمس، ويبلغ متوسط عمر اللوح الشمسي 25 عاماً.

بدأ الاستغلال الحقيقي للألواح الشمسية مع بدايات استكشاف الفضاء كمصدر منطقي للطاقة المتجددة في غياهب الفضاء الخارجي. ولا تزال أشعة الشمس خياراً مثالياً لتشغيل آليات الأقمار الصناعية والمركبات التي لا يزال أحدها (Opportunity) في الخدمة على سطح المريخ منذ يناير 2004م.

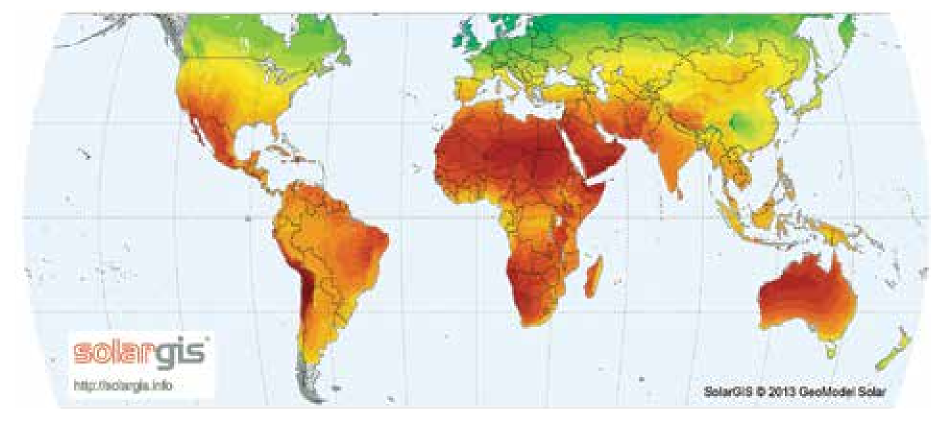
ومع انخفاض تكلفة الخلايا الكهروضوئية وزيادة إنتاجها انخفضت أسعارها وتنوعت استخداماتها في الأجهزة اليومية، بدءاً من ساعات المعصم والآلات الحاسبة الصغيرة. فاليوم يزخر العالم بالمنتجات والمركبات التي تشتغل بطاقة الشمس، فضلاً عن المجتمعات التي تعتمد على محطات هائلة لحصد طاقة الشمس حول العالم.

حظوة متزايدة

حظيت الطاقة الشمسية باهتمام عالمي كبير



المتوسط السنوي للطاقة الشمسية على سطح الأرض (1983 - 2005م)



كيلو واط / ساعة / متر مربع / يوم

< 2.0 2.5 3.0 3.5 4.0 4.5 5.0 5.5 6.0 6.5 7.0 7.5 >

كمية الطاقة الشمسية الساقطة على السطح الأفقي

كبديل واعد وبالذات مع الارتفاع في سعر النفط بعد عام 1973م. ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، لا تزال الطاقة الشمسية محل اهتمام متصاعد من الجهات البحثية والاستثمارية وتلك المناصرة لأشكال الطاقة الخضراء. وثمة مشاريع طموحة جداً في أمريكا وأوروبا واليابان والهند لتوليد مقادير عالية من الكهرباء الشمسية، فضلاً عن مبادرات عدة في المناطق النائية التي لا تصلها شبكات الكهرباء التقليدية في العالم الثالث.

ففي صحراء موهافي بجنوب كاليفورنيا، افتتحت محطة للطاقة الشمسية في فبراير 2015م كأكبر محطة لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية في العالم، تبلغ قدرتها 550 ميغا واط. وهي تستخدم نحو 8,8 مليون لوح من الكادميوم في هيئة خلايا شمسية.

ولا تفتأ الأخبار ترد بخصوص مشاريع لاستغلال طاقة الشمس في تطور منتجات ووسائل نقل متطورة. لعل أشهرها الطائرة (هيليوس) التي طورتها وكالة (ناسا) وحققت نتائج مبهرة قبل أن يتحطم نموذجها الرابع في المحيط الأطلسي قبالة سواحل هاواي عام 2003م. وهناك عدة محاولات معروفة لإنتاج سيارات شمسية. وتطورت الجهود البحثية في هذا الصدد إلى منافسات بين فرق الطلاب الجامعيين لتصميم مركبات تقطع مسافات بعيدة بكفاءة ضمن عدة (سباقات شمسية) تقام سنوياً في كل من أستراليا وأمريكا.

تحدّيات مختلفة

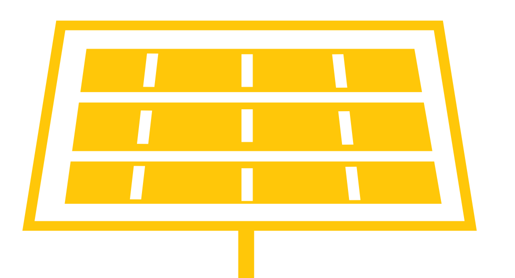
لكن، وعند الحديث عن تولد الطاقة الكافية لحياة الأحياء والمدن، فإن منظومة الطاقة الشمسية تتجاوز محض الألواح الشمسية. وستظهر لنا حينذاك تحديات قد تحدّ من حماستنا لهذه الفكرة.

فالخلايا الشمسية مثلاً هشة وسريعة العطب. وتتم حمايتها غالباً عبر وضع طبقة زجاجية فوقها. لكنها تظل حساسة أمام عوامل الطقس من سحب وأمطار والظواهر الجوية كالبرَد الذي قد يدمرها. ويُعد الغبار عدواً لدوداً للألواح الشمسية لأنه يحد من كفاءتها وقد يعطلها تماماً خاصة في المناطق الصحراوية التي هي الأنسب أصلاً لاستغلال وهج شمسها الوافر والمستمر.

كما أن تصميم محطات الطاقة الشمسية يمثِّل تحدياً هندسياً؛ لأنها يجب أن تقام في مناطق مفتوحة لا تطل عليها أية أبنية أو تضاريس مرتفعة تسقط ظلالها على الألواح خلال النهار فتعطل كفاءتها. وهذه الدقة في الحسابات تتم أيضاً على مستوى الألواح والرقائق التي توضع متقاربة بشكل مائل لتلتقط الكم الأكبر من إشعاع الشمس، لكن متباعدة بشكل يجعل كل رقيقة في منأى عن ظل الرقيقة المجاورة. طبعاً فالمساحات الفارغة هذه تُعد هندسياً بمنزلة الهدر لمورد كان يمكن استغلاله لحصد مزيد من ضوء الشمس.

مشكلة النظام الكهروضوئي الكبرى هي في صلب تعريفه، ذلك أنه معتمد كلياً على الشمس التي لا تلبث أن تغرب آخر النهار. ولخلق نظام طاقة متوازن بواسطة الألواح الشمسية، يجب تحديد المطلوب منه؛ هل ينتج الطاقة أثناء النهار فقط أم في النهار والليل؟ لأن الخيار الثاني يستلزم تأمين نوع من أنظمة تخزين الطاقة نهاراً لاستهلاكها ليلاً. وهذه الإشكالية تنسحب كذلك على وسائل المواصلات التي يراد لها أن تشتغل بالطاقة الشمسية. تخيل أنك تقود سيارتك الشمسية في يوم صحو، لتفاجئك سحابة عابرة. إن سيارتك هنا ستتباطأ وربما تقف. والحلول لهذه المشكلة تتراوح بين تزويد سيارتك ببطارية كهربائية احتياطية مكلفة وثقيلة، وبين اعتماد خزان وقود ثانوي - للطوارئ - وهي كلها حلول معقدة وغير عملية ولا مقبولة بالنظر للسهولة الكبيرة التي تتحرك بها بفضل منظومة الوقود النفطي الحالية.

من المشكلات الأخرى التي تواجه نظم الطاقة الشمسية هي في كونها تولد تياراً مستمراً. وللتكامل مع شبكات التيار الكهربي المنتشرة حول العالم لتزود المنازل والمنشآت بالطاقة، فلا بد من توصيل منظومة الطاقة الشمسية بمحوِّل للتيار الكهربائي من مستمر إلى متردد. ومن شأن ذلك أن يزيد من تكلفة الإنتاج الكليّة بطبيعة الحال.



الطاقة	طاقة الرياح	الطاقة الشمسية	الطاقة النووية	الغازولين
تكلفة الكيلو واط الساعي في السنة (بالسنت الأمريكي)	5,64	18,74	1,04	3,18
الجدوى الكلية للكيلو واط الساعي (بالسنت الأمريكي)	0,87	13,63	4,12	6,64

مصدر الجدول: http://www.brookings.edu/blogs/planetpolicy/posts/2014/05/20-low-carbon-wind-solar-power-frank

هل هي حقاً فعالة؟

لتحول أية تقنية إلى منتج فعالٍ ومنتشر في السوق، فلا بد أن تكون الجدوى الاقتصادية لها ذات مردود مقنع إن لم يكن عالياً. في مجال الطاقة تحديداً فإن الأماني الطيبة لا تكفي. وحتى مع وجود تجارب عدة لإمداد المناطق الفقيرة والنائية بالطاقة الشمسية، يظل سؤال التكلفة والمردود ملحاً بل وحاسماً. ويمكن صياغة هذا السؤال على النحو التالي: كيف تتغير تكلفة الإنتاج لكل كيلو واط في الساعة؟

ففي دراسة نشرت عام 2014م، حول التكلفة لكل كيلو واط في الساعة لعدة تقنيات بديلة مقارنة بمشتق النفط (الغازولين). يظهر جلياً أن الغازولين متفوق كثيراً على الطاقة الشمسية تحديداً في هذا الصدد. دون حساب التكاليف الإضافية الخاصة بالنقل والتخزين والصيانة.

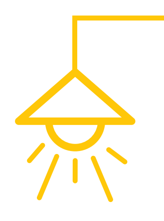
ولوضع هذه التكاليف الإضافية في السياق، نشير إلى أنه في العام 2012م كان متوسط تكلفة الكهرباء على المستهلكين في الولايات المتحدة (المستهلك الأكبر للطاقة في العالم) 9.84 سنت لكل كيلو واط ساعة، بما في ذلك تكلفة نقل وتوزيع الكهرباء. وهذا يعني أن محطة رياح جديدة ستكلف أكثر من 50 في المئة لكل كيلوواط ساعة لإنتاج الكهرباء، ومحطة جديدة للطاقة الشمسية أكثر من 200 في المئة على الأقل لكل كيلوواط ساعة، مقارنة بتقنيات الوقود الأحفوري من نفط وخلافه.

مع ذلك وبالنظر للتذبذب في أسعار النفط وبالنظر للتطورات التقنية المتوقعة، ومع الضغط الكبير على الوقود الأحفوري تظل الطاقة الشمسية بديلاً معتبراً لإنتاج جزء من الطاقة الكهربائية، وتخفيف جزء من العبء الذي يتحمله النفط ومشتقاته في عالم يزداد شراهة للطاقة كل يوم.

التجربة السعودية

تتميز المملكة العربية السعودية بموقع فريد على الخريطة الشمسية للعالم. إذ إن أراضيها تتمتع بسطوع قوي ومستمر لأشعة الشمس على مدار العام. وتقدَّر «القدرة الشمسية» للمملكة بنحو 7 مليارات ميغا واط ساعي في العام وفقاً للمختبر الوطني للطاقة المتجددة في كولورادو.

والمشاريع الرائدة بالمملكة لاستغلال الطاقة الشمسية قديمة. نذكر منها مشروع القرية الشمسية بالعُيينة الذي كان خلال الثمانينيات الميلادية واحداً من 10 مشاريع دولية مشابهة والأكبر من نوعه في العالم. وتشير الدلائل إلى وجود نية قوية لاستعادة هذه الريادة الشمسية.



الخلية الكهروضوئية العادية بمساحة 4 بوصات مربعة تُنتج ما يقارب 1.5 واط من الطاقة الكهربائية في ظهيرة يوم مشمس، ويبلغ متوسط عمر اللوح الشمسي 25 عاماً

.. ولها متاعبها البيئية أيضاً

أن تكون الطاقة الشمسية أنظف من غيرها على الصعيد البيئي، فهذا لا يعني أنها تخلو تماماً من المشكلات. ففي شهر فبراير من العام الماضي، وخلال تجربة محطة للطاقة الشمسية في ولاية نيفادا الأمريكية، فوجىء القيّمون عليها بالطيور تتساقط من السماء محترقة.

المحطة المذكورة تتضمَّن آلاف المرايا التي تعكس أشعة الشمس صوب برج مركزي يتوسطها، لرفع حرارة الملح فيه حتى الذوبان، واستخدامه في تسخين الماء وتبخيره لإدارة المولدات. ولدى تحليق الطيور في الأماكن التي تكون فيها أشعة الشمس مكثفة جداً فوق المحطة، كانت تشتعل فجأة وتسقط ميتة أو جريحة. وقد بلغ عدد الطيور التي احترقت خلال هذه التجربة 130 طيراً.

ونسبت صحيفة «دايلي ميل» التي نشرت الخبر في 23 فبراير 2015م، إلى خبراء آخرين أن محطة مشابهة في كاليفورنيا، تقضي على ما معدله 30 ألف طير في السنة. الأمر الذي يتطلب معالجة جذرية، قد تكون في إبعاد المرايا عن بعضها، أي الإقلال من كثافتها حول البرج المركزي، وهذا ما سيؤدي حتماً إلى تدني مستوى إنتاجه. ولكن الخيار هو ما بين القبول بذلك وإما الاستعداد لمواجهة غضب البيئيين.


corbis

فوفقاً لتقرير نشرته (بلومبرغ بيزنس ويك) في أوائل 2015م، فإن المملكة العربية السعودية تخطط لاستثمار 109 مليارات دولار في منشآت الطاقة الشمسية لتوليد 20% من الاستهلاك المحلي للكهرباء بحلول عام 2032م، وهو ما يعادل 41 غيغا واط، متخطية بذلك المنتج الأول عالمياً؛ ألمانيا. وسيكون لهذه الخطط تأثير كبير على المملكة نظراً لاعتماد الاقتصاد السعودي على النفط كسلعة تصدير أولى. كما أن توليد الكهرباء وتحلية المياه يقتطعان نحو 40% من مجمل الاستهلاك المحلي للنفط.

وفي المجال البحثي التطويري، فقد نجح فريق من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في تصميم وتصنيع أول سيارة شمسية، وأول سيارة عربية عموماً، تُسجّل في نظام SAE الأمريكي، وهي السيارة «وهج» التي شاركت نسختها الأولى بنجاح في السباق الشمسي بأستراليا عام 2011م.

أما مدينة الملك عبدالله للطاقة الذرية والمتجددة (KACARE) التي تتمتع بشخصية اعتبارية مستقلة، منذ إنشائها في 2010م بموجب مرسوم ملكي، فتهتم بالمساهمة في التنمية المستدامة في المملكة من خلال استخدام العلوم والبحوث والصناعات ذات الصلة بالطاقة الذرية والمتجددة، وهي تولي اهتماماً كبيراً بالطاقة الشمسية.

وتعمل المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة (SWCC) منذ 2013م، على إنشاء ثلاث محطات لتحلية المياه تعمل بالطاقة الشمسية في كل من: حقل وضبا وفَرسان. وهناك محطتان لتحلية المياه تعملان بالطاقة الشمسية حالياً في الخفجي والجبيل. ويعود التقدم المحرز في تحلية المياه بالطاقة الشمسية إلى مشروع بحثي مشترك بين شركة «آي بي إم» للأبحاث ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

ومن الواضح، في ضوء هذه المبادرات الطموحة، أن المملكة العربية السعودية تستعد لتصبح لاعباً رئيساً في سوق الطاقة الشمسية المزدهرة. كما أن توجه المملكة لتشجيع الاستثمار في مجال الطاقة المتجددة من الممكن أن يساعدها على أن تصبح منتجاً رئيساً للطاقة الشمسية في المستقبل. وهو مجال ستعضده بلا شك مشاريع الربط الكهربي الطموحة والمتوقعة على مستوى الخليج والعالم العربي



أجهزة استشعار تحوِّل الإيماءات إلى لغة



ستوفر هذه التقنية الجديدة الحلول لمشكلة التواصل بين الصم وأولئك الذين لا يفهمون لغة الإشارة. وبإمكان هذه المجسات الشعور بالحركة والنشاط العضلي في ذراع الشخص. وهذا ما يحاول تطويره مهندسون من جامعة تكساس.

وتقوم هذه التقنية على تحديد الإيماءات الصادرة عن أي شخص باستخدام مجسين، واحد يستجيب لحركة المعصم، وآخر لحركة العضلات في الذراع. ثم يتلقى برنامج خاص هذه المعلومات ويحول البيانات إلى اللغة الإنجليزية.

وأجهزة تحويل الإيماءات إلى نصوص موجودة وباتت معروفة، وتصميمها ليس معقداً. غير أنها تعتمد على الرؤية باستخدام كاميرات. وهذه كما يقول أحد المهندسين لا تفي بالغرض. لأنه عندما يتكلم أحدهم بلغة الإشارة فإنه يستخدم إشارات اليد جنباً إلى جنب مع حركات محددة للأصابع. وهذا ما لا تستطيعه الأجهزة المتوافرة التقاطه.

لكن تبيَّن أن للنموذج الأولي بعد بنائه، عيباً واحداً يعمل الفريق على حله، وهو أنه يجب تدريب النظام على الاستجابة لكل مستخدم بمفرده. وتنطوي هذه العملية على الطلب إلى المستخدم أن يكرر إيماءات اليد عدة مرات، وهو ما يستغرق حوالي 30 دقيقة لإكمالها. ذلك لأن أجسامنا مختلفة، وكذلك أيضاً بنية عضلاتنا. ويخطط فريق المهندسين لتخطي هذه العقبة بتقليص وقت التدريب أو إلغائه كاملاً في الخطوة المقبلة من التطوير.

روبوتات كالنحل

لها عيون ليزرية يمكنها تحديد موقع ضحايا الكوارث



يطور الباحثون حالياً نوعاً من الروبوت الصغير، مستوحى بيولوجياً وحجماً واسماً من النحل، وسمّوه «روبوبيز». وسيصبح بالإمكان في يومٍ ما، استعمال هذه الأجهزة في مجموعة واسعة من الاستخدامات؛ من تلقيح المحاصيل إلى تحديد مواقع ضحايا الكوارث.

كانت الأبحاث السابقة قد توصلت إلى أن روبوتات "«روبوبيز» قادرة على الطيران لكن وهي مربوطة. وتتحرك، لكن عندما تكون مغمورة بالمياه. كما تعترضها مشكلة كبيرة، وهي أنها تفتقر إلى الإدراك التناسبي. بمعنى أنها ترى الأشياء، لكنها لا تميز المسافات بينها في الحقل الواحد. وهكذا ليس بإمكانها تجنب الجدران عند التحليق أو الهبوط على الزهور.

لحل هذه المشكلة، يعتزم الباحثون تزويد هذه الروبوتات بليزر شبيه بذلك المستخدم في الرادارات. وتدعى هذه التكنولوجيا «ليدار»، وهي نوع من أجهزة استشعار تكشف الضوء ونطاقه، وتقوم على بث نبضات من الليزر غير المرئي بدلاً من موجات الراديو المستخدمة في الرادار. وباستطاعة هذه الأجهزة قياس الزمن الذي يستغرقه الضوء المنبعث للوصول. مما يمكّن من قياس حجم الأشياء وشكلها. وخلافاً لمعظم أشعة الليزر، فهي آمنة للعيون عند الاستخدام.

تساعد حالياً تقنية «ليدار» نماذج السيارات بدون سائق على الحركة وتجنب الاصطدام بالأشياء في محيطها. لكنها كبيرة بحجم فانوس التخييم. وهذا لا يناسب، «فنحن بحاجة فقط إلى تقليص حجم هذه التكنولوجيا لتناسب الروبوبيز، التي هي بحجم قطعة نقد معدنية صغيرة» كما يقول كارثيك دانتو عالِم الكمبيوتر في جامعة «بوفالو» في نيويورك وأحد أعضاء الفريق الباحث.

وسيكون وزن جهاز استشعار ليدار 56 ملليغرام، أو جزءاً من 17 من الغرام الواحد. ويأمل الباحثون أن يكون هذا الجهاز قيد العمل في غضون سنوات ثلاث. وتتعاون في تطوير هذه التقنية عدة جامعات أمريكية بينها جامعة فلوريدا وجامعة هارفارد.

ويقول الباحثون إن هذه التقنية لن تقتصر في المستقبل على روبوتات الحشرات، بل ستتعداها إلى تطبيقات أخرى يمكن أن تنطوي على مساعدة الناس على التفاعل مع الأجهزة المحمولة، باستخدام وسائط الاستخدام الطبيعية. وهكذا يمكننا أن نتخيل الدور الذي ستلعبه هذه الوسائط في التكنولوجيات القابلة للارتداء مثل الألبسة والساعات الذكية.



شاركنا رأيك
www.qafilah.com

ورود سايبورغية

مزودة بأسلاك تنمو ذاتياً



هل سيصبح بإمكاننا يوماً ما إعطاء تعليمات إلى الزهور تحدِّد لها متى تزهر تجنباً لصقيع وشيك؟ أو متى تتخلى عن الهرمونات لمنع يباسها؟ هذا ما يبدو محتملاً. فقد تمكن بعض العلماء في السويد من تصنيع وردة سايبورغية، تعيش بدوائر إلكترونية صغيرة مترابطة مع أوعيتها.

والسايبورغ هو كائن مؤلف من عناصر عضوية متكاملة مع أخرى بيولوجية - ميكانيكية - إلكترونية صناعية.

يتم إدخال البولمرات الإلكترونية المتناهية الصغر إلى النبتة، وبطريقة ما، تتجمع ذاتياً بفضل بنية الوردة الداخلية. وهذا يعني أن الوردة تساعد في تنظيم الأجهزة الإلكترونية، كما يقول ماغنوس بيرغرين أحد الباحثين في جامعة «لينكوبينغ» في بلجيكا.

قطع الباحثون سيقان الورود ثم وضعوها في محلول من البولمرات العضوية التي هي موصلة جيدة للكهرباء عندما تصبح رطبة. وبعد يوم أو يومين، قشّر الفريق الطبقات الخارجية من اللحاء، كاشفاً عن تشكل أسلاك صغيرة من البولمرات العضوية وقد تسللت حتى ارتفاع 5 سنتيمترات في الجذع.

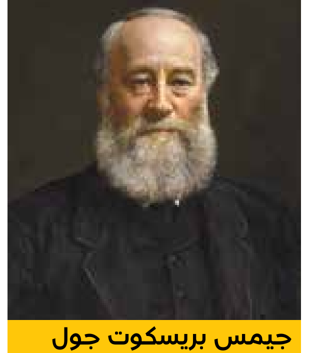
وعلق بيرغرين على هذه النتيجة بقوله: عندما رأيت ذلك، عرفت فوراً أن الوردة قادرة على صنع أسلاك إلكترونية.

بعد عدة أيام، أوضح الفريق أن الأسلاك أصبحت موصلة للكهرباء. ومنذ ذلك الحين، اخترع الباحثون سلسلة من الترانزيستورات ذاتية التجميع، وهي من العناصر الأساسية لشبكة الاستشعار. وإذا جمعنا هذه مع أجهزة التوزيع، فسنصل إلى نظام خلايا عصبية لتسجيل فيزيولوجيا النبات وإدراكها وتنظيمها.

هكذا يصبح بالإمكان التحكم بنمو النباتات. خاصة، كما يضيف بيرغرين، عندما ندمج هذه التقنية الجديدة مع التقنية المطبقة على النبات حتى اليوم وهي الهندسة الجينية.

الاسم المعياري

جُول


جيمس بريسكوت جول

جيمس بريسكوت جول هو عالِم تجريبي إنجليزي اكتشف العلاقة بين الطاقة والشغل المبذول لإنتاج هذه الطاقة. وصار اسمه معياراً لقياس مقدار الطاقة وفقاً للمعادلة الشهيرة:

1 جول = 1 نيوتن . 1 متر

أو بكلام آخر، فإن الجول هو ناتج تسليط قوة مقدارها 1 نيوتن عبر مسافة متر واحد. هذه العلاقة كانت نتيجة لملاحظات وأبحاث مطولة اقترنت بالثورة الصناعية خلال القرن التاسع العشر وبمحاولة تفسير الطاقة التي أنتجتها معجزة ذلك الزمان: المحرك البخاري. أراد العلماء أن يقدموا تعريفاً لـ «الحرارة» التي كانت شكلاً من أشكال الطاقة وناتجاً من نواتج تشغيل المحرك البخاري.

ظهرت محاولات إيجاد تعريف فيزيائي للحرارة قبل ذلك عند الفرنسي سادي كانو، وزميله لافوازييه الذي أطاحت مقصلة الثوار برأسه. وفي أمريكا، اقترح ضابط بريطاني يُدعى بنيامين طومسون أن تكون الحرارة ناجمة عن الحركة المتسارعة لجزيئات المادة. ولم يقتنع المعاصرون بهذه الفكرة الواعدة.

ولد جول عام 1818م ونشأ في مانشستر التي كانت عاصمة أوروبا الصناعية حينها، ما يعني أنه كان محاطاً بالمحركات البخارية منذ أن وعى على الدنيا. وحين قرر أن يتخصص في العلوم، اتجه نحو دراسة العلاقة بين الحرارة والطاقة، ميكانيكية كانت أو كهربائية.

في عام 1845م أجرى جول بحثاً بعنوان «المكافئ الميكانيكي للحرارة» وقدَّمه في جلسة الجمعية البريطانية في كامبريدج، واقترح فيه أن مقداراً محدداً من الشغل الميكانيكي سينتج عنه مقدار محدد من الحرارة، معبراً عن الشغل الميكانيكي بواسطة السقوط من ارتفاع يؤدي لتدوير مروحة مغمورة في برميل من الماء. في تلك التجربة أدى الاحتكاك الناتج عن دوران المروحة في الماء إلى تسخين الماء، الذي ارتفعت حرارته. وقام جيمس جول بتسجيل التغير في درجة حرارة الماء والتغير في ارتفاع الكتلة. عن طريق تلك القياسات استطاع حساب المكافئ الميكانيكي للحرارة.

لم يؤخذ جول بجدية بين أقرانه نظراً لأنه لم يكن يحمل شهادة جامعية. لكن زميلاً إيرلندياً له اسمه وليام واطسون تحمس لكتابات سادي كانو القديمة، ورأى أن جول ربما يكون يفكر بالاتجاه الصحيح. قرر طومسون بعد سنوات أربع من الدراسة أن أفكار كل من جول وكانو مكملة لبعضها، فصقلها ليقدِّم للعالم ما يُعرف اليوم بالقانونين الأول والثاني للديناميكا الحرارية. فتحت هذه الاكتشافات لطومسون أبواب المجد ولُقِّب باللورد كالفن.. لتنسب له لاحقاً الوحدة المعيارية لقياس درجة الحرارة المطلقة (الكالفن). أما جول فعاش حياة متواضعة وبقي اسمه معلقاً حتى العام 1879م حين تمت نسبة الوحدة العالمية للطاقة (الجول) إليه تقديراً لدوره التاريخي في صياغة مفاهيم الفيزياء الحديثة.

ماذا لو؟

ماذا لو.. انقرضت الصراصير؟



مجرد تخيّل شكل هذه الحشرات يبعث القشعريرة في قلوب الكثيرين وخاصة النساء. وقد يكون اختفاء الصراصير خبراً ساراً لكل المهتمين بنظافة بيوتهم، حتى الأجزاء الخفية منها، حيث تتكاثر هذه الكائنات بصمت وفاعلية. اختفاء الصراصير سينزل برداً وسلاماً على قلوب أولئك المسكونين برعب احتمال العثور على أحدها بين ثنايا الملابس النظيفة المطوية، أو فوق فرشاة الأسنان صباحاً، أو مجرد تخيل أحدها يهرع فوق وجوهنا ونحن نيام!

هذه المخاوف الدفينة تدفعنا الى إنفاق المال بلا تردد لاقتناء المبيدات الحشرية. وسيكون اختفاء الصراصير ضربة قاصمة لسوق المبيدات والحال كذلك. لكن المسألة لها تبعات أعمق ومتعلقة بالتوازن الطبيعي للكوكب بأسره.

يوجد في العالم ما بين خمسة وعشرة آلاف نوع من الصراصير. ويستحيل إحصاء العدد الكلي لأفراد هذا الكائن. فالصراصير - والحشرات عموماً - هي مصدر مهم لغذاء عديد من الحشرات الأخرى والطيور والثدييات كالفئران والجرذان. بل إن بعض البشر يأكلونها. واختفاء الصراصير لن يقضي تماماً على الفئران لكنه سيحدّ منها بشكل كبير. ولكن نوعاً واحداً من الكائنات: الدبابير الطفيلية التي تقتات حصراً على بيض الصرصور، ستنقرض حتماً مع اختفاء الصراصير.

الانخفاض في تعداد الفئران والجرذان سيؤثر بدوره، على الأنواع التي تتغذى عليها، بما في ذلك القطط - البرية والمستأنسة على حدٍّ سواء - وعلى الثعالب والذئاب وعديد من الزواحف، وكذلك النسور وغيرها من الطيور الجارحة التي ستعاني كثيراً وستتقلص دائرة انتشارها.

والأهم من ذلك كله، فإن اختفاء الصراصير سيخلخل نظاماً يعنينا جميعاً، يُعرف بدورة النيتروجين. إذ إن معظم الصراصير تتغذى على المواد العضوية المتحللة، والمحتوية على كميات عالية من عنصر النيتروجين. وتعيد الصراصير إخراج هذا النيتروجين مع فضلاتها ليعود إلى التربة فتتغذى عليه النباتات. وهكذا فإن انقراض الصراصير سيكون له أثر عميق على صحة الغابات وبالتالي على جميع الأنواع التي تعيش بها.

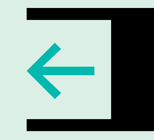
بتصرف عن مقالة:
What If There Were No Cockroaches?
موقع: livescience.com

أهي عودة إلى ما قبل اللغة؟

الإيموجي والتواصل بواسطة الرموز

يبدو أن عصر الصورة لا يزال يتحفنا بظواهره الجديدة، وآخر إبداعاته: «الإيموجي»، أو الصورة - الحرف. والإيموجي هذا هو فن يتألف من رسوم رمزية مختلفة تعبِّر عن المشاعر والأشياء. وقد انطلق هذا التعبير من اليابان منذ بضع سنوات ليعم استخدامه العالم بأسره، وكأنه لغة كونية جديدة يتخاطب بها الملايين يومياً.

أمين نجيب



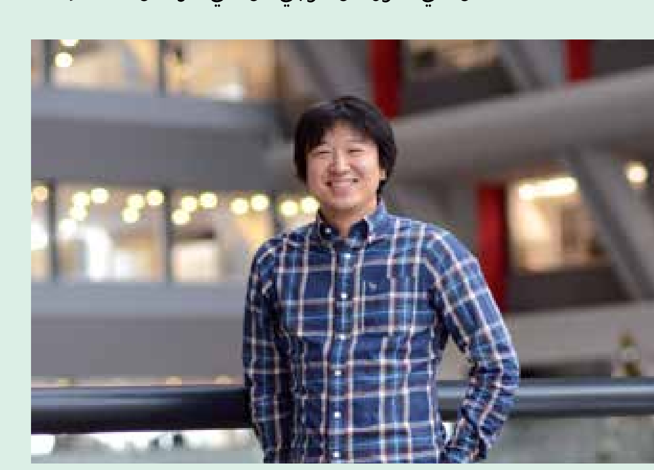
بدءاً من عام 2012م، عندما تبنَّت شركة «أبل» لأول مرة هذه الأيقونات في جهاز الآيفون «آي أو إس 5»، وتبعتها لاحقاً معظم شركات الهواتف والألواح الذكية، تلقفها الجمهور بحماسة قلّ نظيرها، توصف أحياناً بحمى الإيموجي. وتشير بعض الإحصاءات إلى أن معظم السكان في الدول المتقدمة يستخدمون هذه الرموز، خاصة جيل الألفية الجديدة منهم.

ولفهم انتشار هذه الظاهرة، لا بدَّ من الإشارة إلى أن أي كاتب، مهما كان طويل الباع في اللغة وقواعدها أو متواضعاً، لا بدَّ أن يشعر أحياناً بالحيرة أو الضيق عند اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن مشاعره أو وصف الأشياء التي يكتب عنها. كيف هو حال أولئك الذين يفتقرون إلى أية خبرات أو تجارب في الكتابة، ويعانون من فقر مفرداتهم؟ كما هو حال معظم الذين يتواصلون على المواقع الإلكترونية؟

وفي عصر السرعة هذا، لا وقت للتأمل أو التفكير. هكذا يمكننا بكل سهولة تخيل معاناة الجيل الجديد المستمرة. الإيموجي تشكل هِبة من السماء لهم؛ لا حيرة أو معاناة بعد اليوم.

المفردة وتاريخها

الإيموجي تعبير ياباني مؤلف من كلمتين: «إي» وتعني صورة، و«موجي» وتعني حرفاً. والمصمم



الأساسي للإيموجي هو الياباني شيغيتاكا كوريتا الذي استلهم رسومه الأولى من الرموز التعبيرية للأحوال الجوية وتوقعاتها، كما استلهمها أيضاً من «المانغا».

والمانغا هي رسوم كاريكاتورية هزلية. ولها تاريخ عريق في اليابان تطور لاحقاً ليشمل مواضيع متنوعة أخرى. ويقرأ المانغا في اليابان كافة فئات الشعب من كل الأعمار والطبقات. كما أنها شائعة إلى درجة أن عائداتها الأسبوعية في اليابان تعادل العائدات السنوية لصناعة القصص المصورة الأمريكية جميعها.



في البداية، أخذ مشغلو شبكات الهاتف النقال اليابانية هذه الإيموجيات من كوريتا سنة 2010م. ومنذ ذاك التاريخ، بدأت بعض هذه الرموز تدرج في نظام «يونيكود» الأمريكي الموحد لأحرف الفهرسة على الشبكة.

واليونيكود هي مؤسسة غامضةُ النشأة، ولا تحمل أية صفة رسمية. لكنها اكتسبت إجماعاً عالمياً شعبياً تلقائياً. وتبنت قراراتها جميع شركات أجهزة الاتصالات. ويقول مارك دايفس، أحد المؤسسين، إن هذه المنظمة شفافة وتضم مديرين من عمالقة التكنولوجيا مثل «أبل» و«غوغل» و«فيسبوك» وغيرها.

تضع اليونيكود الفكرة والتصميم العام للإيموجي. أما التفاصيل كاللون وبعض الخطوط الثانوية فهي تختلف بين جهاز وآخر. فإذا أرسلت قلباً أصفر من جهاز «آيفون» مثلاً، يظهر على «أندرويد» الطرف الآخر بشكل قلب وردي مع بعض الاختلاف.

وتطلق المنظمة كل فترة مجموعة من الإيموجيات بعد التصويت عليها. وتستعد المنظمة الآن لإطلاق عدة رموز رياضية لتسهيل الرسائل النصية في دورة الألعاب الأولمبية المقبلة.

ومنذ انطلاقتها سنة 2012م وتطورها السريع بعد ذلك، أخذت الإيموجي تحل محل اللغات العامية والمصطلحات والمختصرات العديدة التي شاعت على مواقع التواصل المختلفة حتى ذلك الحين. والمستقبل الواعد لهذه الرموز هو أنها أصبحت تشكِّل نوعاً من لغة شبه عالمية تحتاجها مواقع التواصل حاجة ماسة.

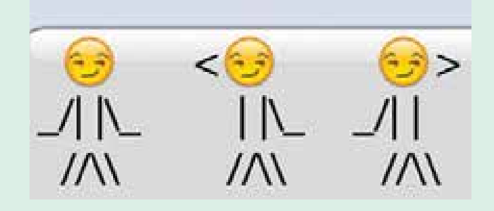
فبالإضافة إلى يونيكود، يوجد على الشبكة موقع مرجعي للإيموجي اسمه «إيموجيبيديا». وهي من نوع من موسوعة لهذه الرموز المستعملة، تسجل التغيرات الحاصلة على الإيموجيات وعلى معانيها الصادرة عن «يونيكود». ويزور هذا الموقع نحو مليون شخص أسبوعياً. كما أن الإيموجيبيديا أطلقت ما يعرف بـ «يوم الإيموجي العالمي» والموافق في 17 يوليو من كل سنة.

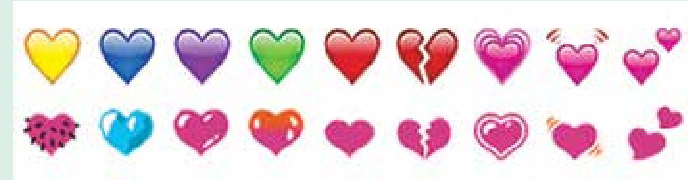
عودة إلى أصل الكتابة؟

الجدير بالذكر أن أولى محاولات الإنسان الكتابية هي أيضاً كانت عن طريق الرموز التصويرية كالأحرف الهيروغليفية المصرية القديمة. لكن تلك الرموز القديمة احتاجت عدة قرون لكي تترسخ كوسيط











للتواصل في ذلك الزمن الغابر، بالمقارنة مع السرعة المذهلة للانتشار الواسع للإيموجي. وانتظر نظام الكتابة الأبجدية ألفي عام بعد ذلك، ليظهر مع الفينيقيين منذ حوالي 3200 عام. ومن ثم توالت بعد حين، محاولات عديدة من المفكرين والقادة لتشكيل لغة عالمية تكون جسراً للتفاعل بين كافة البشر. أولى هذه المحاولات كانت على يد الكاتب والفيلسوف الألماني «هيلديغارد أوف بينجن» وسميت «لينغيوا إغنوتا» في القرن الثاني عشر. وظهرت في القرن السابع عشر في الشرق الأوسط لغة «البليبلان». ثم ظهرت «الإسبرينتو» و«البليسيمبوليك»، لكنها جميعاً باءت بالفشل. وتنتمي الإيموجي إلى هذه العائلة بوصفها لغة عالمية. لكن عمرها القصير الذي لا يتعدى سنوات أربعاً لا يسمح لنا بالحكم على بقائها واستمرارها.

تعدد أشكالها

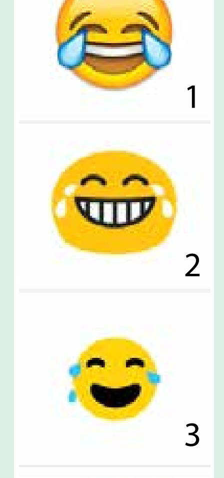
يوجد عدد كبير من الإيموجيات التي تستوحي مواضيعها من أشياء مختلفة ومتنوعة كالأماكن والحيوانات وأحوال الطقس وكثير من تعابير الوجه. ولكن هذ الأخيرة هي الأكثر انتشاراً في العالم وعلى كافة الأجهزة، رغم اختلاف بعض تفاصيلها بين جهاز وآخر:

1 - وجه مع دموع الفرح كما يظهر على جهاز «أبل - آي أو اس 9.1».

2 - الإيموجي نفسه كما يظهر على «غوغل – أندرويد 5».

3 - نفسه كما يظهر على «مايكروسوفت ويندوز 10».

4 - كما يظهر على «سامسونغ غالاكسي إس 5».



واختار قاموس أوكسفورد هذا الرمز الإيموجي على أساس أنها الكلمة المختارة لسنة 2015م.

مقارنتها مع اللغات

أجرت مجلة نيوزويك مقارنة بين انتشار اللغة الإنجليزية تاريخياً وانتشار الإيموجي حالياً. وكانت نتيجتها «مهولة» حسب وصف المجلة. انطلاقاً من موطنها الأصلي في بلد صغير، من جزيرة صغيرة، تمكنت اللغة الإنجليزية من الانتشار في أصقاع الأرض كلغة عالمية أولى. إذ يبلغ عدد الناطقين الأصليين بالإنجليزية 335 مليون نسمة، وهناك حوالي 505 ملايين يتكلمونها كلغة ثانية. أما بحسب إحصائية الصحيفة، فهناك حوالي 41 مليار رسالة نصية تُرسل كل يوم حول العالم على الأجهزة الإلكترونية الذكية، من ضمنها حوالي 6 مليارات رسالة تتضمن واحداً من هذه الرسوم التعبيرية على الأقل، أو تتألف منها فقط. وهذا رقم مذهل يجعل انتشار اللغة الإنجليزية قزماً أمامها. يقول مارك دايفس، وهو أحد مديري منظمة «يونيكود» السالفة الذكر إن الإيموجي ليست لغة جديدة، لكنها تحمل في طياتها إمكانية أن تصبح كذلك. ويخالفه في الرأي تايلر شنوبلن الاختصاصي في الإيموجي من جامعة ستانفورد حيث يقول إنها تعمل كنظير للكتابة عن طريق لغة حركة الجسد. والغريب في موضوع الإيموجي، هو أن دايفس نفسه يقول إنها رغم انتشارها الواسع فإن معناها يختلف بين شخص وآخر. فإذا كانت هذه هي الحال، فما هو السر في وتيرة انتشارها المتزايدة؟

ولكن، ألم تكن هذه حالة اللغة الإنجليزية في القرن السادس عشر؟ كثير من الكلمات كانت تكتب دون أي تدقيق إملائي. وكثير من المفردات لا تزال حتى يومنا تكتب بطرق مختلفة. ويقال إن شكسبير نفسه كان يكتب اسمه بشكل مختلف من وقت لآخر. أما علامات الترقيم فقد كانت في فوضى عارمة. ولم تستقر حتى مجيء آلة الطباعة التي فرضت قواعد للاستخدام القياسي. وهكذا في النهاية سيتَشَكل مع الوقت فهم عالمي للإيموجي. وفي مقابلة مع المصمم الأساسي للإيموجي الياباني شيكيتاغا كوريتا، يعترف الرجل بفقدان هذا الفهم المشترك، ويقول إن حلمه هو حصول ذلك.



الإيموجي والإعلان

نظراً إلى أن نسبة عالية من السكان أصبحت تستعمل الرموز الإيموجية باستمرار، كما تشير نتائج الإحصاءات في بلدان عديدة، سارعت شركات إعلان كثيرة إلى إعادة النظر بطرق عملها لتتلاءم مع هذه الموجة الجديدة.

فقد أجرى البروفيسور فيف إفانس أستاذ اللسانيات في «جامعة بانغلور» دراسة حول هذا الموضوع، أظهرت أن 8 من 10 أشخاص من البريطانيين قد استعملوا هذه التقنية. وأن معظم الناس يجدونها أسهل للتعبير عن المشاعر من الكلمات، خاصة النساء منهم. وتبيِّن إحصائية أجرتها شركة «إيموجي» الأمريكية للإعلان تحت عنوان «تقرير

إيموجي 2015»، أن 33.5% من عدد مستخدمي الإنترنت يستعملون الإيموجي عدة مرات بالأسبوع، و30.4% عدة مرات في اليوم، 15.9% عدة مرات في الشهر، و12.5% عدة مرات في السنة و7.6% مرة واحدة بالسنة. ويقول ترافيس مونتاك، أحد المديرين في هذه الشركة، إنهم أجروا إحصاءً آخر حول استعمال المستهلكين للإيموجي بواسطة أجوبة تستعمل الإيموجي نفسه، أظهر أنها أيضاً تسهِّل على المستهلكين تزويد أجوبتهم للمعلنين بها، حيث يتمكنون من تحسين مبادراتهم التسويقية بشكل أفضل.

ولأن جيل الألفية الجديدة الذي نشأ على الإنترنت، يختلف اختلافاً كبيراً عن الجيل الذي سبقه من ناحية الاهتمامات، وجد المسوقون أن «كل ما كانوا يعرفونه عن الإعلان لا معنى له»، كما تقول لورا ديسموند مديرة «ستاركوم ميديا ويست» الإعلانية. فهذا الجيل لا يشاهد التلفزيون التقليدي، وليست لديه عادة قراءة الصحف والمجلات المطبوعة. كما أنه يتخطى الإعلانات التجارية على الشبكة، ويمنع الإعلان والدعاية على متصفحات الهواتف. «إن عالم هذا الجيل مختلف تماماً عمَّا نعرفه ودرسناه في الماضي» تضيف ديسموند. إن فترة اهتمامه تميل إلى أن تكون قصيرة وتتردَّد بسرعة بين الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية، ولا يتسامح مع الدعاية التقليدية. لهذه الأسباب بدأ المعلنون يتسابقون إلى التكيف مع عادات هذا الجيل، وإيجاد طرق جديدة للتواصل معهم، والتخلي عن عادات الإعلان التقليدية.



على هذا الأساس، بدأت بعض العلامات التجارية محاولة معرفة استخدام هذه الإيموجي الشائعة. فعلى سبيل المثال، أطلقت شركة «جنرال إلكتريك» حملة إعلانية على «سناب تشات» تسمح للمستخدمين إرسال إيموجيات إليها. كما أصبح زبائن شركة بيتزا «دومينو» بإمكانهم طلب منتجاتها بواسطة الإيموجي. وأطلقت مطاعم «بيرغر كينغ» لوحة مفاتيح إيموجية لمنتجاته لتسهل على الزبائن طلباتهم. وهناك كثير من الشركات التي أخذت تتبع نفس الخطوات. لقد بدأت هذه الرموز الجديدة تكتسب مكاناً في روح العصر الثقافية. وتؤكد هذه الحقيقة إحصائية قامت بها شركة «كاري كانينغ للإعلان والعلامة التجارية» التي استنتجت بدورها أن هذه الأيقونات تصبح مع الوقت أداة الاتصال المفضَّلة لدى معظم التركيبات السكانية، وأن المستهلكين ينجذبون إلى الأنواع المرحة منها.

الإيموجي في المعارض

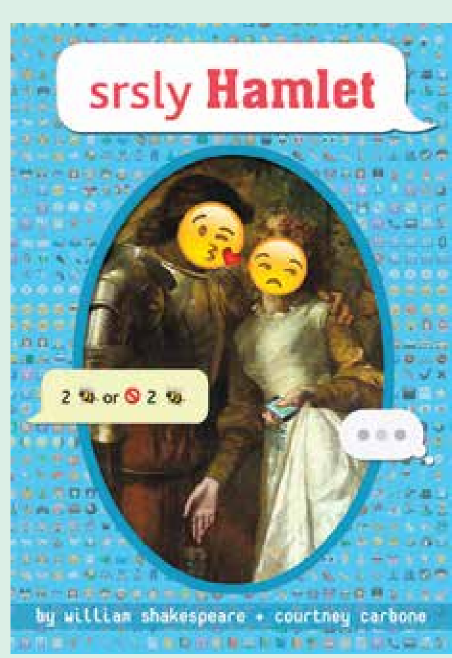
أقيم أول معرض فني للإيموجي سنة 2013م في مدينة نيويورك. وكان الهدف من المعرض اكتشاف علاقة العواطف بالكمبيوتر والثقافة الشعبية وأهميتها في التفاعل بين الناس.

وآخر المعارض أقيم في «أرك إنيمي أرتس» في فيلادلفيا. وكان هدف المعرض، كما يقول مديره «باتريك شيلين»، إلقاء الضوء على قدرة الإيموجي على نقل العواطف عبر اللغات المختلفة.

مغامرات إيموجية

ولا تخلو أي ظاهرة جديدة من المبالغة. وفي هذا السياق، يحاول «توم سكوت» البريطاني صنع لوحة مفاتيح إيموجية، بحيث يستغني كلياً عن استخدام الكلمات. فقد سحب سكوت حوالي ألف إيموجي مختلفة ووضعها على 14 لوحة مفاتيح موصولة إلى كمبيوتر محمول. وقال إن في هذا العمل كثيراً من







Hillary Clinton
@HillaryClinton
Follow

How does your student loan debt make you feel?
Tell us in 3 emojis or less.



المرح في محاولة للتوصل إلى قصة، تروى بلغة الرموز التعبيرية، بدلاً عن الكلمات القديمة المملة. وعلى الرغم من أن الفكرة تبدو جنونية، هناك بعض الأسباب العقلانية وراء هذه الملصقات. وفي كل الأحوال، ألم توصف بعض الاكتشافات الكبيرة بالجنونية في بدايتها؟

المواقف من الإيموجي متباينة

هناك آراء متباينة حول قيمة الإيموجي، لكن معظمها يؤيد استعمالها وانتشارها. غير أن صحيفة الغارديان انتقدت مؤخراً وبشدة، اختيار قاموس أكسفورد أيقونة إيموجي ذات الوجه مع دموع الفرح ككلمة السنة. وذلك بمقالة كتبتها هانا باركينسون التي، رغم ذلك، أوردت رأي مدير مؤسسة أكسفورد غاسبر غراثوهل القائل «إن ثقافة الإيموجي أصبحت شعبية إلى حدّ أن كل صورة منها أخذت مساراً تطورياً خاصاً بها». والجدير بالذكر أن كلمة إيموجي دخلت لأول مرة إلى قاموس أكسفورد سنة 2013م. وتفضل باركينسون أن تكون المفردة المختارة كلمة عادية من أحرف أبجدية. لكن نقدها تمحور لاحقاً حول أن هناك إيموجيات أفضل من الوجه مع دموع الفرح، الذي «جعل وجهي يدمع من الحزن» كما تقول.

ومع أن استعمال هذه الرموز يبدو أحياناً مضحكاً، تقول ماري مان الكاتبة في مجلة «ميديوم»، التي تستخدم هي نفسها الإيموجي بكثافة مع أصدقائها، إن جاذبيتها تجعل الحديث عنها صعباً، تماماً كالتحدث إلى طفل لا يزال صوته في مرحلة النمو الأولى. وأن نجعل من هذه الرسوم وعاءً حاملاً للعواطف هو أمر محرج.. لكنها في الواقع فرضت نفسها شكلاً عالمياً مفهوماً للتواصل. وتضيف «إن معظم دراسات العلوم الإنسانية واللغوية وعلم النفس تؤيد هذه الرموز. وإن الشكوى من أن الإيموجي هي «نهاية اللغة» تظهر عادة كتعليق في أسفل المقالات وليس في صلبها. لقد فاق انتشارها العالمي منتج «والت ديزني» ميكي ماوس. والإيموجي صغيرة في الحجم لكنها ضخمة في التأثير.. في كل الأحوال لقد أصبحنا مدمنين بغرابة عليها».

وتعلّق المصمِّمة ليزا نيلسون على الإيموجي بقولها «الإيموجي تعني كل شيء، ولا تعني شيئاً في الوقت نفسه». هل هي مثيرة للسخرية؟ حيث إنها تحولنا إلى نوع من البشر البدائيين كالنياندرتال الذي يتحرك بالغريزة؟ أم هي رائعة توفر لنا وسيطاً عالمياً للتعبير عن العواطف والإبداع؟ إنها غبية جداً لكنها أفضل شيء حصل لجيلنا».

في الوقت نفسه، لا تتعارض آراء بعض الأكاديميين والاختصاصيين مع الكتَّاب الصحفيين أعلاه. فقد وجد الدكتور أوين تشيرشيس، عالم النفس الذي درس استخدامات وتأثير الإيموجي، «أن ردة الفعل الشعورية الصادرة عن الإيموجي هي نفسها وكأنها صادرة عن وجه إنسان حقيقي». ويشرح أنه مع الوقت، تعتاد عقولنا على إدراك الرمز، سعيداً كان أو حزيناً، ونكتسب القدرة على الشعور بالعاطفة نفسها. «إن الإيموجي تعطينا قدرة فريدة لإضفاء مسحة إنسانية على الاتصالات الرقمية». أما اللغوي بن زيمر، فيرى أن «الغرب القاسي يأخذنا إلى عصر الإيموجي. الناس يصنعون القواعد (اللغوية) وهم يتحركون، هذا طبيعي. لقد حلم فرانسيس بايكون وجون ميلكينز بتطوير لغة بصرية بإمكانها أن تأخذنا إلى عصر ما قبل بابل». كما حاول سنة 1982م عالم الكمبيوتر «سكوت فهلمان» الشيء نفسه، لحل مشكلة سوء الفهم والفوضى التي سادت الشبكة في أوائل انتشار الرسائل على الإنترنت.

فهل العودة إلى الكتابة بالرموز التصويرية هي عودة للوراء؟ بن زيمر لا يراها كذلك. هو يعتقد أن الإيموجي «تعتمد بشكل أساسي على أيقونات المشاعر التي تؤدي المطلوب جيداً». ولا يرى أنها تستطيع تهديد اللغة المكتوبة، بل إغناءها. «فأيقونات المشاعر تستطيع نقل الأمزجة المختلفة بشكل جيد دون بذل كثير من الجهد».

أما اللغوي ون ماكهورتر فيرى أنه «لا يمكنك أن تتواصل بأيقونات المشاعر فقط. عليك أن تعرف عما تتحدث عنه، ماذا حدث، ومتى.. أيقونات المشاعر لا تقوم بذلك».

وتلقى الإيموجي تأييداً قوياً من أستاذ العلوم الإدراكية في جامعة هارفارد ومؤلف عدة كتب على لائحة الأكثر مبيعاً ستيفن بينكر حيث يقول: «ما تفعله هذه الوجوه المبتسمة بشكل خاص هي التعبير عن السخرية، والخفة ذات الأهمية الحاسمة لنقل ما نريد قوله. الكتابة النصية تجعل ذلك ملتبساً».

لكن هناك آراء معارضة. فلعالم الكمبيوتر البروفيسور سكوت فهلمان السابق ذكره موقف متحفظ على انتشار الإيموجي، «لأنها تدمر التحدي في محاولة إيجاد طريقة إبداعية للتعبير، وتجعلنا كسالى في اتصالاتنا».

أما المصمم الغرافيكي المعروف مايكل بيروت فيقول في مقابلة مع صحيفة «وول ستريت جورنال»: «إنني أجد الإيموجي مرعبة وبلا روح. إذا اعتبرنا وليم شكسبير على طرف، فإن الإيموجي ستكون على الطرف النقيض. ولو كان باستطاعة واحدنا أن يضيف شيئاً إلى الرسم لأضفينا عليه بعض الخصوصية، وليس كما هو الآن، نسخة واحدة من إنتاج ضخم مصنوع للجميع».

الصورة ووعودها

جاء في أول تعليق لصحيفة «نيويورك تايمز» على مشاهدة أول أفلام السينما عام 1895م في باريس: «لم يعد التصوير يسجل الجمود، إنه يديم صورة الحركة. وعندما تصبح هذه الأدوات في متناول العامة، ويتمكن أي شخص من تصوير أحبائه، ليس فقط بوضعهم الجامد ولكن مع الحركة والعمل والإيماءات المألوفة والكلمات من أفواههم، فهذا يعني أن الموت لم يعد مطلقاً ونهائياً».

مع بداية عصر الصورة كانت التوقعات كبيرة. هل بهذه الظاهرة الجديدة، أي صورة الإيموجي الجامدة، نعود إلى عصر ما قبل السينما؟ أو حتى إلى ما قبل الأبجدية؟ أم هي لغة عصرية جديدة لا تنطبق عليها مفاهيم وقيم سابقة على عصر التواصل الحديث على الخط وعبر الشبكة؟



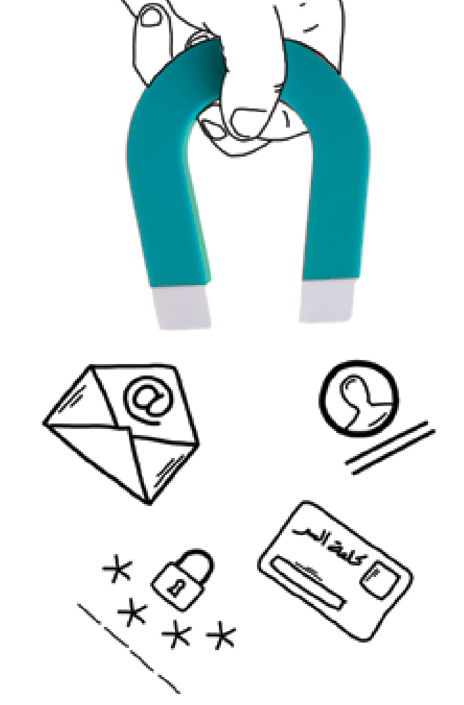
الهندسة الاجتماعية
فن اختراق العقول!

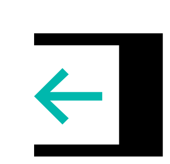
الهندسة الاجتماعية هو الاسم الذي يطلق على نمط من «الاحتيال» يقوم على استغلال نقاط الضعف في ذهن الضحية. وبات هذا الشكل من اختراق الخصوصيات والمعلومات التي يفترض فيها أن تكون محمية جيداً، موضع دراسات علمية تحاول الكشف عن وسائله وأسلحته، لما يتضمنه من مخاطر على أمن الشركات والأعمال بشكل خاص. حتى إن البعض يرى أن خطورة المهندسين الاجتماعيين باتت تفوق خطورة قراصنة المعلومات الإلكترونية.

د. مرام عبد الرحمن مكّاوي

القافلة
يناير / فبراير 2016







كيف يمكن لشخص أن يقرِّر اقتحام شركة شحن، وينجح بطريقة سلمية وباستخدام الحدِّ الأدنى من المهارات التقنية؟ بدأ الأمر بإجراء بحث عن الشركة عبر الإنترنت، عرف اللص من خلاله رقم المسؤول عن الموارد البشرية. وبعد مكالمة هاتفية عرف منه أسماء الأشخاص الأهم في الشركة، وبعض أسماء الموظفين في أقسام معيَّنة، وأن أحد المديرين التنفيذيين في إجازة. وصل إلى مقر الشركة، وبلغة الواثق وبأسلوب لطيف وهو يحمل بطاقة عمل مزورة، ادَّعى نسيان مفتاحه. فسمح له الحارس بالدخول. وعند وصوله إلى الدور الذي يعمل فيه الموظفون ادَّعى نسيان بطاقات العمل تلك، الزملاء اللطفاء أدخلوه. وجد مكتب المدير المجاز غير مغلق لغرض التنظيف، فاتصل من تحويلة هذا المكتب بالقسم التقني، وقال لموظف لم يسبق له التعامل مع المدير إنه يواجه مشكلة في نسيان كلمة المرور، سرَّ الموظف الصغير لمساعدة المدير، وساعده في الحصول على كلمة سرٍّ جديدة، شكره المدير (المهاجم)، وقام بجمع ما يحتاجه من معلومات، قبل أن يغادر بكل هدوء ودون إثارة الريبة بعد تحقيق هدفه. مرحباً بكم في عالم الهندسة الاجتماعية!

الهندسة الاجتماعية.. ما هي؟

حين يأتي الحديث عن منظومة أمن المعلومات فإن أول ما يتبادر إلى أذهان كثيرين هي البرامج والأنظمة الإلكترونية الخاصة بها: برامج الحماية من الاختراق والفيروسات والجدران النارية وغيرها. متناسين أن العامل الأهم في أي منظومة أمنية، إلكترونية أو غيرها، هو العنصر البشري، وهو في الوقت نفسه العامل الأضعف فيها، إذ لا يمكن «برمجته» وضمان عدم ارتكابه للأخطاء.

تقوم الهندسة الاجتماعية (Social Engineering) على مجموعة من التقنيات المستخدمة لجعل الناس يؤدون عملاً ما يفتح ثغرة أمنية أو يفضون بمعلومات سرية. وقد تستخدم في عمليات احتيال عبر الإنترنت أو على أرض الواقع، وتركز بشكل أساسي على مهاجمة الإنسان، واستغلال نقاط ضعفه للحصول على المعلومات

قد يستغرق اكتساب المهاجم الثقة المرجوة من الضحية ساعات أو أياماً أو أسابيع أو أشهراً متواصلة للتخطيط لهذه الهجمات

المهمة، التي تمكن المهندس الاجتماعي (المهاجم) من اختراق المباني أو الأنظمة أو الحسابات لتحقيق منافع معنوية أو مادية أو أمنية. وذلك دون الحاجة إلى مهارات تقنية عالية كما هي الحال في «الهاكرز» و«الكراكرز» الذين غالباً ما يتميزون بمهارات برمجية ولديهم معرفة حاسوبية واسعة بالعتاد وأنظمة التشغيل والشبكات وثغراتها الأمنية المرتبطة بالتقنية. فما يحتاجه المهاجم هنا ليست المعرفة التقنية وإنما المهارات الاجتماعية (الذكاء الاجتماعي) ومهارات التسويق والإقناع لخداع الضحية بحيث يأخذ منها ما يريده دون إثارة الشبهات. بل إن حصوله على المعلومات في حدِّ ذاته بهذه الطريقة لا يُعدّ عملاً غير قانوني، إذ لا يوجد تشريع يمنع الأشخاص من إفشاء أسرارهم الشخصية (الأمر مختلف بالنسبة لأسرار العمل). والأهم من ذلك هو أنه لا يوجد تشريع ولا قانون يجرِّم الاستماع لشخص يختار أن يكشف لك عن معلوماته!.

في أمريكا تقام في مدينة لاس فيغاس سنوياً مسابقة هدفها زيادة الوعي الأمني، يتبارى فيها الهاكرز ممن يعتمدون الأدوات التقنية فقط ومن يستخدمون الهندسة الاجتماعية، وذلك لاختراق الشركات أو المؤسسات الحكومية، ويعطى هؤلاء اسم الهدف قبل المسابقة بفترة وجيزة، لكنها كافية لجمع المعلومات الضرورية عنه. وتتم دعوة رؤساء هذه الشركات أو الأشخاص المسؤولين عن الأمن المعلوماتي فيها ليكونوا حاضرين وقت قيام الهاكرز باختراق دفاعاتهم أمام أعينهم وعن بُعد. ويلاحظ بأنه غالباً ما ينجح المهندس الاجتماعي في مهمته بشكل أسرع من التقني. ومن أشهر المهندسين الاجتماعيين: فرانك أباغنال، ودايفيد بانون، وبيتر فوستر، وخالد الفيومي.

كيف تعمل؟

قد يستغرق اكتساب المهاجم الثقة المرجوة من الضحية ساعات أو أياماً أو أسابيع أو أشهراً متواصلة للتخطيط لهذه الهجمات، وفق درجة وعي الضحية وحساسية الهدف الذي يراد مهاجمته. وقد يتم ذلك بطرق عدة إما شخصياً وإما عن طريق الهاتف أو من خلال المواقع الإلكترونية.

يقول كيفن ميتنك وهو من أشهر المخترقين للأنظمة، الذي نجح ذات مرة في اختراق وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، وله كتاب شهير بعنوان فن الخداع (The Art of Deception): «إن اختراق العقول البشرية أسهل بكثير من اختراق الأنظمة الإلكترونية. فاللعب على نقاط ضعف الإنسان مثل رغباته وشهواته وحبه لمساعدة الآخرين، وميله إلى الظهور بمظهر العالم وصاحب السلطة أو المعرفة. ففلسفة الهندسة الاجتماعية تقوم على

في أمريكا تقام في مدينة لاس فيغاس سنوياً مسابقة هدفها زيادة الوعي الأمني، يتبارى فيها الهاكرز ممن يعتمدون الأدوات التقنية فقط ومن يستخدمون الهندسة الاجتماعية

تجريدنا - ولبضع دقائق - من تفكيرنا المنطقي الحذر الذي نواجه به العالم فنحمي به أنفسنا وممتلكاتنا وأسرنا. وحين نكون متعبين أو حين يتم تشتيت انتباهنا عن طريق الإقناع أو التملق أو الإيحاء أو الدعابة أو التحفيز أو الإغراء وغيرها من المهارات الاجتماعية، فإن ذلك يمنعنا من رؤية المخاطر المحتملة.

أهم أساليبها

• الاحتيال عبر مكالمات هاتفية. وهكذا تتم النسبة الأعلى من هذه الهجمات، فيزعم المهندس الاجتماعي بأنه مندوب شركة ما تقوم بعمل استبيانات لأهداف بحثية، أو حتى مندوب حكومي يهدف إلى جمع الإحصاءات، أو مندوب مبيعات يحاول إقناع الضحية بشراء منتج ما عبر أسئلة تبدو ظاهرياً بريئة.

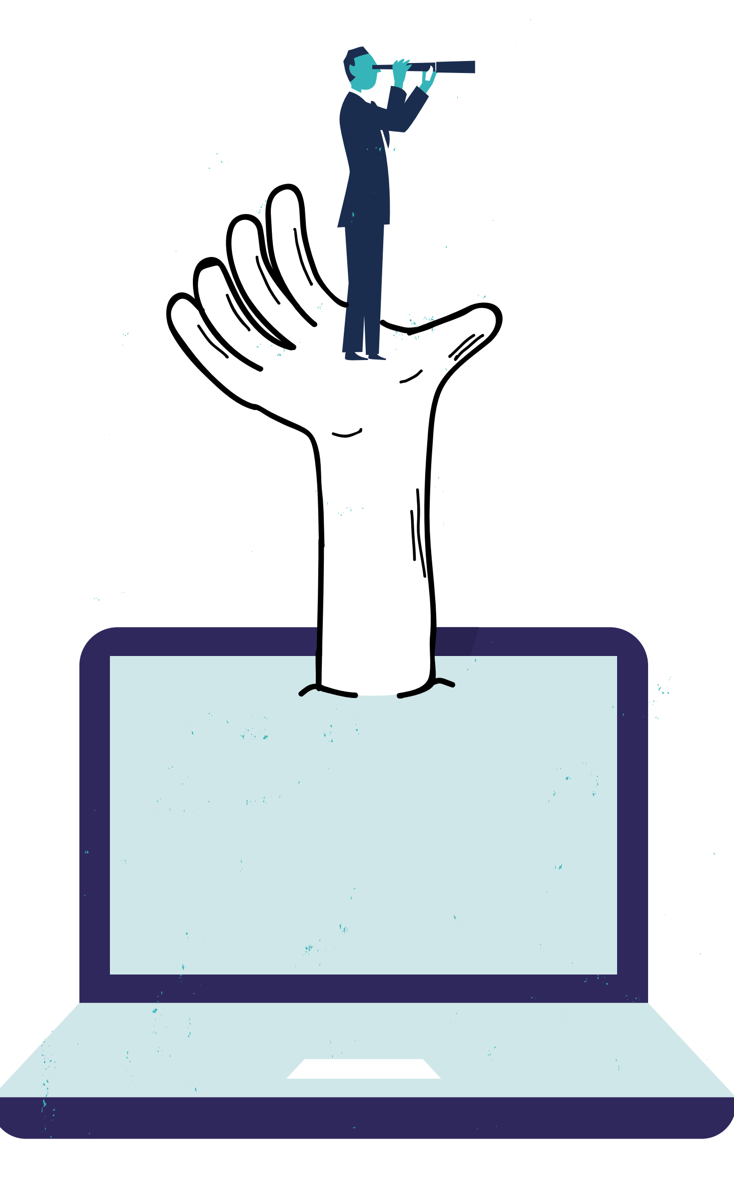
• الهندسة الاجتماعية المعاكسة وهي تستخدم الهاتف غالباً. والوضع هنا أخطر، إذ يدعي المهاجم بأنه شخص ذو منصب وصلاحية في المؤسسة نفسها، مما يجعل الموظف الأصغر مرتبة يرتبك ويخبره بما يريد. وإذا نجح الأمر وسارت الأمور كما خُطط لها، فقد يحصل المهاجم على فرصة أكبر للحصول على معلومات ذات قيمة كبيرة من الضحية. وهذا الأسلوب معقد نسبياً لكونه يعتمد على مدى التحضير المسبق وحجم المعلومات التي بحوزة المهاجم.

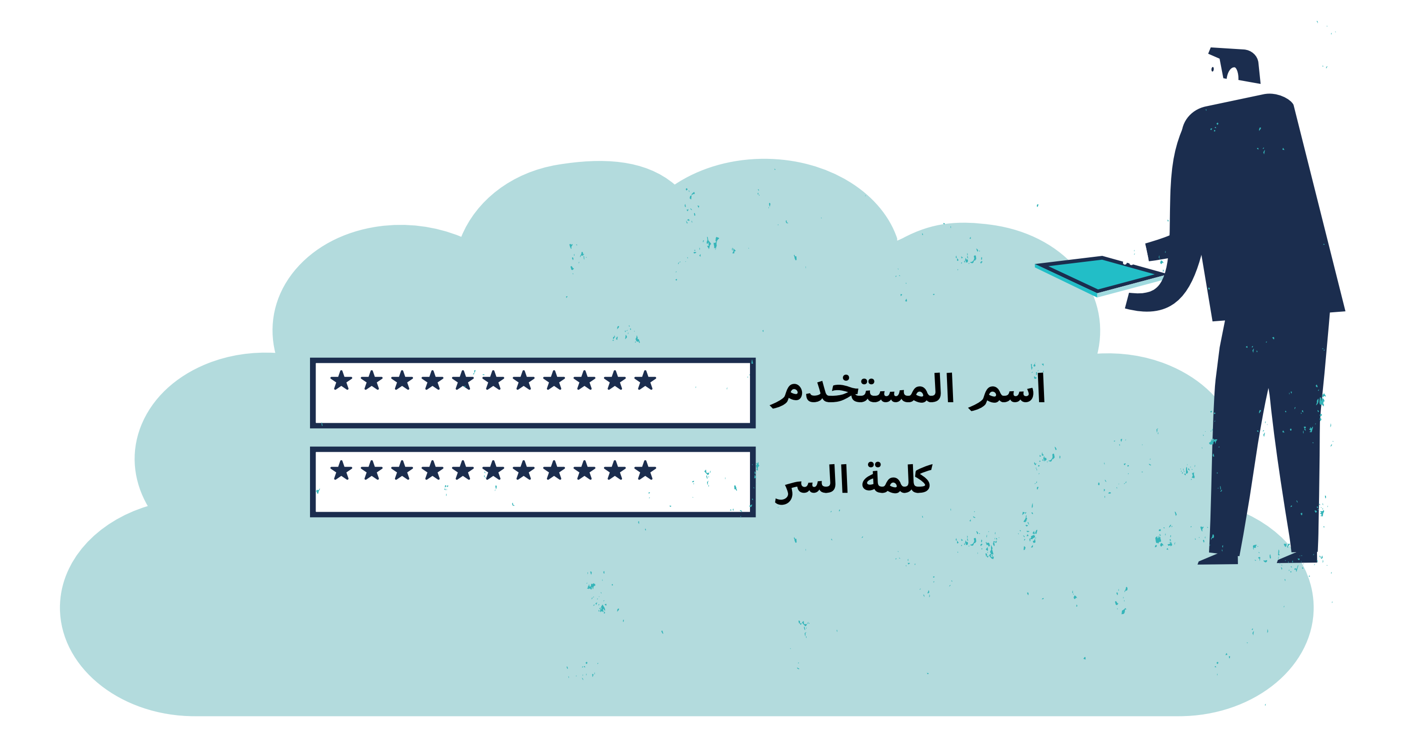
• استغلال المعلومات الموجودة في سلة المهملات في غرف التصوير أو الطباعة أو السكرتارية. والاحتيال في هذه الحالة قد يتمثل في الدخول إلى هذه المباني المحصنة، وذلك كما نشاهد في كثير من الأفلام عبر الادعاء بأنه عامل صيانة أو تنظيف. وإذا كان الهدف يستحق العناء، فقد يسعى المهاجم إلى الحصول على مثل هذه الوظائف بشكل رسمي بحيث تتاح له فرصة جمع المعلومات عن طريق البحث في سلة المهملات، أو عبر التنصت على المكالمات أو الاجتماعات دون إثارة أية شبهة.

• رسائل البريد الإلكتروني. تصل إلى الضحية رسالة تدعي الفوز بجائزة ما، أو تدعي أنها من جهة أهلية (البنك) أو حكومية، وتطلب إدخال البيانات بشكل مباشر، عبر صفحة تبدو للمستخدم العادي وكأنها غير مزورة. وتعرف هذه العملية بالتصيد (Phishing)، وتندرج تحتها أنواع مختلفة من الهجمات.

• الإنترنت بشكل عام. تشكل الشبكة العنكبوتية منجماً ضخماً للمعلومات، وقد تضاعف حجم هذا المنجم مع ظهور الشبكات الاجتماعية التي أسرف كثير من مستخدميها في عرض معلوماتهم الشخصية ومشاركتها مع الآخرين من خلالها، مما يسهل كثيراً عمل المهندس الاجتماعي. فحين يتصل بك شخص ويدعي أنه من طرف رئيسك أو أحد أفراد عائلتك، ويخبرك بأنه يعرف أنك تقضي حالياً إجازتك في تركيا مثلاً، ويذكر اسم أحد زملائك، ستثق به، وسيدور الحديث حول أمور تهتم بها كالرياضة والسياحة، ووسط هذه المحادثة ستنسى تحفظك الفطري، وتتخلى عن حذرك، فتصبح الفرصة مواتية للهجوم واستخراج المعلومات التي ما كنت لتدلي بها لو سئلت عنها بشكل مباشر من قبل غريب.

وهناك نوع من الهندسة الاجتماعية ليست ذات أهداف مادية ملموسة، ولكن الشخص قد يسعى للحصول على الحُب أو التعاطف اللذين يفتقدهما في حياته الواقعية عن طريق خداع الآخرين بأنه شخص آخر. فليس من الغريب وجود عدد كبير من الحسابات الوهمية على شبكات التواصل الاجتماعي التي يتستر خلفها أشخاص هدفهم إقامة علاقة مع الآخرين. تعرف هذه العملية بصيد القط (Catfishing). وفي الفِلم الوثائقي الذي يحمل الاسم نفسه (catfish) يقوم شيلمن وهو مصور فوتوغرافي بتوثيق قصة وقوعه في حُب فتاة ليكتشف لاحقاً بأنها شخصية وهمية،





اخترعتها والدة الفتاة المزعومة لتهرب من واقعها الذي ترعى فيه طفلين معاقين إعاقة شديدة.

وللفن حضور

لم يكن الفن السابع بعيداً عن تناول هذا الموضوع المثير وتنبيه العالم لخطورته. نذكر هنا مثالين شهيرين. أولهما، فِلم «امسك بي إن استطعت» (Catch me if you can!) من بطولة ليوناردو ديكابريو، الذي يحكي قصة فرانك أباغنال، أحد أشهر المهندسين الاجتماعيين، الذي يبدأ كمراهق يهرب من منزله وينجح في ادعاء العمل كقبطان طائرة، ويجمع الأموال الطائلة من خلال هذا الدور ومن تنقله حول العالم، وينجح في التخفي من الشرطة كمعلم وطبيب، وبادعائه ممارسة هذه المهن الصعبة يخدع من حوله، قبل أن تتمكن الشرطة من الإيقاع به. والفِلم الثاني هو «قضية توماس كراون» The Thomas Crown Affair من بطولة بيرس بروسنن، الذي يلعب دور مليونير ملول فيقرِّر سرقة لوحة نادرة من متحف نيويورك، وكان قد بدأ التخطيط لعمليته عن طريق الحضور إلى المتحف بشكل يومي بحيث صار وجهاً مألوفاً للحراس والمسؤولين فيه، كما ينجح في جمع ما يحتاجه من المعلومات عن الأمن والحماية وغيرها عبر زياراته المتكررة، وبالتالي تنجح مهاراته في الهندسة الاجتماعية في تحقيق ما يريد.

كيفية التصدي لها؟

تُعدّ الهندسة الاجتماعية من أكبر المشكلات التي تواجهها الشركات حالياً، لأنه ما من طريقة يمكن من خلالها اختبار وضمان عدم قيام الإنسان بارتكاب خطأ كما هو الحال مع البرمجيات وجدران الحماية. كما أن من المشكلات الكبرى في عالم الأمن الإلكتروني بشكل عام حالياً، كثرة تغير الموظفين في الشركة مقارنة بالسابق، فالحاجة المستمرة للدماء الشابة والمهارات الجديدة وللخبرات المتنوعة، لا سيما في المجالات التقنية، تجعل الناس ينتقلون من شركة إلى أخرى بسرعة كبيرة، وللشركة الواحدة عدة فروع قد لا يعرف أفرادها بعضهم بعضاً أبداً، أو يعرفون بعضهم فقط من خلال تواصل إلكتروني لا يصعب معه إخفاء الهويات. ولا تقوم كل الشركات بالتحري الدقيق عن الشخص المتقدمِ للوظيفة، وبالتالي لا يصعب أن يدخل المهاجم إلى قلب الشركة، وإلى مخزن البيانات الحساسة دون أن يثير أي ريبة، لأنه ببساطة موظف فيها! ففي حالات كثيرة تنجح الهجمات الإلكترونية بمساعدة شخص من داخل الشركة أو المؤسسة، إما عن طريق التعاون المباشر (عميل داخلي)، أو عن طريق الخطأ كما هو الحال في ضحايا الهندسة الاجتماعية.

ولذلك فإن أنجع طريقة لحماية المؤسسات والشركات، التي تكون صواريخ المهندس الاجتماعي موجهة إليها، هي في التوعية والتدريب. فتوعية الموظفين بالأساليب التي يمكن أن يستخدمها المهندس الاجتماعي لاستخراج المعلومات منهم، وتنبيههم إلى عدم إعطاء أي كلمة سرٍّ أو معلومة لأي شخص، مهما ادعى علو مرتبته في الشركة، إلا بعد التثبت بشكل عملي من هويته، وحثهم على الاقتصاد في تداول المعلومات الشخصية في وسائل التواصل الاجتماعي. ويمكن إجراء اختبارات دورية تشبه تلك التي تجرى باستمرار لاختبار متانة أجهزة الكشف عن الحرائق.

الأمر الآخر، حينما يتم توظيف أشخاص جدد سواء بشكل دائم أو بعقود مؤقتة أو عبر شركة ثالثة، فلا بدَّ من السؤال والتقصي عن الشخص بشكل دقيق، لضمان خلو تاريخه مما يثير الريبة.

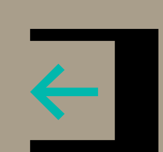
وهذا لا يعني بأنه ستكون هناك حصانة تامة. فحين يتعلق الأمر بأمن المعلومات، سيظل المجرمون يبتكرون طرقاً جديدة للاختراق، وسيظل الطرف الآخر، يحاول استباق هجماتهم بالتحصين، فالعلاقة بينهما طردية. لكن الوقاية تبقى دائماً خير من العلاج.



تخصص جديد

الابتكار في الصحافة





لأن المجال الصحافي يتطوَّر مع كل ابتكار رقمي؛ بات من الممكن الاطلاع على المؤثرات الجديدة في مجال صناعة الصحافة، من خلال تخصص جديد بعنوان «الابتكار في الصحافة» (Journalism Innovation Specialization).

تستكشف المقررات الرئيسة في هذا التخصص سُبل التواصل من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ومنصات الوسائط المتعددة من أجل نقل الخبر وصناعته. كما أنه يخوض في استخدام البيانات ووسائل الإعلام الجديدة من أجل ابتكار صحافة تعتمد على البيانات. وسيتزود المتخرجون في هذا المجال، بمجموعة من المهارات أهمها جمع الأخبار، وإنتاج محتوى الوسائط الرقمية وتحريره، وتقاسم الأخبار وتوزيعها، إضافة إلى مهارات الصحافة الاستقصائية.

أما المقررات الرئيسة فتأتي تحت الأسماء الآتية:

- إنتاج الأخبار من خلال شبكة الإنترنت والهواتف المحمولة.
- الصحافة المعتمدة على البيانات.
- المنابر الإعلامية الناشئة.
- أنظمة التواصل الرقمية.
- وسائل التواصل الاجتماعي للعامة.
- قانون الإعلام.
- البحوث التطبيقية في إدارة المحتوى.
- الاستراتيجيات والريادة في وسائل التواصل الرقمية.

ويتضمن هذا التخصص مقررين تطبيقيين يتيحان الفرصة لحضور المحاضرات وورشات العمل المتعلقة بأي تقدم في عالم الصحافة في أماكن مختلفة من العالم.

لمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على الرابط التالي:
https://communications.syr.edu/academics/journalism-innovation/

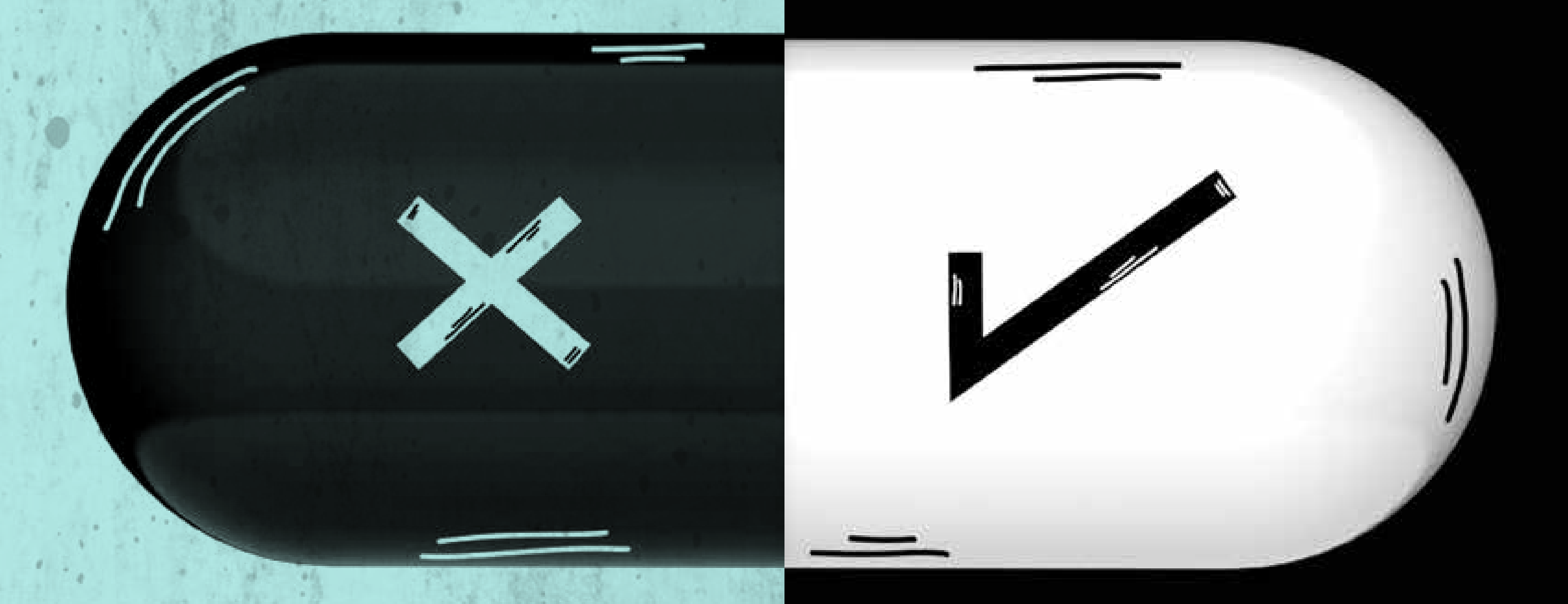
حياتنا اليوم

الثقة في الدراسات الطبية

إلى أي حد وفي أية دراسات؟

لا يمضي أسبوع تقريباً إلا وتطالعنا دراسة طبية جديدة حول كيفية العيش السليم، وحول فوائد هذا الغذاء ومضار ذاك.. هذه تنصح باستهلاك مزيد من القهوة، وأخرى تحذِّر منها، وتلك تحدِّد حصص الفاكهة في اليوم الواحد، وأخرى تشجِّع على ممارسة المشي وتربطها بفوائد علاجية تتجاوز توقعاتنا.. وسيل لا يتوقف من الدراسات التي تحدِّد ما هو مضرّ وما هو مفيد، حتى بات الأمر محيِّراً للغاية بل متناقضاً.

مهى قمر الدين



روابط لا علاقات سببية

يقول المفكر والفيلسوف فريدريك نيتشه إنه على الإجمال، «لا توجد حقائق، بل فقط تأويلات». هناك كثير من الصحة في هذا القول عندما يتعلق الأمر بالدراسات الطبية التي تتوجَّه بخلاصاتها إلى العامة عبر وسائل الإعلام.

يتم اختبار معظم القضايا المتعلِّقة بالتغذية أو أسلوب الحياة في حقل ما يُسمى بـ «علم الأوبئة»، حيث ترصد الدراسات المعلومات حول الأنظمة الغذائية وفوائد التمارين الرياضية واستخدام العقاقير الطبية والمكملات الغذائية وعوامل أخرى، كما أنها تراقب نسب الأمراض والوفيات. وتنتج عن تلك الدراسات فرضيات حول العلاقة بين زيادة الوزن وداء السكري مثلاً، أو بين التدخين وأمراض القلب، ومن ثم يدرس الباحثون البيانات ويطلعون بوشائج أو علاقات تربط ممارسات وحالات معيَّنة بأمراض محددة. ولكن الروابط أو العلاقات ليست أدلة ثابتة عن السببية.

قد يتزامن أمر ما مع مرض معيَّن، ولكن لا يمكننا أن نجزم بأن الأول يسبب الثاني. فعلى سبيل المثال، غالباً ما يقوم الأشخاص الذين يتبعون نظاماً غذائياً صحياً، بالتمارين الرياضية المنتظمة ويتجنبون التدخين، وإذا ما كانت موروثاتهم الجينية سليمة يمكنهم أن يعيشوا حياة مديدة. وقد يُظهر تحليل العوامل المشتركة بين هؤلاء الأشخاص، بالمقارنة مع أولئك الذين يموتون باكراً، بأن المعمرين كانوا يتبعون نظاماً غذائياً سليماً. ولكننا لا نستطيع القول إن النظام الغذائي السليم هو سبب عمرهم المديد. قد يكون السبب مزيجاً من العوامل التي كان يمكنهم التحكم بها، أو قد يعود إلى أوضاعهم النفسية، الأمر الذي قد يدفعهم إلى اتباع ما نعرفه بالعيش الصحي السليم.

يحاول علماء الأوبئة تفسير ذلك من خلال تحليل تعدد المتغيرات، حيث يتم اختبار كل عامل على حدة بعد عزل تأثير المتغيرات الأخرى. ومع ذلك، تبقى نتائج الدراسات مرتكزة فقط على الروابط التي يمكن تصنيفها بكونها ضعيفة أو قوية لكنها لا تثبت وجود علاقة بين السبب والنتيجة.

إمكانية التضليل

إن صدقية هذه الدراسات مسألة جدية جداً، لأنها كما يقول الطبيب البريطاني المهتم بالصحة الغذائية جون بريفا، «يمكنها أن تعطي أفكاراً مضللة حول ما هو مهم للصحة وما هو غير ذلك». إذ إن هناك كثيراً من التضليل والتحريف والحيرة فيما يتعلَّق بالأدلة التي تقدمها هذه الدراسات. فهناك من يقول إن الصوديوم لا يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم، وهناك من يؤكد عكس ذلك، كما أن هنالك من يشير إلى أهمية استهلاك النشويات وكذلك من يدعو إلى تجنبها تماماً، وجميعهم على استعداد للإشارة بأنهم استمدوا معلوماتهم من هذه الدراسة أو تلك.

ولكن السؤال، هو: لماذا يوجد هذا الاهتمام الكبير للاطلاع على الدراسات الطبية بالإجمال؟ تقول بيث سكاريكي، الكاتبة في مجال العلوم: «هناك ميل عام للاستجابة، وبقوة، للتحذيرات من الخطر والوعود بالأمور المفيدة (مثل الصحة السليمة وخسارة الوزن)





ينفق الأشخاص بشكل عام الملايين من الدولارات على المنتجات الغذائية الصحية، من الكتب التي تنصح بالأنظمة الغذائية المعيَّنة إلى الأطعمة الجاهزة والمكملات الغذائية والأدوات الرياضية

خاصة إذا كانت هذه التحذيرات أو الوعود قابلة للتطبيق. وبالنسبة للسلوك الغذائي والصحي ينطبق هذا الأمر بشكل كبير». ويشعرنا ذلك بالراحة النفسية من خلال اعتقادنا بإمكانية السيطرة على ما يؤثر على صحتنا الجسدية.

ولهذا السبب هناك استغلال فعلي لهذا الميل العام في العصر الحديث. ينفق الأشخاص بشكل عام الملايين من الدولارات على المنتجات الغذائية الصحية، من الكتب التي تنصح بالأنظمة الغذائية المعيَّنة إلى الأطعمة الجاهزة والمكملات الغذائية والأدوات الرياضية. وكلها تُقدَّم ضمن وعود بحياة أطول وأكثر صحة، ولكنها

في أكثر الأحيان تكون جزءاً من التكتيكات التسويقية واللعب على حيرة المستهلك. ومن هنا ضرورة البحث عن الجهات التي تقف وراء تمويل هذه الدراسات وتساعد في إعلان النتائج التي توصلت إليها.

تحيز في النشر

هل تساءلت يوماً لماذا يبدو كل شيء واعداً جداً في المجلات الطبية؟ فنحن لا نرى كثيراً من التقارير الطبية التي تتحدث عن مساوئ هذا العقار الطبي أو أخطاء الدراسة السابقة مثلاً. وتأكيداً على ذلك، استطاع فريق من الباحثين الوصول إلى مراجعات قامت بها إدارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة الأمريكية لـ 74 بحثاً أُجري بواسطة بعض الشركات على 12 عقاراً طبياً مضاداً للاكتئاب. وقد أشار فريق الباحثين هذا إلى أن «الدراسات التي حُكم عليها من قبل إدارة الغذاء والدواء بأنها سلبية، باستثناء ثلاثة، إما لم تُنشر أو أنها نُشرت بطريقة أوحت بنتائج إيجابية. وهكذا، وفقاً لما نُشر، يبدو أن 94% من التجارب كانت ناجحة، ولكن الحقيقة التي أظهرتها تحاليل إدارة الغذاء والدواء أن 51% منها فقط كان ناجحاً». وقد خرج الفريق بالاستنتاج التالي: «قد يكون للنشر الانتقائي لنتائج التجارب الطبية انعكاسات سلبية بالنسبة للباحثين والمشاركين في الدراسات والأطباء بالإضافة إلى المرضى».

والحقيقة أن هناك اتجاهاً لتغيير هذا الواقع. إذ أصبحت «اللجنة العالمية لمحرري المجلات الطبية» تفرض، كشرط لإمكانية النشر في مجلاتها، تسجيل الأبحاث فيما يُسمى بـ «سجل التجارب الطبية»، حيث يمكن التأكد من مدى جدية البحث والوثوق بنتائجه.

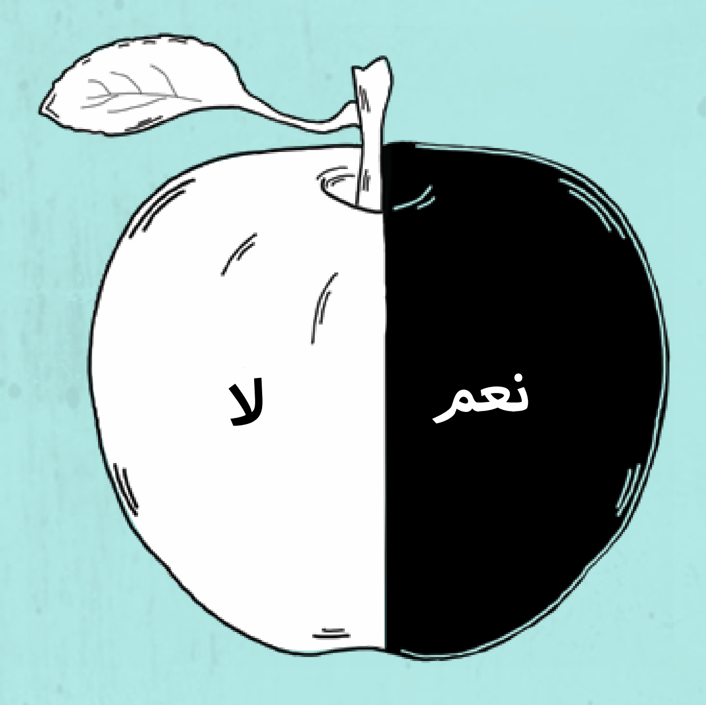
لكن الصحافية أليسون باس في كتابها «آثار جانبية: محاكمة مدعي عام ومبلّغ ومضاد الاكتئاب الأكثر مبيعاً»، تتناول التحيز في منشورات المجلات الطبية، مشيرة بوضوح إلى أن «هناك كثيراً من المجلات الطبية التي كانت (وما زالت) غير مهتمة بنشر النتائج السلبية. فعلى الرغم من أن كثيراً منها يحقق أرباحاً طائلة من إعلانات عقاقير الأدوية التي تنشرها، فإن ميلها للنتائج القطعية الواضحة التي تجذب القرّاء وتحقق لها الرواج المنشود يلعب دوراً أكبر».

يقول الدكتور مارك هيلفاند، أستاذ الطب في جامعة أوريغون للصحة والعلوم، الذي درس هذه المسألة بصفته رئيس «مركز الممارسة المرتكزة على أدلة» إن المجلات «تريد أن تنشر نتائج ذات عناوين لافتة. وهي ليست مهتمة بنشر الأدلة الدقيقة التي قد تعكس رسائل مختلطة أو رأياً أكثر توازناً».

وهناك كثير من الأطباء البارزين الذين يوافقون على هذا الرأي، حيث يقول الدكتور جوزيف م. هيمان العضو في الرابطة الطبية الأمريكية: «هناك احتمال أكبر لنشر الأبحاث الطبية ذات النتائج الإيجابية من الدراسات ذات النتائج السلبية أو الفارغة».

التأكد من الصدقية؟

لسوء الحظ، لا يوجد بديل للتحقق من الدراسات الطبية من قبل الخبراء المختصين. ولكن إذا ما كان ذلك غير ممكن، فمن الممكن القيام بعدة أمور ليصبح أي شخص مستهلكاً متنوراً للبحوث الطبية. ومن أهم هذه الأمور، الاطلاع على بعض المواقع المتخصصة بالتحقق من جدية البحوث الطبية، مثل موقعي



(Minnesota Health News Review) و(Medicine Plus) اللذين يشيران إلى نوع الاختبار الذي أُجريت الدراسة من خلاله، مثل ما إذا اختبر العلاج على الحيوانات فقط أو في أنبوب اختبار فقط، بحيث يجب طرح عديد من علامات الاستفهام حول فعالية العلاج على البشر. وإذا أجري الاختبار على البشر يمكن السؤال عن أوجه الشبه بين الشخص المعني وبين العينات التي ركزت عليها الدراسة. وبالطبع هناك أسئلة مهمة أخرى، مثل: هل اختبرت الدراسة الآثار الجانبية مثلما اختبرت الفوائد؟

وهناك مسألة مهمة أخرى، وهي أن معظم الدراسات تستثني الأطفال والمسنين إما لدواعٍ أخلاقية أو لدواعي الأمان. وبالإشارة إلى نقطة الضعف هذه قدَّم أرون كارول، أستاذ طب الأطفال في جامعة إنديانا الأمريكية ومدير مركز «السياسات الصحية والأبحاث المهنية» في الجامعة نفسها، مثالاً مفاده أنه بناءً على التجارب العشوائية التي تناولت الراشدين فقط، أدت وصفات العقاقير الطبية المعروفة بمثبطات مضخة البروتون للرضع المصابين بمرض الجزر المعدي المريئي، إلى زيادة هذا المرض لديهم سبعة أضعاف بين عامي 2000 و2004م. ولاحقاً، وفي عام 2009م فقط، أُجريت دراسة مباشرة على الأطفال الرضع، وكانت خلاصتها أن هذه العقاقير تسببت لهم بالأذى دون أن تقدم لهم أي فوائد.

في نهاية المطاف لا توجد دراسة واحدة كاملة، ولا يمكن للمرء أن يكون متأكداً من نتائج أية دراسة. فالخيار الأفضل يبقى الانتظار حتى تتراكم الأدلة من عدة دراسات تستخدم عينات مختلفة من البشر. ومما لا شك فيه أنه لا يوجد سوى القليل من العلاجات المسلَّم بصحتها تماماً. وعندما يظهر واحد منها، سنرى الموافقة عليه، ليس من مصدر واحد فقط، وإنما من مصادر مختلفة.





متحف الصخور تحت سماء روافة

يمكن للتكوينات الصخرية في البراري أن تتخذ أشكالاً جميلة إلى حدٍّ يدفع الحكومات في بعض الدول إلى إعلانها محميات طبيعية، أو حدائق صخور، أو متاحف صخور.. ومن دون أن نتقصّد البحث عن مثل هذه «المتاحف»، وجدنا أنفسنا فجأة أمام أحدها في محيط مدينة «روافة» في شمال المملكة.

استطلاع وتصوير: ماجد المالكي



مهابتها تتجلَّى عند الاقتراب منها

تقع روافة بين مدينتي تبوك وضبا، وتبعد عن الأولى نحو 90 كيلومتراً. ولعل الجبال الصخرية المتوسطة الارتفاع وذات التضاريس المميزة التي تحفُّ بالطريق إليها من تبوك، هي هناك لتهيئة الزائر لما سيشاهده لاحقاً.

كانت زيارتنا إلى روافة لسبب لا يمت إلى الصخور الطبيعية بصلة. ولكن زميلنا المصوّر نايف العطوي، العارف جيداً بنواحي تلك المنطقة، حرص على أن يصطحبنا في رحلة على طريق وعر إلى ناحية تبعد قليلاً عن المدينة، حيث وجدنا أنفسنا أمام مشهد لم نرَ مثيلاً له من قبل.

أمام حديقة الصخور

فوق أرض سهلية تقريباً، تناثرت مجموعة من الصخور العملاقة، التي يستحيل إيفاء غرابتها أو فرادتها حقها من الوصف. حتى إن تبعثرها على هذه المساحة الكبيرة خدع أبصارنا، ولم ندرك حقيقة ضخامة الواحدة منها إلا عندما دنونا منها أكثر.

واحدة منها تشبه سفينة في عباب بحر من الرمل، وثانية تشبه الناقة حتى ليشك المرء في أن تكون تكويناً طبيعياً، وثالثة تشبه ثلاثة حيوانات رابضة وكأنها أُسود تنتظر فريستها.. ورابعة تبدو بقاعدتها الدقيقة الملامسة للأرض وضخامة كتلتها القائمة في الهواء وكأنها هناك لمجرد نقض قانون الجاذبية..

كأنها حية

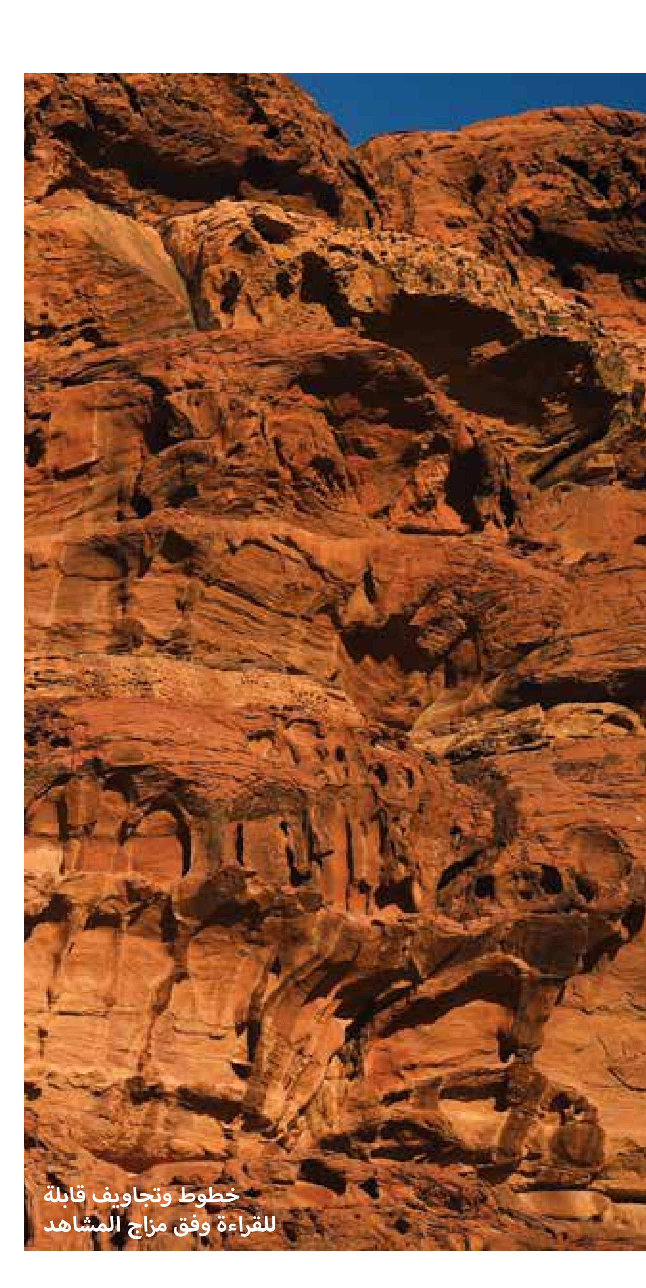
وفيما راح رفاق الرحلة يحاولون قراءة خطابات هذه الصخور، وكأنهم في مباراة لاختيار أفضل تشبيه، لفتنا نايف إلى أن ما تبدو عليه هذه الصخور يتبدل تماماً، ويختلف كل الاختلاف بمرور الوقت خلال النهار. فهي في الصباح تبدو بأشكال توحي بصور غير تلك التي توحي بها تحت شمس الظهيرة، أو تحت شمس الغروب. وذلك بسبب لعبة الضوء والظلال التي لا تنفك تتحرك على تضاريسها الحادة والكثيرة وما فيها من فجوات وأسطح نافرة. حتى إن هيئات هذه الصخور وما توحي به من مشاهد، تختلف تماماً عندما تكون السماء صافية، عمَّا تبدو عليه عندما تكون السماء غائمة. وما الذي يمكن أن نطلبه أكثر من ذلك لكي نصف مكاناً ما أو متحفاً بأنه حي؟

شيء من التفسير العلمي

كيف قامت هذه المجسَّمات الصخرية هنا؟ سؤال لا بدَّ لكل من يراها أن يطرحه وبإلحاح. والجواب المتداول دائماً هو أن عوامل التعرية من فروقات حرارية عالية ورياح وأمطار تنحت هذه الصخور عبر آلاف السنين، وهي مستمرة في نحتها لآلاف السنين المقبلة حتى تحويلها كلها إلى رمال وحصى صغيرة. ولكن هذا الجواب لا يشفي الغليل، لأنه يؤدي بدوره إلى أسئلة عديدة أخرى: لماذا نحتت عوامل التعرية هذه البقعة من الصخرة وعفّت عن تلك؟ ولماذا لم تنحتها كما تنحت الحجارة الصغيرة من كل الجهات فتحولها إلى شكل كروي أو بيضاوي؟



إطلالة من فوق على حديقة الصخور



خطوط وتجاويف قابلة للقراءة وفق مزاج المشاهد

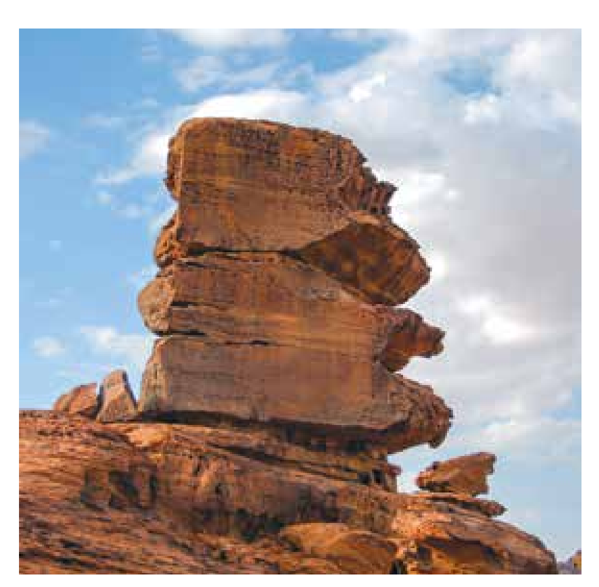
وبشيء من التبصر والمساعدة من ذوي المعرفة بالجيولوجيا، أدركنا أن هذه الصخور هي كلها رسوبية التكوين. تشكَّلت أولاً في باطن الأرض، ومن ثم ارتفعت بفعل الحركة الجيولوجية إلى سطح الأرض ضمن طبقة كاملة. وبوصولها إلى السطح، بدأت عوامل التعرية تفعل فعلها. ولكن التركيب المعدني لصخور الطبقة الرسوبية يختلف من موضع إلى آخر، باختلاف المعادن المترسبة فيه. وبذلك تكون بعض جوانب صخرة رسوبية ما أصلب من جوانب أخرى، وأقدر منها على مواجهة عوامل التعرية. ومن الطبيعي إذاً أن تفعل عوامل التعرية فعلها أولاً في المناطق الأضعف، بحيث تصمد أمامها المناطق الأصلب.

وعندما تصبح الصخرة المنحوتة جزئياً ذات فجوات ونتوءات، يتغير وقع عوامل التعرية عليها. فالفجوات المظللة تصبح أقل عرضة للتقلبات الحرارية لأنها بمنأى عن أشعة الشمس والمطر، كما أن أثر الهواء بحركته وضغطه على الصخرة بما يحمله من رمال وجزيئات صلبة، يتبدل تماماً، فلا يعود متجانساً على كافة جوانبها، وبذلك تصبح عملية النحت والتفتيت قوية في بعض المواضع وضعيفة في مواضع أخرى، ليبدأ بذلك تشكيل المنحوتة «فنياً».

الصخرة الحزينة

تقطَّع بحثنا عن التفسير العلمي لهذه الظاهرة الطبيعية غير المألوفة أكثر من مرة بفعل طغيان المشاعر والأحاسيس الشخصية عليه، كلما اقتربنا من واحدة من هذه الصخور. فبالقرب من واحدة منها، أحسسنا برهبة من الاقتراب أكثر، لأنها كانت عند أسفلها مجوفة بحيث إن أعلاها بدا كجبل من صخرة واحدة معلَّقة فوق رؤوسنا وقد تسقط علينا في أية لحظة.. الشعور نفسه انتابنا أمام صخرة أخرى مشابهة، ذات قاعدة نحيلة جداً تحمل كتلة صخرية ضخمة، لا تفسير لبقائها صامدة في الأعلى، سوى الشك في صدقية قانون الجاذبية.

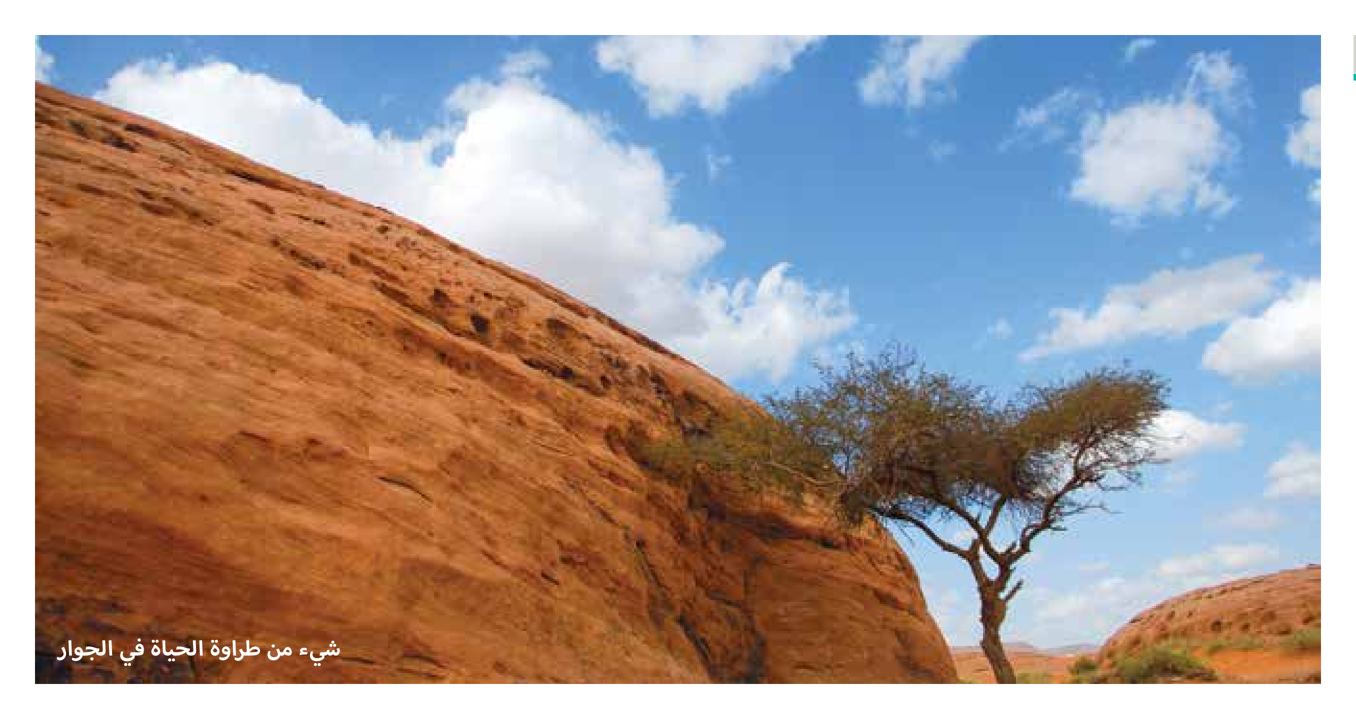






عوامل التعرية الطبيعية تفعل فعلها

التفسير الجيولوجي يبقى دون القراءة الشاعرية..الرعي بحراسة الأسود


شيء من طراوة الحياة في الجوار


السفينة..

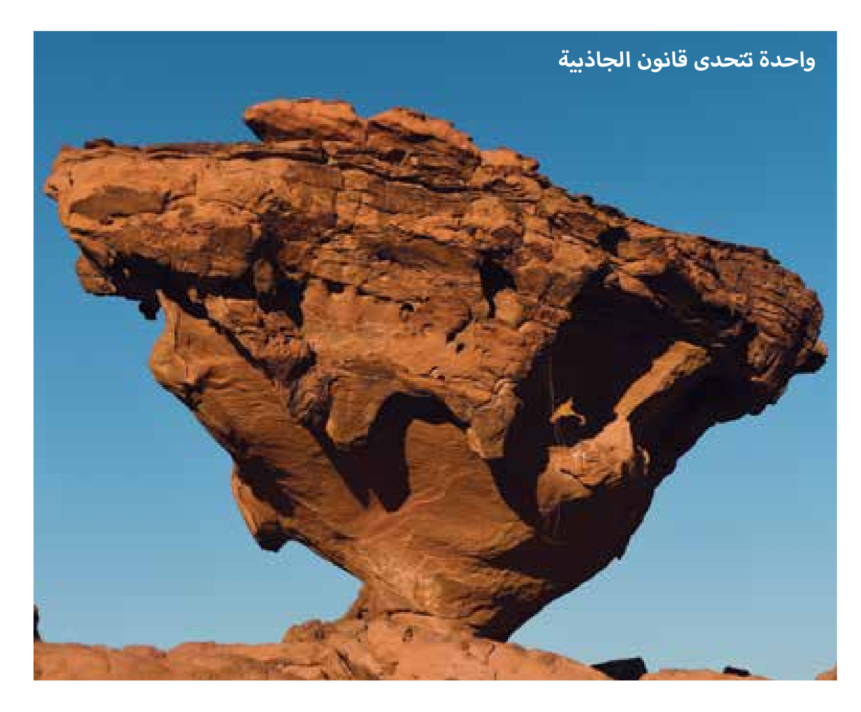


ومع مزيد من التجوال على هذه الصخور رغم تباعدها عن بعضها بعضاً، كانت الشحنة العاطفية التي تولِّدها في النفوس تكبر وتكبر.. وعند وقوفنا أمام واحدة من أضخمها وشاهدنا الخطوط العامودية النافرة على أحد جوانبها، وكأنها تسيل عليها سيلاً، بدت لنا كالدموع، وذكرتنا بتشبيه لأحد الشعراء: «كأنها دموع عين مكحلة..» فقررنا تسميتها «الصخرة الحزينة».

خطاب الزمن

عندما جلنا بأبصارنا على هذه الحديقة الصخرية العملاقة في نظرة وداعية متأملة ومتأنية، أحسسنا بحضور الزمن من حولنا.. الزمن الطويل الذي استغرقه تشكيل هذه الصخور على هذه الهيئات البديعة. آلاف، مئات الآلاف، ملايين السنين؟ لا نعرف. ما نعرفه أنها هنا على هذه الهيئة منذ زمن بعيد، وستبقى هنا لزمن طويل مقبل. ولكن..

إن عوامل التعرية ظالمة وعنيدة، وتستمر اليوم في نحت هذه الصخور وتفتيتها ولو ببطء شديد غير ملحوظ. ويكفي أن نعرف أن الطبقة الرسوبية التي تشكَّلت فيها هذه الصخور، كانت في الأساس من الرمال التي أنتجتها عوامل التعرية من الجبال البركانية الأصلب منها. وطالما أن الصخور البركانية لم تصمد في وجه عوامل التعرية إلى الأبد، فمن المؤكد أن هذه الصخور الرسوبية ستنهزم بدورها، وستستمر في التآكل والتفتت إلى أن يأتي يوم بعد آلاف السنين، لا يبقى فيه من هذه المنحوتات الجميلة غير الرمال.

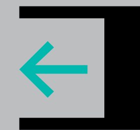

واحدة تتحدى قانون الجاذبية


الناقة..





بيوت من قناني البلاستيك



بيوت من البلاستيك؟ قد تبدو الفكرة مستغربة وغير قابلة للتنفيذ، ولكن تجربة نيجيريا في بناء منازل من البلاستيك أثبتت مدى متانة هذه البيوت وقابلية السكن فيها.

لا شك في أن البلاستيك هو في كل مكان في العالم، وقد بدأ يشكِّل عبئاً كبيراً على البيئة. وعلى الرغم من حملات التوعية لاستخدام كميات أقل من البلاستيك، فإن سكان عديد من البلدان في العالم، بما فيها البلدان المتقدمة، لا يزالون يرمون كميات كبيرة من البلاستيك في المكبّات، دون أي وعي لخطورة عملهم.

وقد دفعت هذه الحقيقة المرّة عديداً من الأشخاص إلى التفكير بطرق مبتكرة لاستخدام هذه المنتجات غير المرغوب فيها. وبما أن هناك أزمة سكن جدية في نيجيريا، وحاجة لبناء 16 مليون وحدة سكنية على الأقل، ولأن بناء البيوت بالوسائل التقليدية ذو تكلفة عالية، تبنَّى السكان المحليون فكرة كانت قد اقترحتها اثنتان من المنظمات غير الحكومية هما: «جمعية التنمية للطاقات المتجددة» و«منظمة إفريقيا الوقفية الجماعية». وقد بدأوا الآن ببناء بيوت من قناني البلاستيك.

وهذا المشروع أخذ يحل مشكلتين اثنتين: الأولى، معالجة مشكلة التشرد؛ والثانية، مساعدة البيئة. فمن خلال هذا المشروع ستكون هناك كميات أقل من البلاستيك في مقالب النفايات، كما أن تلك المنازل ستكون خالية من انبعاثات الكربون الضارة. وبالإضافة إلى ذلك، فهذه البيوت مدعومة بالكامل بألواح الطاقة الشمسية وغاز الميثان من النفايات البشرية والحيوانية المعاد تدويرها.

ومن أجل بناء منزل من غرفتين، يقوم العمال بتعبئة قناني البلاستيك بالرمل ومن ثم يلصقونها ببعضها بعضاً بواسطة الوحل والإسمنت. فيشكِّل ذلك جداراً



أقوى من الطوب. وعلاوة على ذلك، فإن هذه البيوت الملوّنة مقاومة للرصاص والحريق ويمكنها أن تتحمل الزلازل.

يمكن بناء مبانٍ من ثلاثة طوابق، وليس أكثر من ذلك، بسبب وزن القناني المملوءة بالرمال. وبطبيعة الحال، فإن التنوع الرائع في القناني المعاد تدويرها يعطي كل بيت منظراً فريداً ومشرقاً. ويحتاج المنزل المؤلف من غرفتين حوالي 14000 قنينة. وإذا ما عرفنا بأن هناك حوالي ثلاثة ملايين زجاجة يتم رميها في نيجيرياً يومياً، يتضح لنا أن هناك ما يكفي لإيجاد منزل لكل من هو بحاجة إليه. وقد يكون هذا البلد الإفريقي، من خلال هذه الفكرة المبتكرة، مصدر إلهام لعديد من الدول لتحوِّل نفاياتها إلى ما فيه حل لمشكلاتها المستعصية.

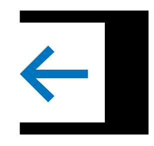


ينقسم الأدب الكردي، كما كل الآداب تقريباً، إلى أدب شعبي وأدب مدوَّن. ويَعد البعضُ ملا أحمد جزيري (975م - 1055م) واضعَ البداية الأولى لتدوين الثقافة الكردية. أما قبل ذلك فكان الأدب الشعبي الكردي شفهياً، ينتقل من جيل إلى جيل عبر الرواة والمغنين الذين كان لهم الفضل الأكبر في الحفاظ عليه من الضياع وتمريره للأجيال، على رغم معاناة الشعب الكردي من الأمية طويلاً، وعيشه حياةَ البداوة والترحال بين جبال كردستان وسط طبيعة وظروف مناخية صعبة. وبلا شك فإن راوي القصة (الحكواتي أو جيروكبيج) والمغني (دنكبيج) هما الرائدان في الأدب الشفهي؛ لأنهما ينقلان صورة حقيقية ومتنوعة عن بلادٍ عانت من سيطرة الطبقات الحاكمة ومن النزاعات العشائرية. وفي المجمل، كان هذا الأدب مرآة حقيقية عكست روح الشعب الكردي ومزاجه وتاريخه، وكافة المناسبات الاجتماعية كالأفراح والأتراح والحروب والانتصارات وقصص الحُب وملاحم البطولة وفصول السنة ومواسم الاصطياف.

مهوَش أحمد

صالح حيدو يجمعه ويدوِّنه

الأدب الشعبي عند الأكراد



للشعب الكردي تراثٌ فلكلوري هائلٌ لم يدوَّن منه إلا الشيء القليل، حيث ركزت معظم البحوث والدراسات التي اهتمت بالفلكلور الكردي على جانب واحد هو الأدب والشعر، وأهملت دراسة جوانب أخرى مهمة من ذلك التراث. وثمة عدد كبير من المستشرقين والرحالة ورجال الفكر الذين زاروا كردستان وقاموا بجمع تراثها أمثال باسيل نيكيتين وليسكو ومينورسكي ومارغرت رودينكو وهذه الأخيرة الرائدة الحقيقية في مجال إحياء التراث الكردي. أما الباحثون الأكراد فعلى رأسهم عز الدين مصطفى رسول، صاحب دراسة «في آداب الفولكلور الكردي» وعلي الجزيري، صاحب كتاب «الأدب الشفاهي الكردي» وجليلي جليل، وصبحي جعفر، والشاعر الكبير جكرخوين والباحث والشاعر صالح حيدو.

إلا أن هذا التراث الضخم الذي يمتلكه الشعب الكردي لم يُدرس حتى الآن دراسة ميدانية وعلمية؛ لأن الباحثين اعتمدوا على معلوماتهم الشخصية وعلى الاستفسار من بعض كبار السن دون الاضطرار إلى الإقامة في ميدان البحث. يقول الباحث الجزيري : «الفلكلور الكردي رغم ثرائه ورغم وصفه كمعينٍ لا ينضب إلا أنه مهدد بالنسيان، بسبب موت من كان لهم الفضل الكبير في حفظه في صدورهم وصيانته. ومن هنا، تتأتى ضرورة تدوينه ودراسته». وقد بذل الشاعر والباحث صالح حيدو جهوداً جبارة في جمع التراث والأدب الكردي الشفاهي، حيث صدرت له مجموعة من الكتب، منها «مجموعة من الأغاني الكردية في الفلكلور الكردي في سوريا» في خمسة أجزاء، و«شرح الأغاني الكردية مع النصوص الكاملة» و«أغاني الأطفال التراثية» و«مجموعة من القصص الكردية». لقد كتب خمسة وأربعين مجلداً جمع فيها التراث الكردي الأصيل من أغانٍ فلكلورية إلى القصص والحكايات الرمزية والحقيقية التي يشتهر بها الأدب الكردي، وفي الحِكم والأمثال جمع أكثر من أربعة آلاف مَثَلٍ كرديٍ شرحاً، وخمسمئة «حزورة» وخمسمئة قصة كردية تراثية وقصص ذات نكت ومناقب ومثالب تحكي روح الشعب وطريقة عيشه في الحياة الاجتماعية.

الأغنية وخصوصياتها

لا جدال حول غنى الأدب الشعبي الكردي، ويتمثل هذا الغنى في تنوع أشكاله. فالأغاني الكردية، على سبيل المثال، لا حصر لها، لأنها حاضرة في كل تفاصيل الحياة اليومية للشعب الكردي تعبِّر عن أمنياته وآماله. هناك أغاني الحب وأغاني الحرب التي تثبت بطولة الرجل الكردي في معاركه مع أعدائه، وأغاني الأطفال، وأغاني الشباب، وأغاني الحصاد والفلاحة والرعي. وطبيعة الأغنية الفلكلورية الكردية غزلية وفكاهية ودينية، لكنها لا تغفل عن أن تتحدث عن طبيعة كوردستان وجمالها. ولقد كان ازدهار الغناء مرتبطاً بالإمارات الكردية، إذ كلما كثرت الإمارات كثر المغنون، والعكس بالعكس، والسبب هو أن المغنين كانوا يكسبون رزقهم من الغناء أمام الأمراء.

دوّن الباحث صالح حيدو مئة وخمسين أغنية، كتابة ولحناً، لكي تنتشر في كافة أنحاء كردستان ويستفيد منها الشعب الكردي بعد أن يرى شخصيته من خلال موروثه الثقافي. وجلّ ما جمعه حيدو من أغانٍ إيقاعية تدل على أصالة كرديتها لتوثيق الحياة اليومية بتفاصيلها، كالحصاد والجرش والأعياد والأعراس والختان وكل ما يتعلق بمسيرة هذا الشعب عبر التاريخ. وعن الأغنية الفلكلورية الكردية يقول حيدو: «تتكون غالباً من ثلاثة مقاطع وكل مقطع من ثلاثة أسطر أو أربعة تحمل قافية واحدة، وتتغير القافية أثناء المقطع الثاني أو الثالث، وغالباً ما يكون الموضوع أحاديَّ الجانب، وتروي موضوعاً بذاته تستخدم فيه الألوان والأحجام والجمال والكلمة السلسة والمفهومة والجذابة، يفهمها الصغير والكبير وكل أفراد المجتمع وتحمل لحناً شجياً وجذاباً».



وتصنّف الأغاني الكردية وفقاً لمضمونها. فهناك القصة (جيروك) والأقصوصة (جير جيروك) اللتان يرويهما شخصٌ يدعى (جيروكبيج) أو الراوية، وينشدها (دنكبيج) أو المغني. وهناك ما يعرف بـ (ديلوك) الذي يقصد به أغاني الرقص والدبكة. أما (شر) التي هي أغاني الحرب أو الحماسة كما في الملاحم والأساطير فتقابلها (لاوك) التي هي أغاني الحب التي تتحدث عن الفتى الخيّال وتصور شجاعته. وتتميز الأخيرة عن لحن (حيرانوك) الذي هو عبارة عن قصائد حب يعبّر فيها عن الحُب الناقص غير المكتمل وكآبة

طبيعة الأغنية الفلكلورية الكردية غزلية وفكاهية ودينية، لكنها لا تغفل عن أن تتحدث عن طبيعة كوردستان وجمالها

الفراق. كما أن هناك فرقاً بين ما يسمى (لاويجوك أو لاجه) أي النشيد والترتيل الديني وبين النشيد الجماعي الكلاسيكي المعروف في الأدب الكردي بـ (بليتيه). وتطول القائمة لتشمل أغاني (بايزوك) الحزينة التي تغنيها القبائل الكوردية في الخريف خاصة، وأغاني (لاوج) التي تعزف في مراسم الحداد والتعزية، وليس أخيراً الأغاني التي تهدهد بها الأمهات صغارهن.

والمغنون يتنوعون أيضاً

ويقابل تنوعَ الأغنية الكردية تنوعُ المغنين، فهم على فئات. على رأس تلك الفئات يأتي (سترانفان أو دنكبيج) ويقصد بها المغني الذي يؤلف الأغنية ويؤديها. يليه (جيروكبيز) وهو راوي الحكايات، الذي يغني حيناً ويروي حيناً آخر، وأكثر ما يكون ذلك في رواية القصص القصيرة. وهناك أيضاً (مرطب أو مطرب) وهو الغجري الذي يغني ويرقص معاً. ويوجد بالإضافة إلى ذلك (سازبند) وهو الموسيقار الذي يسير مع المغني المؤلف، ثم (بلورفان) وهو عازف الناي. ويستطيع كل من المغني والقاص «الحكواتي» أن يسردا ما في جعبتهما من قصص الشعب بكل سهولة وبراعة، ملونين كلامهما بشتى أنواع السجع والطرف والحكايات والدعابات والمواعظ والعبر واللحن والصوت الشجي. كما تختلف الأمكنة التي يغنون فيها، فالديوان هو المكان الذي يُغنَّى فيه عند الأمراء والأغوات وبيوت الأغنياء، والخيمة أو خيام المصائف فعند الأغوات والقرويين، وأخيراً هناك الأعراس أو الاحتفالات التي تُقام في القرى والمدن.

الأحاجي والألغاز والأمثال

وتحتل الأحاجي والألغاز موقعاً مرموقاً بين الأشكال المختلفة للأدب الكردي الشعبي الفلكلوري. وتمثل الأحاجي مختصراً لحادثة أو ظاهرة معينة، على عكس الأمثال والحكم التي تسعى إلى تمرير جزء معرفي. وتستخدم الأحاجي عادة من أجل صقل التفكير أو لقضاء الوقت والتسلية كما هو الحال بالنسبة للطرائف أو الرمز في ميدان الأدب المكتوب. ظلت الأحاجي والألغاز غير مدوَّنة طويلاً مكتفية بالانتقال شفاهياً من جيل إلى آخر، ولم يتطوَّر حالها لتصبح جزءاً من الأدب المدون إلا في عهد قريب. ومن أمثال الأحاجي أحجية تقول: «تمشي وتظل تمشي معه ولا تبلغه، فما هو؟»، وجوابها (الظل). وتلك التي تسأل: «ماءان في كأس واحدة ولكل منهما ظله»، وجوابها (البيضة).

ومن الأدب الشعبي الكردي ما يوجد في الحِكَمْ والأمثال الشعبية، والأكراد مشهورون باستخدام كثير من الحِكَمْ والأمثال في حديثهم



هناك العقبات التي تعترض المحبين مثل بكو عوان الذي فرَّق بين مم وزين، وهناك الحيلة والخداع والامتحان والجزاء

اليومي. يطعّمون حديثهم بها من أجل إضفاء القوة والبلاغة على الحديث بحيث يكون مؤثراً. والنتيجة أن هناك عدداً من الحِكَمْ والأمثال والأقوال الشعبية المأثورة التي تأتي في ثنايا الكلام، وتتناول موضوعات ذات صلة بالقيم الكردية، مثل تمجيد البطولة والشهامة والكرم وحَسَن الأخلاق، والانتقاص من بعض الصفات كالأنانية والغيرة والخِسة والأعمال السيئة. كما أن هناك أمثالاً تتناول موضوعات أخرى مثل دور المرأة وفصول السنة والحيوانات والطبيعة. ولعل أشهر الأمثال ذاك القائل: «طاحونة السفيه (أو الجاهل) تدور من تلقاء ذاتها». إنه مثلٌ ساخر يتحدث عن الشخص المحظوظ الذي ينهي عمله بنجاح من دون فهم أو دراية.

الحكايات ورواتها

بالطبع لا يمكن الحديث عن الأدب الشعبي الكردي دون أن تظفر الحكاية بنصيب وافر من العرض. لقد عبَّرت الحكاية الشعبية بألوانها المتعددة عن أفكار المجتمع الكردي منذ عهود سحيقة. وتنقسم إلى أقسام، فمنها الحكاية وتسمى (جيروك) والحكاية القصيرة أو الأقصوصة وتسمى (جيرجيروك)، وهذان القسمان نثريان موزونان، يرويهما شخص يدعى (جيروكبيج) أو الحكواتي، وينشدها (دنكبيج أو استرانفان) أو المغني. وتُعد حكايات الحيوان من أبرز الحكايات الموجودة في الموروث الكردي، حيث تتصرف فيه الحيوانات كبني البشر تماماً، وتقوم بالكلام والتحرك وفقاً لذلك. وهذا الصنف الأدبي من حكاية الحيوان جنس أدبي شفاهي موجود في آداب أغلب الشعوب ومنها الشعب الكردي، وبالطبع فإن استخدام قناع الحيوان للحديث عن الإنسان هو بالتأكيد لتجنب رقابة السلطة الحاكمة والمستبدة. ومن أبرزها في الأدب الكردي حكايات تروى للصغار ومنها غزالوك ودلالوك، وحكايات الديك الأبيض وحبة الرمان وحكاية الحمار والثعلب والذئب. وهناك حكاية شهيرة بعنوان «شنكي بنكي قالوجنكى». ويبدأ الراوي الكردي حكايته بـ (هبو تنبو رحمة ل دي وبافة تا بو) وهي تقابل «كان يا ما كان» في اللغة العربية إضافة إلى الترحم على والد المستمع.

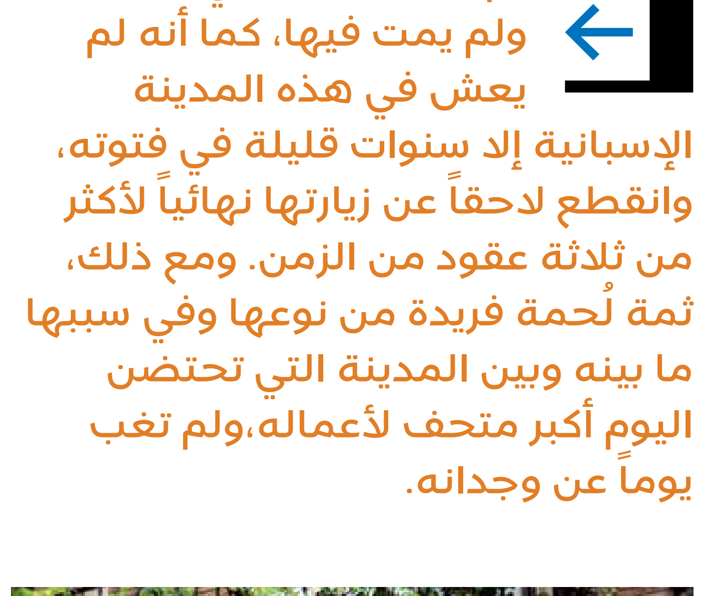
الملحمة، من جهة أخرى، تشكِّل جزءاً من الأدب الشعبي عند الأكراد. والملحمة هي الحادثة أو الواقعة العظيمة التي قلما تتكرر وتخلد لأهميتها وقيمتها في أغانٍ وأناشيد تصور حجم الواقعة. وتتميز الملحمة بوجود الحوار والوصف فيها بحيث يعطيان للملحمة مظهر القصة التي يكون الإنسان المحور الرئيس فيها. وتنقسم الملاحم الكردية تقريباً إلى ملاحم البطولة وملاحم الحب. في ملاحم العشق تظهر الفوارق الاجتماعية والدينية وعدم رضا الأهل كعوائق تحول دون اكتمال قصص الحُب، بل وتظهر أحياناً الدسائس والحيل التي تضمن الانفصال الأبدي بين المتحابين. ومن ملاحم العشق الكردية ملحمة «شيرين وفرهاد»، و«خجي وسيامند» و«زمبيل فروش». إلا أن أعظم وأشهر ملحمة في الموروث الكردي هي ملحمة (مم وزين) التي صاغها الشاعر أحمد خاني شعراً، وهي مبنية على أصول وقواعد «ممي آلان» وهي الشاهد الوحيد على وقائع وأفعال المجتمع القديم، وتحمل أيضاً إلى يومنا هذا شخصية المجتمع الكردي آنذاك. ويمكن اعتبار ملحمة (مم وزين) آنفة الذكر مثالاً على تعدد الرموز والموضوعات التي يتناولها الأدب الكردي الشعبي. فهناك الحلم والجن والعفاريت، والحوريات وخوجة، الذين يمثلون قوى الخير. وأيضاً هناك العقبات التي تعترض المحبين مثل بكو عوان الذي فرّق بين مم وزين، وهناك الحيلة والخداع والامتحان والجزاء. ويحضر الموت أيضاً باعتباره النهاية، حيث يموت كلا العاشقين في الملحمة. كما أن رمز الخاتم الذي يظهر جلياً في الملحمة نفسها، إذ تقوم الأختان زين وستي بتبديل خاتميهما بخاتمي مم وتاج الدين. وهناك أيضاً ماء الحياة أو المياه المقدسة والرسول أو القاصد والمرأة العجوز الحكيمة التي تُصلح بين المتحابين وتصل بينهم، ومثاله العجوز هيلانة.

أما ملاحم البطولة فأشهرها ملحمة «قلعة دمدم» التي تصور بطولة خان صاحب الكف الذهبية واستماتته في الدفاع عن قلعة دمدم ومقاومته لجيش الشاه عباس الصفوي في أعوام 1608-1610م. وتقترب ملاحم البطولة كثيراً في شكلها من الأسطورة التي يدور الصراع فيها بين الإنسان من جهة والعفاريت والجن من جهة أخرى، يمثل الأول قوى الخير، بينما يمثل الثاني قوى الشر على الأغلب. وتمثل الأفعى صورة لقوى الشر في الميثولوجيا الكردية كما في أسطورة عيد نوروز حيث نمت اثنتان من الأفاعي على كتفي أزدهاك الحاكم الظالم لشعبه. وفي المقابل تظهر شخصية خوجة خضر، باعتباره الملهم والمنقذ للآخرين، جلية واضحة في ملحمة «ممى آلان» الفلكلورية، حيث ظهر للأخوة الثلاثة في الملحمة وأشار عليهم بتزويج أكبرهم ليساعدهم في محنتهم. مثل ذلك نجد الجنّ الخيّر، الذي يساعد الإنسان ولا يؤذيه، حيث تقوم الجنيات الثلاث، بنات ملك الجن، بحمل زيني ووضعها إلى جوار «ممى آلان» النائم.

يخدم الأدب الشعبي عند الأكراد أهدافاً شتى، لكن أبرزها على الإطلاق أنه يحمل القيم الكردية ويصور الممارسات الاجتماعية اليومية حتى غدا مخزوناً هائلاً ثرياً لكل ما يتعلق بحياة الإنسان الكردي. وقد تكون إحدى الأساطير المتداولة في الأدب الشعبي خير معبِّر عن أهمية الموروث الكردي، حيث تتقصَّى الأسطورة أصل الأكراد وتحاول تقديم تصور عن نشأتهم، ومما خلصت إليه أن الأكراد أبناء الجن. بمقدار الطرفة التي تحملها هذه الأسطورة، تكون أهمية الأدب الشعبي الكردي وهو ينتقل من طور شفاهي إلى طور كتابي، مستمراً في نقل التجربة الإنسانية بشتى وجوهها وبعمق ثرائها.



بيكاسو وبرشلونة

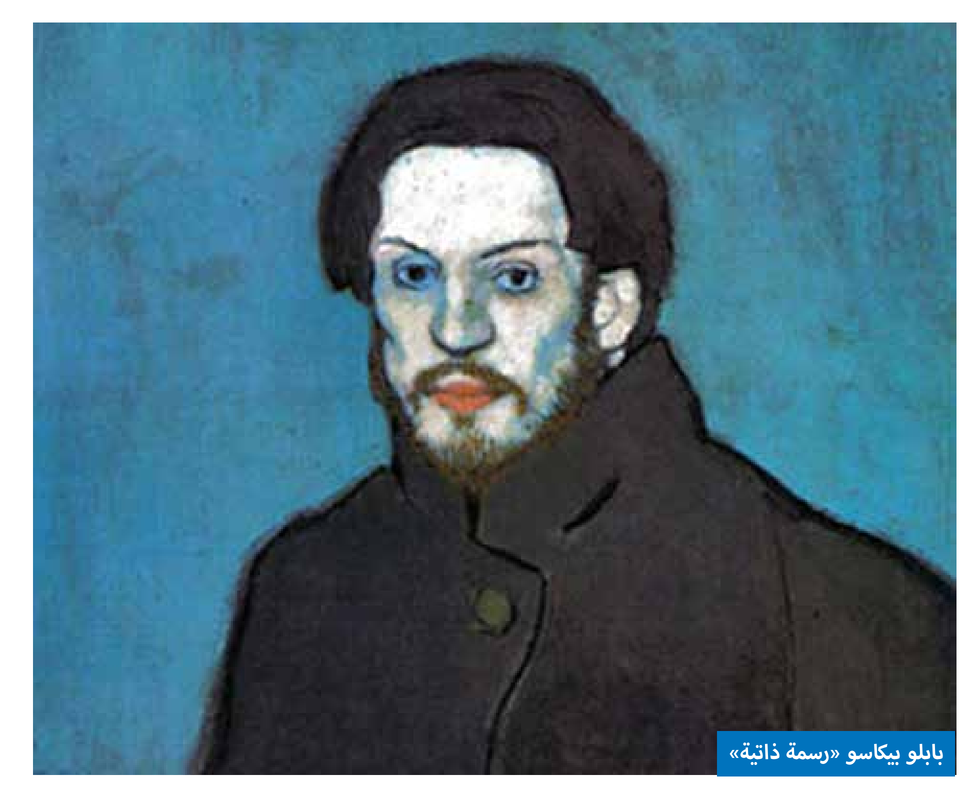


لم يولد بيكاسو في برشلونة ولم يمت فيها، كما أنه لم يعش في هذه المدينة الإسبانية إلا سنوات قليلة في فتوته، وانقطع لاحقاً عن زيارتها نهائياً لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن. ومع ذلك، ثمة لُحمة فريدة من نوعها وفي سببها ما بينه وبين المدينة التي تحتضن اليوم أكبر متحف لأعماله،ولم تغب يوماً عن وجدانه.









بابلو بيكاسو «رسمة ذاتية»



الزيارة

نشأته فيها

ولد بابلو بيكاسو في مدينة ملقة في جنوب إسبانيا عام 1881م، وكان في الرابعة عشرة من عمره عندما انتقل الى برشلونة، مع والده الذي كان أيضاً فناناً معروفاً. والتحق الاثنان بمدرسة لوتخا للفنون الجميلة، الأول للدراسة، والثاني للتدريس.

كانت برشلونة آنذاك مدينة صناعية صاخبة، تعج بالأفكار الطليعية والتقدمية في استعداداتها لدخول القرن العشرين. وراح الفتى الصغير يرسم بغزارة لا مثيل لها.. عشرات اللوحات وآلاف الرسوم على الورق أكدت موهبته الفذة، ما دفع والده إلى إرساله إلى مدريد لدراسة الفن في أكاديمية سان فرناندو التي كانت الأشهر في إسبانيا.

لم يحضر ابن السادسة عشرة على مقاعد الدراسة الأكاديمية إلا نادراً، وفضّل عليها تمضية الوقت في دهاليز متحف برادو لاستكشاف أعمال كبار الأساتذة القدماء. وعندما عاد عام 1899م إلى برشلونة، وضع خطاً فاصلاً بين ما تعلّمه أكاديمياً وما يريد هو فعلاً أن يفعله.

وجد بيكاسو البيئة الحاضنة لأفكاره المتمردة والطليعية في مقهى "إلس كواتري غاتس" (القطط الأربعة)، الذي كان يرتاده فنانون طليعيون وشعراء وكتّاب. وفي عام 1900م أقام أول معرض منفرد لأعماله في هذا المقهى. وبعد زيارة قام بها في

تبرع بيكاسو بعدد كبير من أعماله لمتحف برشلونة للفنون في عام 1968م..

السنة نفسها إلى باريس حيث اطلع على أعمال سيزان وماتيس، عاد إلى برشلونة ليقلب مسار تاريخ الفن رأساً على عقب انطلاقاً منها.

بقي بيكاسو في برشلونة لسنوات خمس لاحقة، وتُعرف أعماله خلالها باسم المرحلة الزرقاء، لطغيان اللون الأزرق عليها وكأنه رسمها على ضوء القمر. وكل ما رسمه آنذاك كان من وحي برشلونة.

هجرانها

في عام 1905م، انتقل بيكاسو للاستقرار في باريس، حيث أرسى الفن التكعيبي بالاعتماد على كثير من الرسوم التحضيرية التي كانت في جعبته وأتى بها من إسبانيا.. بقي يزور برشلونة من حين إلى آخر لتمضية بعض العطل مع العائلة أو الأصدقاء، إلى أن كانت الحرب الأهلية عام 1936م، التي انتصرت فيها قوات الجنرال فرانكو. فقطع بيكاسو على نفسه عهداً بألّا يزور إسبانيا طالما بقيت تحت حكم فرانكو. ولكن الجنرال بقي في الحكم حتى وفاته عام 1975م، وكان بيكاسو قد توفي قبله بسنتين، عام 1973م.

متحـف بيكاسو في برشلونة

هو عربون اللُّحمة الوثيقة ما بين الفنان والمدينة التي لم ينسها يوماً حتى وهو في منفاه الطوعي.

افتتح هذا المتحف في عام 1963م، ليضم اللوحات التي كان الفنان قد تبرع بها إلى «متاحف برشلونة للفنون»، وأيضاً تلك التي كانت بحوزة صديقه خاومي سابارتيس. ولأنه كان من غير المعقول إطلاق اسم شخصية معارضة للنظام على منشأة بهذه الضخامة، حمل المتحف في البداية اسم «مجموعة سابارتيس». وفي عام 1968م، ومناسبات عديدة أخرى، تبرع بيكاسو بعدد كبير من أعماله لهذا المتحف، وهو الذي كان يقول عن نفسه: «أنا أكبر جامع للوحات بيكاسو في العالم». وبعد ذلك، جاء دور الهواة للتبرع بما يملكون، بحيث بات هذا المتحف يمتلك اليوم أكثر من 3800 لوحة ورسم ومنحوتة من عمل هذا الفنان الذي عاش تسعين سنة ولم ينسَ برشلونة يوماً. ←





تمام التلاوي

لا أقول لك الآن إني حزين

لا أقول في الشعر: كلما اتَّسع المعنى ضاقت العبارة.
إنما أقول: كلما ضاقت العبارة اتَّسع المعنى. ذلك أن الشعر هو فن الاختزال، أما التفاصيل فهي من شأن المخيلة.
لهذا، ربما لا تجد شاعراً مبدعاً وروائياً مبدعاً في الشخص نفسه. فكثير ممن فشلوا في الشعر اتجهوا إلى الرواية، والعكس صحيح. الشعر الجيد يحكي الكثير بأشد العبارات اختزالاً. والرواية عموماً تحكي القليل بكثير من التفاصيل.
ولهذا، فلا شيء يعبِّر عن مدى تعقيد المشاعر الإنسانية كما يعبِّر الشعر، والشاعر المبدع هو الذي يستطيع إيصال زخم كبير من المشاعر والمعاني بأقل العبارات، لتصبح أشد إدهاشاً. فهل كان لملحمة طروادة بتعقيداتها أن تصلنا بهذا الجمال لولا أنها صيغت شعراً؟. وهل كان لها أن تعيش إلى يومنا هذا لولا أنها حُمِلتْ على عربة الشعر؟
ولأن الحروب والمآسي الكبرى والكوارث الطبيعية تنطوي على كثير من المشاعر المعقَّدة، فلن تجد شيئاً أجدر بالتعبير عنها من الشعر. وبقدر ما يقف الشعراء عاجزين وملجمي الألسن أمام هول الكارثة، بقدر ما يكون الشعر هو التعبير الأكثر جدارة بوصفها.

«... هربتُ من الحرب من قبل أن يقتلوني، فشاهدت عند الحدود زنابق داس عليها الجنود، وشاهدتُ قمصان أهلي معلَّقة منذ عامين في الشرفات».
كتبتُ هذه الأسطر وأنا خارج من بلادي التي دمرتها الحرب، وكتبت غيرها أسطر وقصائد، ولكن في المقابل لطالما أصابني الصمت أمام مشاهد كثيرة مهولة، فلم أستطع أن أعبِّر عنها حتى الآن. شعراء كُثر أخرستهم الحرب، كما أنطقت آخرين لم يكونوا يكتبون الشعر من قبلها إلا ما ندر. ومنذ خروجي من بلادي قبل عامين تقريباً، إلى هذا اليوم وأنا أحاول التعبير عما رأيته وشعرت به، مع كثير من الفشل.
لم أستطع الكتابة عن ابنتي التي تركتها هناك ورائي إلَّا بعد عام ونصف العام تقريباً من فراقها، ولستُ واثقاً بعد من كوني أدركت القصيدة.
أن تكتب بجماليات شعرية عن وطن يُدمَّر، وشعب يموت، فإنك تضع نفسك كشاعر في مأزق أخلاقي وجمالي: إلى أي مدى يحق لنا أن نحول القباحة والموت إلى جمال صرف؟! وأن نحوِّل المأساة إلى ملهاة؟!
وكم سنخشى في خضم ذلك من ضياع المعاني؟.. ربما لهذا تحديداً صمت كثير من الشعراء.. ربما ليقولوا لنا بدورهم: كلما اشتدت المأساة.. صمتت العبارة..

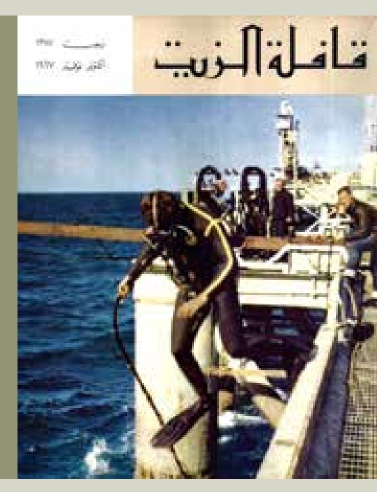
لا أقول لكِ الآن إني حزينٌ
ولكنني أتذرّع بالدمع حتى أهادنَ أيلول
ها مرّ عامٌ وأكثر
لا أنتِ تنتشرين كعطرٍ برَدهة بيتي
ولا أنا قارورةُ العطر مكسورةٌ في ممرّكِ
عامٌ وأكثرَ
والباب يستقبل العائدين من الحرب
موتى وأشباه موتى..
ولا أتحدث عن شرفةٍ طالما لوحّتْ ليَ
منها يداكِ
لكنني أتحدثُ عن أصص الفل
هل عطشتْ في غيابي!..
لا أقول عن الحب ما كنتُ أرويه عنكِ
ولا عن حكايا الأميرات
ما كنتُ أحكيه قرب سريرِكِ حتى تنامي
ولكن إذا لم أعد قبل أيلول
قصّي عليه الحكاية منذ أفقتِ ولم
تبصريني..
ترى صرتِ أكبرَ؟ أطولَ؟ أجملَ؟
يا ابنةَ أحلى النساء
ويا برعم الحبّ

لا يتفتّحُ ورد البساتين ما لم تمرّي
ولا يصل النهر للبحر من غيرِ ركضِكِ
حول ضفافي..
ولا أتحدّثُ عن درج البيت
حيث وضعتُ الحقيبةَ قبل العناق
لكنّ أمَّكِ كانت ترتّب فيها ثيابي
وأدمعها
وكانت تحلّق من فوقنا الطائرات
هبطتُ بها مسرعاً
فتصدّعتِ الدرَجاتُ..
وها مرّ عامٌ وأكثرَ
والطائرات تدكّ البيوت
وأيلول لاذَ بشرفتنا مرتين
وعاتبني مرتين
وهادنتُهُ مرتين
وأنتِ على الباب
أصبحتِ أحلى
وشَعرُكِ يحكي لأيلول
كم مرّ منذُ أفقتِ ولم تبصريني
وكيف الأميرات ما عدنَ زُرنَ سريرَكِ
مذ جعلتنيَ ساحرةُ الحربِ وحشَ
الغياب..
تقولين إنّا إذا ما التقينا
وقبّلتِني
سوف يضحك أيلولُ من حولنا
وأعود جميلا..

بعد خروجه من سوريا خلال السنة الثالثة من الحرب السورية، كتب الشاعر هذه القصيدة خلال فترة ابتعاده عن زوجته وابنته التي امتدت لعامين. ويُعد تمام من أبرز شعراء جيله في الشعر السوري المعاصر، وقد نال عديداً من الجوائز العربية عن مجموعاته الشعرية.

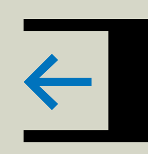
صدر له:

- منزل مزدحم بالغائبين / صدر عن دار سعاد الصباح عام 2000.
- شِعرائيل / صدر عن وزارة الثقافة السورية عام 2006.
- تفسير جسمكِ في المعاجم / صدر عن الأمانة العامة - دمشق عاصمة الثقافة العربية 2008.





تاريخ الصيد في الأردن



في عددها لشهر رجب 1387هـ (أكتوبر / نوفمبر 1967م)، نشرت القافلة استطلاعاً مصوراً بقلم لطفي عثمان ملحس، حول تاريخ الصيد في الأردن، يلقي الضوء على وفرة الحيوانات البرية آنذاك، وحضور مشاهد الصيد في أطلال قصور الأمويين والآثار الأردنية. وفيما يأتي أهم ما جاء فيه.


تمثال من الفخار لحيوان عُثر عليه في جبل الجوفة في عمّان، ويرجع عهده إلى عام 1800 ق. م.

بلاد الأردن من البلاد الغنية بأنواع الصيد، وقد اشتهرت بهذا من أقدم الأزمان، ولا شك في أنها قد بلغت ذروة ازدهارها كمكان مفضَّل للصيد والقنص، على عهد الغساسنة والأمويين. فقد كان هؤلاء مولعين بحب الصحراء وحياتها، ينصبون خيامهم في أرجائها، ويقيمون في مضاربهم عدة أشهر من كل عام. ثم قادهم ميلهم للصحراء بالإضافة إلى عوامل أخرى إلى بناء عدد من القصور على أطرافها في بقاع معينة لتشرف على السهول والأودية.

تدل الآثار الباقية لمناظر الصيد الجميلة والمنقوشة على بعض جدران تلك القصور، على أن الأمويين كانوا من هواة الصيد وعشاق الفروسية. ومن قصور الأمويين التي لا تزال آثارها قائمة في الصحراء الأردنية قصر «المشتى» الذي يقع على بُعد 32 كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من عمَّان. ففي زاوية من زوايا إحدى الواجهات من خرائب المشتى يظهر نقش لطائر الزرزور الذي يكثر في هذه المنطقة. ويليه صور متلاحقة لحيوانات أشهرها الأسد، والجاموس، والغزال، والنمر الأرقط. وهنالك صور تمثل طيور الطاووس والحجل والببغاء، وتُرى وكأنها تشرب من كؤوس الماء، أو تنقر حب العنب في ظل الأوراق الغصون التي تتدلى من عناقيد العنب وأكواز الصنوبر.

أما قصر «عميرة» الواقع شرقي قصر المشتى الذي يبعد عن مدينة عمَّان نحو 83 كيلومتراً، فتظهر في إحدى واجهاته صورة يرجَّح أنها للخليفة الوليد بن عبدالملك ويبرز حول الصورة سرب من طيور القطا، وتحت قاعدة العرش تتلاطم أمواج البحر التي يظهر بينها قارب من قوارب الصيد تتلاعب الأسماك من حوله.

وأما قصر هشام في خربة «المفجر» التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن مدينة أريحا، فهو من أعظم القصور الإسلامية على الإطلاق. ويعزو الأثريون بناءه إلى الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (724 - 743م). ولا نقصد في مقالتنا هنا وصف هذا القصر وعجائب فنونه، وإنما نريد التلميح عن بدائع ما ارتسم فوق فسيفساء قاعة الاستقبال في هذا القصر من صور السباع والغزلان، وما تظهر عليه من أحاسيس الحيوان، الغالب والمغلوب، على جانبي نصف دائرة تقع في أحد الأجزاء الداخلية من إيوان الملك، وقد رصِّعت بالفسيفساء. وظهرت كذلك في بعض الغرف الأخرى صور تمثل رؤوس مختلف أنواع الطيور والحيوانات البرية والأليفة، بعضها يقضم قطوف العنب والثمار الأخرى.

أسلحة الصيد ووسائله قديماً وحديثاً

ليست الصحراء هي الموقع الوحيد للصيد في بلادنا. فإن الأغوار والجبال في الشمال والجنوب كانت مرتعاً خصباً لأهم الوحوش الكاسرة كالأسود والنمور والفهود. وقد انقرض من هذه الوحوش الأسود والنمور، وبقي عدد قليل من الفهود تشاهد أحياناً في الجنوب وفي أطراف الصحراء النائية. كما تضاءل عدد الخنازير البرية، فهي لا توجد الآن إلا في الأودية البعيدة ذات المرعى والماء والشجر الكثيف. وقد يعجب المرء في عصرنا هذا إذ يعلم بأن الأسلحة التي استعملها العرب في صيد الأسود والنمور لم تتجاوز القوس والنشاب والرمح والسيف، وأن الخيل السريعة كانت من أهم الوسائل التي اعتمدوا عليها لهذه الغاية، وأن الفروسية كانت من ضروريات الصيد لما يحتاج إليه الصيد من قوة جسمية وخفة في الحركة. وقد كانت تربية الصقور وتدريبها على صيد الحبارى والأرانب من أهم وسائل الصيد التي نالت قسطاً كبيراً من اهتمام العرب، وما زالت تنال اهتمام الصيادين في أيامنا هذه، وقد لا تجد قبيلة واحدة في صحرائنا دون أن يكون لديها عدد وافر من خيرة أنواع الصقور. كما أن العرب كانوا أول من اعتنى بالكلاب المعروفة بـ (السلوقي)، وذلك لاشتهارها بسرعة العدو، وكانت تستعمل - بعد تدريبها - في صيد الأرانب والغزلان. وقد نقل السلوقي إلى أوروبا وهناك حسّن نسله، وتوالدت من فصيلته أنواع عديدة تُعد اليوم من أثمن الكلاب الأوروبية. واليوم حلَّت بندقية الصيد محل الأسلحة القديمة، واستعملت السيارة للنقل والمطاردة. وبما أن هذه الطريقة تعرِّض الصيد للفناء السريع، فقد وُضع قانون للصيد الذي حُدِّد بموجبه الموسم والنوع والعدد المصرَّح بصيده.

أنواع الصيد ومواقعه في البلاد

ينقسم الصيد بصورة عامة إلى نوعين، الأول يشمل الطيور المواطنة كالحجل والسفرج والسبت والحمام والحبارى، وبعض الحيوانات كالأرانب والغزال والبدن (نوع من الغزال يمتاز بضخامته وطول قرنه). أما النوع الثاني فيشمل جميع الطيور المهاجرة.



صور لمختلف أنواع الحيوانات البرية والأليفة ظهرت على أجزاء من قصر هشام الداخلية.

الطيور المواطنة

الطيور المواطنة موزعة في جميع أنحاء البلاد، لا سيما قرب الأحراج والمزارع والينابيع والجبال الوعرة النائية، وكذلك الأرانب، ويجري صيدها بالبندقية مشياً على الأقدام، وتستعمل كلاب الصيد المدرَّبة لهذه الغاية. أما أنواع الغزال والحبارى فتوجد في أماكن بعيدة داخل الصحراء، يطاردها الصيادون بالسيارات السريعة، وقد كان الغزال إلى ما قبل بضع سنوات يعيش في مناطق صحراوية تقع قرب عمَّان إلا أن اتساع مساحة الأرض الزراعية وحرثها بالآلات الميكانيكية، وكثرة المترددين على الصحراء، بوسائل النقل السريعة، دفعت أنواع الغزال إلى أن يهجر مرابعه إلى أنحاء نائية في الصحراء، وكذلك الأمر مع الحبارى.

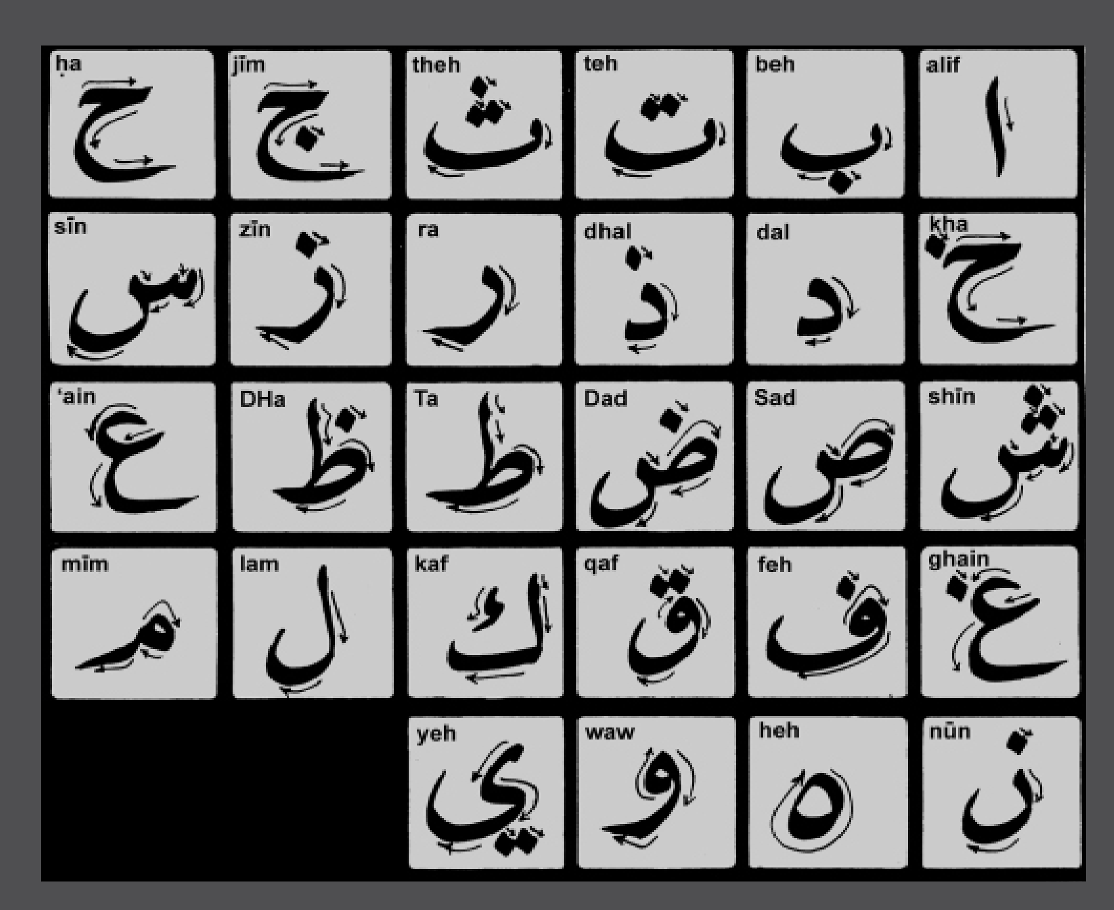
وقد يجد الصياد قطعان الغزلان بكثرة في صحرائنا الشرقية الشمالية والجنوبية، في مواقع مختلفة يتوفر فيها المرعى، وتنتقل هذه القطعان إلى داخل الحدود السورية والعراقية. وفي أحيان كثيرة ترحل بمجموعاتها الكثيرة إلى داخل الأردن آتية من أحد هذين القطرين. وللحفاظ على هذا الحيوان الجميل، وصيانته من الإبادة، وإبقاء للهواية الرياضية في الوقت نفسه، سمح قانون الصيد لكل صياد بصيد غزالين مرتين في الموسم. أما (البدن) فإن صيدها من الصعوبة بمكان، إذ يحتاج الصياد إلى إجادة استعمال البندقية الحربية لصيدها وهي بعيدة عنه مسافة تزيد على مئات الأمتار، والسير على الأقدام عدة كيلومترات بحثاً عنها لأنها تقطن الجبال الوعرة المسلك الشاهقة الارتفاع التي تقع جنوبي البلاد. ومن الطيور الجميلة التي انقرضت منذ سنين قليلة (النعام) الذي كان يعيش في صحراء اللواء الجنوبي.

الطيور المهاجرة

أما النوع الثاني من طيور الصيد، فيتألف من الطيور المهاجرة، وهي كثيرة الأنواع، تمر بالبلاد كل عام. باعتبارها مركزاً جذاباً لها لوجود نهر الأردن والسهول الواسعة والبرك والقيعان الصحراوية التي تكثر فيها المياه عادة في موسم الشتاء. ومن هذه الطيور المهاجرة: البط، والوز، والقطا بأنواعه، والرها، والسنايب، والزرزور، والحمام. وأما الفر، والرقطي، والسمان فيقوم بهجرته في موسم الربيع، ويجري صيده في الأغوار والسهول المرتفعة.



اقرأ المزيد
www.qafilah.com



معرفة الأسماء المعرّبة

د. نجاح طلعت

غريب أمر أئمة اللغة العربيّة القدماء! لقد اشتغلوا بكلّ شاردة وواردة في اللغة العربيّة. ومن أكثر ما انشغلوا به الألفاظ المعرّبة، وهي الألفاظ التي دخلت إلى اللغة العربيّة من اللغات الفارسية واليونانية والسّريانية والحبشيّة. فرصدوها، وعاينوها، ودرسوا أبنيَتها، ولاحظوا سماتها. فممّا قالوه إنّ عُجمة الاسم يُمكن أن تُعرف من ورود حروف معيّنة مع حروف معيّنة أُخرى على الشّكل الآتي:

- فليس هناك اسم يبدأ بنون ثمّ راء مثل «نرجِس»، و«نرد».
- ولا زاي بعد دال في آخر الاسم. نحو «مهندز»، فصيّره العرب «مهندِس».
- ولا تجتمع الصاد والجيم، نحو «صَولجان»، و«الجصّ»، و«الإجاص».
- ولا تجتمع الجيم والقاف، مثل «مَنجنيق»، و«الجُلاهق» (وهو البندُق)، و«الجوسَق» (وهو القصر).
- ولا تجتمع الطاء والجيم، مثل «طاجن» و«طيجَن».

وطريف أيضاً أن العرب كانوا يبدلون الحروف الأعجميّة إلى أقرب الحروف من مخارجها، كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل بور إذا اضطروا قالوا : فُور؛ والفيروز أصلها بالفارسيّة: «بيروز» ومعناه المظفّر والمبارك. وقالوا «توت» وأصله الأعجمي: «توث» و«توذز» وهم يعرّبون الشين سيناً فيقولون: «نيسابور» وهي «نيشابور» في، و«دست» وهي «دشت».



قلائل جداً هم الفنانون العرب الذين يحترفون اليوم فن المينا مقارنة بالرسامين والنحاتين ومن شابههم.. فللمينا، فن الرسم على المعادن، تقنياته الخاصة التي ينفرد بها، ومستلزمات لا يشترك فيها مع باقي الفنون، ولربما كان في طليعتها الموهبة، والمزاج الشخصي الذي يميل إليه من بين كل الفنون، نظراً لصعوبة العمل فيه.
للاطلاع على خصوصيات هذا الفن كانت لنا هذه الزيارة إلى محترف الدكتورة مسعودة قربان، المتخصصة في المينا، ورائدته في المملكة.

عبدالرحمن الجوهري

في محترف رائدته د. مسعودة قربان

فن المينا.. ترصيع المعادن بالرسوم الملوّنة



ما إن تدخل محترف الدكتورة مسعودة قربان الكائن في منزلها حتى تلفك الدهشة من الأدوات الغريبة والمواد التي لم نتعود رؤيتها عند دخولنا أي محترف آخر. معادن مرصوفة، زجاج، مساحيق ألوان في قوارير، أجهزة حرارية وأفران، نظارات ذات أشكال مختلفة ومواقد لحام، فتشعر بأنك في حضرة ورشة حيث العمل الدؤوب يصوغ الجمال من المعادن والزجاج والألوان، يصهرها بأناقة ودقة.. هذا هو محترفها الذي يجسد كل ما في داخلها من صور ذهنية ومشاعر ليخرجها إلى العالم على هيئة أعمال فنية تتباهى بجمالها حين نراها، وأن هذا المعمل هو حائطها الذي اتكأت عليه واحتمت به، وفضاؤها الذي تعبر فيه عن أفكارها عبر هذه القطع وتخاطب بها الآخر وتحاوره.

في البدء كانت هواية

بدأت الدكتورة قربان حياتها الفنية حين راحت تصقل موهبتها بالدراسة، وتخصصت في مرحلة الدكتوراة بأشغال المعادن «فن المينا». وكانت بداياتها مع هذا الفن بالذات خلال مرحلة البكالوريوس، وزاد تعلقها فيه بعد أن اكتشفت أنه فن قديم ولم يعمل فيه كثير من الفنانين لصعوبته، وعدم توفر الخامات، مما جعلها مصرَّة على التمسك به، لتبدأ رحلة البحث والدراسة، ولتبتكر تقنية جديدة في تطبيق المينا من خلال التصوير بالضوء كيميائياً، وفي مرحلة الدكتوراة حصلت على براءة هذا الاختراع من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

ما هو فن المينا

المينا عبارة عن مادة مؤلفة من الزجاج المسحوق، مذوّبة مع الرصاص والبورق (أو البوراكس)، وملوّنة عبر إضافة الأكاسيد المعدنيّة (أكسيد الزرنيخ للون الأزرق، والحديد والمنغنيز للون الأحمر الأرجواني، والقصدير للون الأبيض... الخ). وعند الشيّ في أفران خاصة على حرارة مرتفعة (ما بين 600 و800 درجة مئويّة)، يذوب الزجاج وينصهر مع قاعدته المعدنيّة ثمّ يتجمد عند إعادة تبريده، ويُعمَد لاحقاً إلى تسويته وصقله. وبفضل مزاياها المقاومة والثابتة، تتميّز مادة المينا بشكل رائع وبريق يشبه بريق المعادن الثمينة والأحجار الكريمة، حتّى إنّها تحلّ محل هذه الأخيرة في بعض طرز الحلي والمجوهرات.

في الواقع، لا يمكن استخدام الألوان في المينا إلا عبر وضعها بشكل متساوٍ، إذ إنّ المصدر المعدنيّ للصباغ يحول دون امتزاج الألوان. أمّا درجة البريق والشفافيّة أو الكثافة فهي عوامل ترتبط بدرجة الشيّ

د. مسعودة عالم قربان

• الوحيدة عربياً الحاصلة على الدكتوراة في فن المينا، وحاصلة على براءة اختراع في طريقة جديدة بالرسم بالمينا.

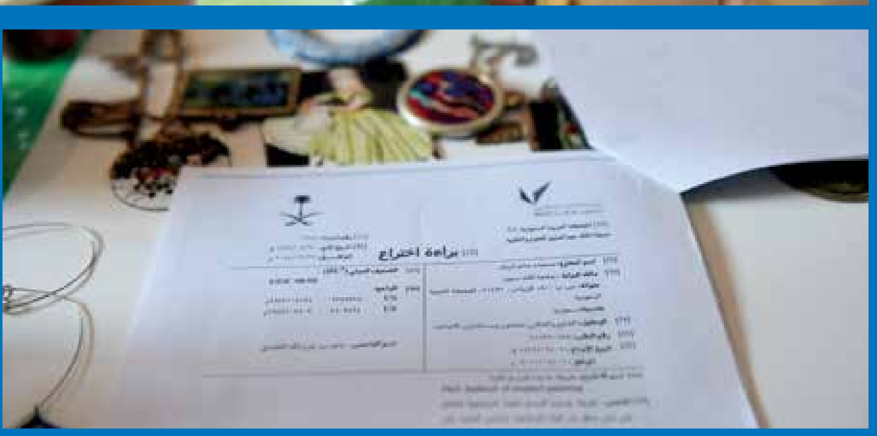
المشاركات الفنية

- معرض «ألوان» في جامعة الملك سعود 1420هـ
- معرض «تراثيات» في بيت التشكيليين بجدة 1421هـ
- معرض «حروفيات» في السفارة الأمريكية بالرياض 1422هـ
- معرض «إشكاليات» بدولة قطر 1431هـ
- معرض مصاحب في مهرجان مسابقة الخيول العربية بالرياض 1435هـ
- معرض شخصي في السفارة الباكستانية 1435هـ

الجوائز

- جائزة اقتناء في معرض الفنانين بمناسبة مرور 100 سنة على تأسيس المملكة بالرياض 1419هـ
- جائزة اقتناء بمعرض مناطق المملكة في الرياض 1422هـ
- جائزة اقتناء في ملون السعودية بالرياض 1423هـ
- جائزة المستوى الثاني بمعرض فنانات الرياض 1424هـ
- جائزة لجنة التحكيم في مسابقة السفير الرابعة بالرياض 1432هـ
- جائزة السعفة الفضية في ملتقى الفنون البصرية بالدوحة 1436هـ







المينا عبارة عن مادة مؤلفة من الزجاج المسحوق، مذوّبة مع الرصاص والبورق (أو البوراكس)، وملوّنة عبر إضافة الأكاسيد المعدنيّة

في الأفران ومدته. وقد تؤدّي عمليّات شيّ متتالية لأغراض المينا الشفّافة ذات الألوان المختلفة إلى ظهور تدرّجات في هذه الألوان، فهي في الأساس مادة زجاجية لا لون لها يطلق عليها الفلكس، وإذا أضيفت لها أكاسيد المعادن عند صهرها تكتسب الألوان.

المينا عبر العصور

حول فن المينا ومكانته وتاريخه، تقول الدكتورة قربان: إن فن الطلاء بالمينا يعود إلى عام 1400 قبل الميلاد. وكان مرتبطاً بالحلي والتحف المعدنية، واستخدمه قدماء المصريين في التطعيم بين شرائط دقيقة من المعدن. ومن أشهر العينات التي وصلتنا من ذلك الزمن الغابر قناع توت عنح آمون المشغول من الذهب والمرصَّع بالمينا إضافة إلى الأحجار الكريمة.

كما عُرفت «المينا» عند الإغريق منذ القرن الرابع قبل الميلاد وأبدعوا فيها واستخدموها في الحلي والأواني. وشهد فنّ المينا في بيزنطة، لا سيّما في أواسط الحقبة البيزنطيّة «من القرن العاشر إلى الثاني عشر»، انتشاراً فريداً بفضل الإتقان الممتاز لتقنيّة «الحجز» التي تمنحه مركزاً متميّزاً في صفوف الفنون الرفيعة في القرون الوسطى. فتمّ استخدام المينا في عالم صياغة المجوهرات لزخرفتها. وتشكِّل القطع المطلية بالمينا المحفوظة حتى يومنا هذا نسبة 20 بالمئة من المنتجات الفنية البيزنطيّة.

إنّ دراسة المينا وتاريخها مهمّة معقّدة ودقيقة جدّاً، لا سيّما عندما تكون مفصولة عن إطارها الأوّلي، وعرضة لتغييرات بسبب إعادة الاستخدام والترميم. وترجع أسباب عدم انتشار ورواج فن المينا بين المسلمين إلى صنَّاع المعادن، لأن التكفيت بالذهب والفضة كان إلى حدٍّ كبير منافساً لصناعة المينا المطبقة على المعادن المختلفة. ولعبت مصر في عصر الفاطميين دوراً أساسياً في ارتقاء الفنون المعدنية، وكانت فيها كنوز كثيرة من الحلي الثمينة، غير أن القليل منها كان مرصعاً بالمينا. ويرجع السبب في تدهور هذا الفن لاحقاً إلى قلة المشتغلين فيه في الوطن العربي لقلة الخامات. كما أنه فن يحتاج إلى وقت وممارسة وخبرة وتجارب كثيرة.

أساليب فن المينا

في محترفها لاحظنا أشكالاً متعددة من القطع







الفنية. وكل قطعة أُنجزت بأسلوب مختلف. وفي هذا الصدد، تقول الدكتورة قربان: إن هناك أكثر من ثلاثين طريقة لتطبيق ألوان المينا على المشغولات المعدنية، يعتمد بعضها على تطبيق ألوان المينا باستخدام حواجز أو فواصل معدنية بين الألوان، أو بين الألوان نفسها.

الهواية ليست كافية

ما يميز فن المينا أن التعليم المستمر والتطبيق العملي هو ما يضمن نجاح الأعمال، وهو بدوره ينمي الشخصية الابتكارية للفنان، ومواكبة كل تطور علمي في هذا المجال ضرورية بدورها، إما للحصول على مكوِّنات ومركبَّات جديدة، أو اكتشاف خصائص غير معروفة للمركَّبات والمكوِّنات التقليدية.

نلحظ ذلك بين طيات حديث الدكتورة مسعودة التي تطوي الأرض سعياً لحضور مؤتمر في أمريكا، أو ندوة في أوروبا. وتراها تسافر لتحصل على ألوان وخامات تنجز بها أعمالها. فالتخصص نادر في الوطن العربي، والمواد اللازمة له شحيحة. ولسدِّ هذه الثغرة، فإن الفنانة، وهي عضو في الجمعية الأمريكية للمينا، تحرص على حضور كل فعاليات هذه الجمعية لتستقي الجديد منها، ولتكمل نواقص محترفها من المواد.

وفي إطار حرصها على التعريف بهذا الفن على أوسع نطاق ممكن، تعتزم الدكتورة مسعودة إقامة معرض خاص في وقت قريب، تجمع فيه أعمالها في فن المينا وتدمج فيه الموروث الشعبي بالمعاصرة من خلال هذا الفن.



أدوات المينا

للدلالة على خصوصية فن المينا، نكتفي بالإشارة إلى بعض مستلزماته من المواد والأدوات.

فرن على قاعدة مقاومة للحرارة، وموقد لحام، ودرفيل سحب، ونظارات وقاية وقفازات بلاستيك وأخرى - مقاومة للحرارة، وحجر كربوراندم للحك، ولوحات ورق صنفرة جاف رطب، وفرشاة نحاس، وريش رسم وأسياخ ستينليس مسننة، ومخرز، ومنشار، ومبارد رفيعة، وأقلام حفر، ومقص ومشارط، وشوكة لحام، وقاعدة اللحام، ومطرقة خشبية، ومنجلة ربط، ومثقاب، وغربال، وصدفة مساعد صهر «بوراكس»، وملقاط تشكيل، وكراسي وقواعد استناد لعملية الحرق، وألواح من الميكا، وألواح من الخزف.





يعود فن الطلاء بالمينا إلى عام 1400 قبل الميلاد. وكان مرتبطاً بالحلي والتحف المعدنية، واستخدمه قدماء المصريين في التطعيم بين شرائط دقيقة من المعدن..



لا يمكن لمتابعي الساحة الروائية العالمية من القرَّاء والكتَّاب والسينمائيين وناشري الكتب الأكثر مبيعاً، ولا حتى المراهنين على جوائز نوبل كل عام، أن يتجاهلوا اسم الروائي التشيكي العتيق: ميلان كونديرا.خفته السردية التي لا تحتمل، ضحكه وسهواته، حياته التي هي في مكان آخر، مزحته الثقيلة أدبياً، لقاؤه النقدي والستارة التي تحيط خشبة مسرح الأدب، بطؤه وخلوده وحكايته عن الجهل، ومؤخراً: «حفلة التفاهة» التي ترجمها إلى العربية معن عاقل، وصدرت عن المركز الثقافي العربي..

عبدالعزيز الزهراني



أين يراها ميلان كونديرا وكيف؟

«حفلة التفاهة»



كونديرا ساخر كبير. سخر من نفسه، من مواطنيه، من تقنيته الروائية، من طرق الكتابة، من قارئه، مني شخصياً في «الحياة في مكان آخر»، من الأوطان التي تزول، تضمحل وتختفي في طيات ثوب التاريخ السابغ، من المنافي التي تتلبس الروح واللغة والقلب. يشترك كونديرا مع العملاق الروسي دوستويفسكي في تلبيس قارئه شخصيات الحكاية، في إيهامه أنه المعني بنقطة القنص النصي، في أن يقوم القارئ فزعاً، يبحث عن مرآة يستمري ملامحه: أكل هذا الشبه الملامحي الحكائي محض حكاية؟ كونديرا درس ودرَّس السينما طويلاً قبل أن يجرفه تسونامي الحكاية الكتابية.

في حفلته الأخيرة، المعنونة بـ «حفلة التفاهة»، أو «صخب اللامعنى»، يسخر كونديرا أيضاً يسخر من الولادة والموت، من مقاييس الجمال والقباحة، من سلطات الإغراء ومنابع الفتنة، من التاريخ كيف ينتقل من العجائبية إلى الاعتيادية، يسخر من الحروب والطغاة الكبار، من ستالين تحديداً، وقصص الأكاذيب الساذجة، التي ما كان جمهور البطانة الصالحة يجد أمامها سوى الضحك الصاخب، لتكتمل حفلة التفاهة.

ولأن ستالين يمر في ثنايا الحكاية، فإن الكاتب المنزوع من بلده ولغته - يكتب كونديرا بالفرنسية منذ السبعينيات - بسبب هذا الطاغية ومجاليه، ولكونه في البلد واللغة التي شهدت ميلاد حقوق الإنسان، يقدِّم هجاءً لاذعاً ومتهكماً لحقوق الإنسان التي لا يختار المرء أبسط أبجدياتها: حقه في الولادة، وحقه في تحديد زمانها ومكانها، وحقه في الرحيل أيضاً: الانتحار، مشيراً إلى أن «الجميع يهذون حول حقوق الإنسان. ويا لها من طرفة! لم يتأسس وجودك على أي حق، ولا حتى يسمح لك فرسان حقوق الإنسان أن تنهي حياتك بإرادتك. انظر إليهم جميعاً، نصف هؤلاء الذين تراهم قبيحون إلى حد ما. أن يكون المرء قبيحاً، هل هذا أيضاً جزء من حقوق الإنسان؟ وهل تعرف أنه يحمل قبحه طيلة حياته؟ من دون أي راحة؟ جنسك أيضاً، أنت لم تختره، ولم تختر لون عينيك، ولا الزمن الذي تعيش فيه، ولا بلدك، ولا أمك، ولا أي شيء مهم. الحقوق التي يمكن أن يحصل عليها الإنسان، لا تتعلق إلَّا بتفاهات، وليس ثمة سبب للصراع حولها أو كتابة إعلانات شهيرة عنها».

يعرِّف كونديرا في الموسوعات الأدبية بالكاتب والفيلسوف، وبصفته هذه، فهو يفاجئك. مرت عليه الرؤى والحكايات، بزوايا لا يأخذها العابر على محمل اللّاخفة. في هذه الرواية، نراه يناقش مركز الجمال الذي يجب أن تلتفت إليه دور ترويج الجمال والتصميم، أو توجيه الأعين نحوه، بعد مرور قرون طويلة على اعتبار الخصور والصدور والنحور والثغور مصادر الجمال، ومحط رحال العيون.

ما بين الولادة والموت

يتفق كونديرا مع سيوران، الذي شاركه الأمرين - يمكنك تشديد الراء - الهروب من شرق أوروبا، والمكوث في لغة دخيلة، في نظرتيهما إلى عموم الحياة، وإلى مسألة العبور إليها تحديداً: الولادة، فبعد أن كتب سيوران، كتاباً كاملاً يهجو به الولادة «مثالب الولادة»، - تُرجم مؤخراً على يد المختص فيه دائماً: آدم فتحي - يأتي كونديرا فيقول: «سأكون صريحاً. يبدو لي دائماً، أنه من المرعب أن ترسل شخصاً إلى عالم لم يكن يطلبه»، مما يؤدي بحدّ رؤية روايته إلى انعدام جدية حقوق الإنسان.

وإثر الولادة التي تأتي من دون إذن الإنسان، يأتي الفصل النهائي متمثلاً بالموت. والذي برغم جديته، يهجو كونديرا به حس الجمهور العام، وكيف يحكمه النسيان والتجاهل. نسيان ناسه الموتى وحقوقه الحية، حتى يغدو النسيان نمط حياة، ومصدراً ليكمل المرء حياة اللامعنى التي مهما امتدت، بين الفصلين اللامختارين، تبدو ضئيلة وقصيرة.

يكتب كونديرا هذا العمل وعمره جاوز الثمانين، أي في سنٍّ يسعى الناس لتمضيتها في أي شيء، «إنهم مستعدون للذهاب إلى أي مكان، لفعل أي شيء، فقط ليقتلوا الوقت الذي لا يعرفون ما يفعلون به»، قائلاً: «الزمن قصير. وبفضله نحن أحياء أو لا، أي: متهمون وقضاة. ثم نموت، ونظل لبضع سنوات أيضاً مع أولئك الذين عرفونا، لكن سرعان ما يحدث تغير آخر: يصبح الأموات أمواتاً قدامى، ولا يعود أحد يتذكرهم، ويختفون في العدم، بيد أن بعضهم، وهم قلة نادرة، يتركون أسماءهم في الذاكرة، وهؤلاء يتحولون إلى دمى بعد تجريدهم من أية شهادة صادقة ومن أية ذكرى واقعية».

في معناه للتفاهة

يفلسف كونديرا التفاهة، يقول عنها بحس المتهكم الخبير: «اللامعنى، يا صديقي، هو جوهر الوجود. وهو معنا دائماً في كل مكان. إنه موجود حتى حيث لا أحد يريد أن يراه: في الأهوال وفي الصراعات الدموية وفي أخطر المآسي. ولكن ليس المقصود هو التعرف إلى اللامعنى، بل التعلق به وتعلّم كيفية الوقوع في حبه، صديقي، تنفس هذه التفاهة التي تحيط بنا، إنها مفتاح الحكمة، مفتاح المزاج الجيد والرضا»، في زمن أصبحت فيه حتى «المُزح خطرة» على حد حكايته.

من يعرف أجواء كونديرا الكتابية، الدروس التي يمنحها بين سطوره الغزيرة، في مروياته، أو في نقدياته، يلمح تفاصيل الجد العدمي، وهو يأتي هزلاً ضاحكاً، يشبه الدمعتين اللتين توشكان الهطول إثر نكتة تُلقى على روح بائس. يرى كيف يوقف الحكّاء الكبير تدفق الرواية السلس، ليطلب بتهكم إذن القارئ المجهول، في أن يغيِّر مجرى الحكاية، بالتخلص من البطل الممل، بقتله أو تحويله إلى كومبارس، أو تقديم فصل على فصل، وإبدال حدث بحدث.

وفي حفلته الأخيرة، يرى المرء كيف أن كونديرا يحس باللاجدوى مؤخراً، بعد نصف قرن من الكتابة - بدأ الاهتمام الفعلي بعالم كونديرا كتابياً عام 1963 -، فتبدو حفلة التفاهة حتى في طريقته السردية، في وصف «حفلة التفاهة»، في تركه للشعر مبكراً وعدم نشره منذ بدايات عمره الكتابي. يقول عن أحد أبطال حكايته الجديدة «وسمح لنفسه بأن يفتحها يوم عيد ميلاده، للاحتفال مع أصدقائه على شرفه، شرف شاعر كبير أقسم ألَّا يكتب بيتاً شعرياً واحداً، بفضل تبجيله المهذب للشعر».

بسيطة هي حكاية كونديرا الأخيرة، لا تزيد على 111 صفحة، ولا ترتقي إلى سماء تحليقه الكتابي. تُقرأ ربما في محطة عبور أو انتظار، لا تحتاج إلى تركيز طويل ولا لتملّي أحداثاً وصوراً كثيرة، لكأنه تعب، أو لكأنه يجذر معنى العنوان الاعتباري لها، تمضي حكايات شخوصها بسلاسة وتدفق أخاذ لتجيء خلاصة ما يكتب هذا الحكيم الذي درّسته المنافي قبل الأوطان التي غادر، الحروب التي خاض قبل السلام الذي يعايش، اللغات التي صمت عنها واللغات التي يكتب بها اليوم، بتنهيدة كتابية طويلة يقول في آخرها: «أدركنا منذ زمن طويل، أنه لم يعد بالإمكان قلب العالم، ولا تغييره إلى الأفضل، ولا إيقاف جريانه البائس إلى الأمام، لم يكن ثمة سوى مقاومة وحيدة ممكنة: ألا نأخذه على محمل الجد». ■

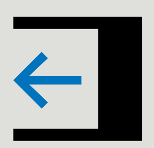


الفرق واضح بين ما هو وثائقي وما هو روائي الأفلام. ولكن الحدود ما بين النوعين تضيع في بعضها، كما هو الحال في فِلم هولندي يعود إلى عشرينيات القرن الماضي، تم تصويره في المملكة بهدف «توثيق» فريضة الحج، وسجل بالفعل لقطات تاريخية ثمينة. ولكن ما مدى أمانته للحقيقة؟

أسامة إبراهيم

فِلم هولندي عن الحج صوّر قبل 88 عاماً

«الوثائقي» عندما يخون الحقيقة



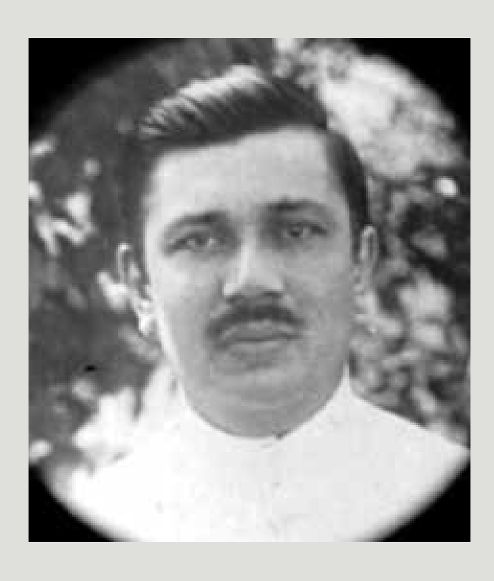
الحج قبل 88 عاماً

موضوع الفلم تهتز له القلوب: مشاهد الحج عام 1928م. والفِلم هولندي، يزعم أنه أول فِلم في التاريخ، يعرض الحج بصور غير ثابتة، يرافق الحجاج الإندونيسيين من ديارهم، ثم على متن السفينة حتى وصولها إلى جدة، ثم مكة المكرمة، ثم المدينة المنوّرة، ثم مكة مرة أخرى، قبل العودة إلى جدة، ومنها إلى السفينة، حتى الوصول إلى بلادهم.

أكثر من سبعين دقيقة والفِلم يشد المشاهد، رغم أنه صامت والتعليقات الموجودة عليه لا تحتوي على معلومات جديدة، فجاذبيته هي في رؤية هؤلاء المؤمنين وهم يتحملون كل التعب من أجل تأدية هذه الفريضة، والانتقال من السفينة إلى قوارب شراعية، ثم على ظهر الجمل، أو السير على الأقدام مسافات طويلة، والتعرف على شكل المسجد الحرام آنذاك، وكذلك المسجد النبوي، وشوارع وميادين المدينتين الشريفتين.

شاهدنا الفِلم مرة وراء مرة، وظهرت أسئلة كثيرة لا يجيب عنها الفِلم، فكان لا بد من الحديث مع الابن الأصغر للشخص الذي صوّره، وهو الوحيد المتبقي من العائلة على قيد الحياة، اسمه يان كروجرز، ويبلغ من العمر ثمانين عاماً، ويحمل الدكتوراة في الكيمياء.

قال إن أباه لم يكن مسلماً، وإنه دخل الأراضي المقدسة متخفياً، وقام بالتصوير بكاميرا وضعها بين ملابسه، ولذلك فإن الأميرة يوليانا، أميرة العرش الهولندي آنذاك والملكة فيما بعد، التي حضرت العرض الأول للفِلم في مدينة لايدن الهولندية في عام 1928م، رفضت قبوله حفاظاً على مشاعر المسلمين، خاصة وأن إندونيسيا كانت آنذاك تابعة للتاج الهولندي، وتسبب هذا الموقف من الأسرة



المالكة الهولندية، إلى عدم حصول والده على أي دعم مادي من الحكومة، وعدم رغبة الجهات الهولندية في اقتناء الفِلم.

اعترف بأن والده لم ينطلق من أي دوافع دينية، عند قيامه بتصوير هذا الفِلم، وأن المعلومات الواردة في الفِلم عن الإسلام عامة والحج بصورة خاصة، كتبها الحاج سليم آجوس، وهو من أهم الشخصيات التي أسهمت في تأسيس دولة إندونيسيا.

البحث عن الحقيقة

عندما يتناول فِلم ما أحداث الحج، ثم تجده يركِّز كثيراً على شركة الملاحة، والسفن التي تنقل الحجاج، وما توفره من خدمات، واهتمام الطاقم براحة الحجاج.. فإن الأمر يصبح مفهوماً، عندما يذكر الدكتور كروجرز أن والدته كانت تعمل في مكتب مدير شركة الملاحة في هولندا، قبل أن تنتقل إلى زوجها في إندونيسيا على حساب الشركة، ويؤكد كروجرز أن هناك كثيراً من المؤشرات أن تكون أمه، أقنعت أباه بعمل هذا الفِلم، بدعم من الشركة، ويؤكد ذلك أن الشركة كانت تعرض الفِلم باستمرار



في إندونيسيا، بزعم أنه تعريفي بشعائر الحج، لكنه في الحقيقة يقدِّم دعاية لها.

كذلك ذكر الابن أن والده سافر في رحلة الحج، ومعه 10 – 12 شخصاً، كلهم ممثلون، يتكرر ظهورهم في الفِلم، وكانوا بالطبع يعرفون أنه غير مسلم، وأنهم كانوا بمنزلة الجواسيس له. وبذلك استطاع أن يصوِّر مشهد وصول موكب الملك عبدالعزيز، إلى المسجد الحرام في اللحظة المناسبة، لأنه حصل على هذه المعلومات، قبل موعد وصوله بفترة كافية.

يتضح من ذلك أن لممولي الفِلم هدفاً واضحاً، وهو الحصول على أكبر عدد من الحجاج، ليسافروا على سفنهم، فإذا كان عدد الحجاج آنذاك يبلغ حوالي خمسين ألف شخص، يدفع كل واحد منهم ما يعادل 2500 ريال سعودي، فإننا نتحدث عن ملايين كثيرة، يمكن أن تدخل خزائنهم عاماً وراء عام، وليس للأمر علاقة بنقل صورة صادقة عن الحج، مما يوضح سبب وجود معلوماتٍ خاطئة، مثل القول إن الحجاج يتجهون جميعاً في اليوم الثالث من ذي الحجة إلى المدينة، لتأدية العمرة.

صحيح أن المشاهد يرى الصور التي توثِّق الحدث، لكن الكاميرا ليست هي التي تلتقط بل الشخص الذي وراءها. فهو يختار ما يريدنا أن نعتقد أنه الحقيقة. ولذلك، مثلاً، لم نرَ شيئاً سلبياً على السفينة، حتى مشهد الشخص الذي مات أثناء رحلة العودة، أظهر الفِلم الاهتمام البالغ بتغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، قبل إلقاء الجثمان بوقارٍ شديدٍ في مياه المحيط.

كذلك لا يستطيع المشاهد أن يعرف، من هم الأشخاص الذين يؤدون الحج فعلاً، ومن هم هؤلاء الممثلون، الذين رافقوه في مهمة عمل لا علاقة لها بالحج؟ هل هم هؤلاء الأشخاص، الذين يجلسون في الخيمة أثناء وجودهم في عرفة، وبدلاً من أن تلهج ألسنتهم بالدعاء، وبدلاً من أن يقرأوا القرآن الكريم، تراهم يدخنون بشراهة ويضحكون ويتسامرون؟

حتى النصوص التي تظهر في الفِلم، والبالغ عددها 157 تعليقاً على المشاهد المعروضة، تبدو وكأنها وصف محايد وموضوعي، ولكنها في الحقيقة الوصف الذي وضعه الحاج سليم آجوس، الذي يقال إنه كان صاحب رؤية اشتراكية للإسلام، وأنه كان مؤيداً لفكر المعتزلة، ولذلك فإن هذا الوصف يوجِّه من يرى الصور إلى اتجاه معين.

رؤية الخبير

قررت جامعة أوتريخت الهولندية عرض الفِلم تزامناً مع موسم الحج، وفي إطار مشروع بحثي أكاديمي، ورأى الدكتور يان كروجرز أن المشاهدين لن يتحملوا 72 دقيقة من الصمت، فقرر تكليف متخصص في الموسيقى الشرقية، أن يضع موسيقى تصويرية للفِلم. وإذا بهذه الموسيقى تُضيف بُعداً جديداً للفِلم، فهي قادرة على أن تجعلك ترى المشهد بصور متعددة، تبعاً لاختيار اللحن.

عندما يكون الفِلم صامتاً، تركِّز على الصورة، وتقرأ باهتمام كل كلمة، ولكن الموسيقى لا تخاطب العقل، بقدر ما تؤثر على المشاعر، فالموسيقى التي ترافق صعود القنصل الهولندي إلى السفينة، لتفقد رعايا بلاده من الإندونيسيين، تختلف تماماً عن الموسيقى المصاحبة لمشاهد الأفارقة المقيمين خارج أسوار جدة. ومرة تسمع الأذان من شخص تركي، ومرة أخرى تسمع فيروز (المسيحية) وليلى مراد (اليهودية الأصل)، وأسمهان (الدرزية)، وأم كلثوم، وهن يغنين للحجاج.

تحدثت مع الدكتور عمرو رياض، الأستاذ بجامعة أوتريخت، الذي رأى في الفِلم جوانب أخرى كثيرة، منها تركيز الفِلم على الجانب الصحي، من فحص طبي للحجاج قبل السفر إلى مكة، ودخولهم الحجر الصحي فور نزولهم من السفينة، وقبل عودتهم إلى أهلهم، مع التنبيه إلى حالة الوفاة على السفينة، لتوضيح عواقب التهاون في الجانب الصحي، والتحذير من مخاطر نقل العدوى.

وأشار الدكتور رياض إلى الجانب السياسي، وأن هولندا عانت بشدة من تبادل الأفكار بين الحجاج، وخوفها من أن ينقلوا إلى بعضهم بعضاً خبراتهم في ظل الاحتلال الأوروبي، سواء كان إنجليزياً أو فرنسياً أو هولندياً، والخوف من انطلاق شرارة الثورة بينهم. ولذلك كانت إشارة الفِلم إلى حرص القنصل الهولندي فان در مولن على متابعة أحوال الحجاج بنفسه، رغم أن هذا القنصل كان معروفاً بحرصه على جمع تقارير سرية عن الحجاج الإندونيسيين يرسلها لوزارته في لاهاي، ومعرفة الأشخاص المؤثرين بين الحجاج، بحيث يستميلهم، ويكسب ولاءهم لبلاده.







كما أشار إلى عرض الفِلم لمدرسة الفلاح التي كانت مصدراً للحصول على العلوم الإسلامية، والأفكار التي كانت جماعات كبيرة في إندونيسيا تتبناها، وتعمل على تطبيقها، مما هدَّد من قبل عروش أمراء كانوا موالين لهولندا.

فعندما تشاهد مقطع فيديو، (يوثِّق) حادثة، حتى لو تعلَّق الأمر بمشاهد الحج، تذكر أن عينك مهمتها أن ترى فقط، أما التفكير فيقوم به العقل. ←

روابط الفِلم:

http://www.npogeschiedenis.nl/speler.WO_VPRO_040381.html

http://www.npogeschiedenis.nl/speler.WO_VPRO_040380.html

http://www.npogeschiedenis.nl/speler.WO_VPRO_040379.html

http://www.npogeschiedenis.nl/speler.WO_VPRO_040378.html



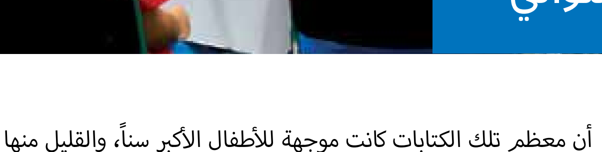




غياب قصص الأطفال تجاه الصراعات القائمة



بقلم
د. فاطمة اللواتي



في عالم يضج بالمتناقضات، لم يستطع أدب الطفل العربي أن يشيد جسراً لأطفاله للولوج إلى ذاك العالم بفهم وإدراك عميقين. إن التغير الذي لوحظ على أدب الطفل العربي في الآونة الأخيرة هو الانتقال من أدب تقليدي محصور في الأخلاقيات العامة وبأسلوب مجرد، إلى أدب يحمل رسالة أقرب إلى حياة الطفل وبأسلوب أكثر تشويقاً عما كان عليه من قبل. لكن وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا الأدب ما زال يرزح تحت عبء متطلبات السوق، بعيداً عن أية دراسات جادة تبحث في حاجات الطفل العربي ومتطلباته.

فمن حرب الخليج الأولى إلى ما يسمى بالربيع العربي، لم يظهر سوى القليل من قصص الأطفال، التي يتقاسم فيها الكاتب مع الطفل تجارب أطفال عاشوا في خضم تلك الأحداث في دول مثل الكويت أو العراق أو تونس أو ليبيا أو مصر والآن سوريا واليمن وقبل ذلك لبنان والسودان وغيرها. من هذه القصص القليلة التي التفتت إلى عرض معاناة الأطفال العرب على سبيل المثال قصة للكاتبة ثريا البقصمي بعنوان: «مذكرات فطومة» التي تناولت أحداث احتلال الكويت في التسعينيات من القرن الماضي. أما قصة الكاتب التونسي عماد الجلاصي بعنوان «الأسد المخلوع» فقد تناولت أحداث تونس أثناء ما يسمى بالربيع العربي وقد عبَّرت عن نفس الفترة الزمنية الكاتبة لطيفة بطي، حيث تناولت مطالب الشعب المصري في قصتها بعنوان: «الشعب يريد حرية واحترام».

وإذا تمعنا في الكتابات الموجَّهة للطفل حول قضية فلسطين سندرك الشح الشديد الذي يعيشة الطفل العربي. فاحتلال فلسطين لم يثمر قياساً بفترته الزمنية سوى عدد من القصص الموجهة للطفل. ولعل «دار الفتى العربي» التي أنشئت في عام 1974م واستهدفت الأطفال من عمر 3 إلى 16 سنة قدَّمت كتباً توثيقية للحفاظ على التراث الفلسطيني، إلا أنها مع الأسف لم يُكتب لها الاستمرار. في الوقت الحالي هناك عدد قليل من الكتَّاب المعاصرين ممن التفت إلى مأساة الشعب الفلسطيني ووثَّقوا تلك التجارب في قصص للأطفال مثل الكاتب الكبير غسان كنفاني والكاتبة تغريد النجار والكاتبة روضة الهدهد والكاتب محمد جمال وغيرهم. إلَّا أن معظم تلك الكتابات كانت موجهة للأطفال الأكبر سناً، والقليل منها متوفر ومتاح للطفل العربي.

إن المآسي اليومية التي تسببها الحروب والمعارك الدائرة في المنطقة العربية تركت آثاراً سيئة على الأطفال بشكل عام. فمن أولئك الأطفال من يعيش وجلاً ورعباً من تلك الأحداث، ومنهم من يعيش في خضم معمعتها حيث تستهدفه يومياً كما تستهدف وطنه وأمته وتاريخة وتراثه. ومنهم من يعيش مراقباً أو لاهياً مع ما تم ابتكاره من وسائل وألعاب إلكترونية يندمج معها في ألعاب تُظهر له القتل لعبة جميلة غير مدرك لواقع يكاد يلتهمه.

إلَّا أن واقع أدب الطفل لم يعكس معاناة ذلك الطفل اللاجئ أو المشرد بسبب حرب هنا أو مجاعة هناك أو أوضاع أمنية واقتصادية مزرية في بلد آخر. بينما نجد في المقابل أن الأدب العالمي، وأعني به أدب الأطفال باللغة الإنجليزية، تطرَّق لمعاناة الأطفال العرب والمسلمين من مختلف الدول. وهذا النوع من الأدب يسهم في تنمية الوعي والإدراك لدى الطفل بما يدور في العالم. فالمنادون بأدب الطفل العالمي يرون أنه من الممكن عبر قصص الأطفال أن يتم عرض العالم من زوايا مختلفة حتى ينمو الطفل ويكبر وهو أكثر إدراكاً وقدرة على فهم محيطه وبالتالي العالم الذي هو جزء منه.

هناك كثير من النماذج العالمية لقصص الأطفال التي أبرزت معاناة الطفل العربي. فعلى سبيل المثال: في قصة بعنوان: «A long Walk to Water» تطرقت كاتبة القصة إلى قصة طفلين سودانيين كلاهما في الحادية عشرة من العمر، ولكنهما عاشا في فترتين زمنيتين مختلفتين.. مثال آخر قصة بعنوان: «Sami and the Time of the Troubles». في هذه القصة يعرض الكاتب معاناة الطفل سامي في بيروت أثناء الحرب الأهلية في ثمانينيات القرن الماضي.. لكن أمام كل هذه الأحداث فإن ما تم تقديمه للطفل الغربي أكثر مما قُدِّم للطفل العربي. فيا تُرى ما هي الأسباب التي حالت دون أن يقدِّم الكاتب العربي نصوصاً عن المعاناة التي يعيشها الأطفال العرب؟

الكتاب واحد، ورقياً كان أم رقمياً

صناعة الكتاب في العالم



الكتاب بأشكاله المتعدِّدة هو من معالم كل العصور. ومع ظهور الكتاب الرقمي في عصرنا الحالي، برزت توقعات كثيرة حول نهاية صيغته الورقية التي رافقت الحضارة الحديثة قرابة خمسة قرون مذ ظهرت آلة الطباعة. كما برزت أيضاً توقعات بضعف الإقبال على القراءة مما يؤثر سلباً على صناعة الكتاب. وبالرغم من ازدياد الطلب على الكتاب الإلكتروني منذ ظهوره في أواخر القرن الماضي, إلا أنه بقي ضمن نسب مئوية أقل بكثير من الإقبال على الكتاب الورقي. كما أن الإحصاءات الأخيرة في سنة 2014 و2015م أشارت بوضوح إلى اتجاه معاكس لهذين التوقعين معاً. غير أن هذه الإحصاءات هي صحيحة بشكل عام على مستوى العالم. لكن على مستويات معيَّنة خاصة في منطقتنا، فهي مع الأسف مخيِّبة.

نعرض في هذا التقرير لمحة سريعة عن أماكن نشر الكتاب والإقبال على القراءة في العالم، واختلاف أحجام هذه الصناعة ما بين الدول المتقدمة والأخرى الأقل تقدماً، وكذلك أحجام مبيعات الكتب الورقية مقارنة بالأخرى الرقمية.

يعطينا معرض فرانكفورت الدولي للكتاب 2015، الذي يُعد من أهم المعارض وأشهرها في العالم، بسبب عدد زواره، وعدد الدول ودور النشر المشاركة فيه، وحركة البيع والشراء التي تجري أثناء افتتاحه، صورة عامة عن حال الكتاب. إذ إنه سجل زيادة في عدد زواره لهذا العام مقارنة بالعام الماضي خلافاً للتوقعات. فقد أعلن مسؤولو المعرض، أن «القسم المهني» في المعرض سجل حضور 140,474 زائراً، وهذا يعني زيادة طفيفة على عدد زوار السنة الماضية، الذي كان 140,291 زائراً. أما عدد الزوار الإجمالي، ومن ضمنهم «المستهلكون» (أي القرّاء لا تجار الكتاب)، فبلغ 275,791، أي بزيادة نسبتها 2,3% على مجموع زوار 2014، الذي بلغ 269,534 زائراً. إضافة إلى هذا، زار المعرض 9,900 صحافي، في مقابل 9,500 العام الماضي. وقال مديره يورغن بوس: «كان معرض 2015 الأكبر حشداً والأكثر نجاحاً في معارض الكتاب منذ سنوات».

وعلى الرغم من أن الزيادة هذه السنة كانت طفيفة نسبياً، إلا أنها كانت خبراً جيداً في نظر المنظّمين. فمنذ سنة 2009، حين أخذت آثار الركود العالمي تضرب الصناعة فعلاً، انخفض تعداد زوار «القسم المهني» بنسبة 6,7%. وبلغ عدد الزوار حينذاك 152,530 في ذلك القسم.

الترتيب الدولي في صناعة الكتاب

نشرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلم «يونيسكو»، جدولاً يبيّن الترتيب الدولي لإصدارات الكتب الجديدة في العالم. وتتفاوت الفترات الزمنية للمعلومات في الجدول، نتيجة عدم توفرها من المصدر. مع ذلك، يعطينا الجدول فكرة واضحة، وإن لم تكن شديدة الدقّة، في شأن ازدهار صناعة الكتاب والتأليف، والبلدان المتقدمة في هذا المجال، وتلك الأقل تقدماً.

وغني عن القول إن الدول العربية ليست مدرجة بين الدول المتقدمة. فمصر هي الأولى بين الدول العربية لكن ترتيبها يقع في المرتبة 37 بحجم إصدارات بلغ سنة 2000 حوالي 9022 كتاباً.

ويقدَّر عدد الكتب الجديدة التي تصدر في العالم كل سنة نحو 2,200,000 كتاب، مع العلم أن الإحصاء لا يستند إلى أرقام السنة نفسها، لتعذُّر جمعها من الدول المختلفة.

وفي الجدول، على الصفحة المقابلة، ترتيب الدول الخمس والعشرين الأولى في العالم، مع عدد الكتب الجديدة التي صدرت في السنة المبينة بين هلالين، يليه الترتيب الذي حلت فيه الدول العربية على التوالي، وعدد الكتب الصادرة في السنة، مع ذكر سنة الحصول على الرقم المذكور، وهي آخر سنة جاء فيها رقم إحصاء في البلد المعني.

لا بدَّ من ملاحظة عدد من الأمور على هذا الجدول. أولها أن معظم سنوات الإحصاء العربية سابقة لبداية القرن الجاري، أي إن



عمر هذه الأرقام يزيد في أكثرها على 15 عاماً. وفي هذه السنوات الماضية من القرن الواحد والعشرين، جرت أحداث كثيرة في عدد من الدول العربية، لا شك أثرت في الأرقام بشكل أو بآخر. ففي المملكة العربية السعودية، تشير التطورات العلمية والأدبية الكثيرة منذ عام 1996م، إلى أن الرقم المذكور هنا ضئيل بالمقارنة مع واقع الحال اليوم. وأما في مصر التي تحتل الصدارة بين الدول العربية في الجدول، فليس من إحصاءات يمكنها أن تشير إلى تطور صناعة الكتاب اليوم فيها، لا سيما بعد العام 2011م. كذلك في سوريا وليبيا وتونس. والمؤكد أن الأحداث أضرت بصناعة الكتاب في هذه الدول. والجدير بالذكر أن عدداً من الدول العربية، إضافة إلى المملكة العربية السعودية، شهدت حركة ناشطة، بعد سنوات الإحصاء المذكورة، مثل لبنان والإمارات والكويت وغيرها.

الكتاب الورقي مقابل الرقمي

لفترة غير بعيدة، كان التوقع السائد هو متى يسيطر الكتاب الرقمي على الورقي؟ وبالفعل ازداد القبول في الولايات المتحدة الأمريكية على الكتاب الرقمي ليصل إلى الذروة سنة 2012م بنسبة 25 إلى 30% في بعض الإحصاءات، قبل أن تشير الإحصاءات الأخيرة إلى نتائج معاكسة. ويبدو، للمفارقة، أن أوروبا لم تلحق هذه المرة بأمريكا في هذا الاتجاه. وحافظت على نسب إقبال متواضعة على الكتاب الرقمي مقارنة معها. على العكس من ذلك، فالولايات المتحدة هي من تأثرت وبدأت بإعادة إحياء مجد الورق والطباعة. وتشير إحصائية من مؤسسة «بيست ريدر ريفيو» إلى أن حجم مبيعات الكتب الورقية العالمي سنة 2013 هو 53.9 مليار دولار بينما بينما بلغت مبيعات الكتب الرقمية في نفس الفترة 8.4 مليار دولار.

المكتبات الافتراضية المجانية

بالتوازي مع ظهور الكتاب الرقمي وانتشار شبكة الإنترنت، ظهر عديد من المكتبات والمواقع المجانية التي يستطيع أي شخص على الكرة الأرضية تحميلها أو قراءتها مجاناً بشكل شرعي وقانوني دون أي التزامات على الإطلاق. ومن المؤكد أن هذه الظاهرة قد أثَّرت بشكل كبير على صناعة الكتاب وسوقه. إلا أن كثيراً، إن لم يكن معظم، دور النشر الكبيرة، خاصة العلمية منها تحتفظ بملكيتها الفكرية ولا تسمح بنشرها مجاناً

سجَّل حضور معرض فرانكفورت الدولي للكتاب 140,474 زائراً، وهذا يعني زيادة طفيفة على عدد زوار السنة الماضية، وكانوا 140,291 زائراً.



الدول الأجنبية		
1. الصين: 440,000 كتاب (2013)	10. إسبانيا: 44,000 كتاب (2011)	19. البرازيل: 20,792 كتاباً (2012)
2. الولايات المتحدة الأمريكية: 304,912 كتاباً (2013)	11. تركيا: 43,100 كتاب (2011)	20. كندا: 19,900 كتاب (1996)
3. المملكة المتحدة: 184,000 كتاب (2011)	12. فرنسا: 41,902 كتاب (2011)	21. جمهورية التشيك: 18,985 كتاباً (2011)
4. الاتحاد الروسي: 101,981 كتاباً (2013)	13. إيران: 28,322 كتاباً (2012)	22. ماليزيا: 17,923 كتاباً (2011)
5. الهند: 90,000 كتاب (2013)	14. أستراليا: 28,234 كتاباً (2014)	23. بولندا: 15,580كتاباً (2013)
6. اليابان: 82,589 كتاباً (2013)	15. تايوان: 28,084 كتاباً (2014)	24. رومانيا: 14,984 كتاباً (2008)
7. ألمانيا: 82,048 كتاباً (2013)	16. الأرجنتين: 28,010 كتب (2014)	25. أوكرانيا: 14,790 كتاباً (2004)
8. إيطاليا: 61,966 كتاباً (2013)	17. فيتنام: 24,589 كتاباً (2009)	
9. كوريا الجنوبية: 47,589 كتاباً (2014)	18. إندونيسيا: 24,000 كتاب (2009)	
الدول العربية		
37. مصر: 9,022 كتاباً (2000)	70. الجزائر: 670 كتاباً (1996)	105. إريتريا: 106 كتب (1993)
48. المملكة العربية السعودية: 3,900 كتاب (1996)	75. الأردن: 511 كتاباً (1996)	116. البحرين: 40 كتاباً (1996)
49. لبنان: 3,686 كتاباً (2005)	87. الإمارات العربية: 293 كتاباً (1993)	118. ليبيا: 26 كتاباً (1994)
63. سوريا: 1,138 كتاباً (2004)	95. قطر: 209 كتب (1996)	123. عُمان: 7 كتب (1996)
67. المغرب: 918 كتاباً (1996)	96. الكويت: 196 كتاباً (1992)	
68. تونس: 720 كتاباً (1996)	103. فلسطين: 114 كتاباً (1996)	

لفترة طويلة.

إلا أن معظم هؤلاء الناشرين يمتلكون قواعد معلومات مختلفة لإصداراتهم تضم ما ينشرون، أو أنهم يشتركون في قواعد أخرى. وتُباع هذه القواعد إلى موسسات كبيرة كالجامعات والمكتبات العامة ومراكز الأبحاث المختلفة، حيث تصبح في متناول عديد من أعضائها. وهذا ما أثر كثيراً على صناعة الكتاب.

وحول المكتبات المجانية نورد مثلين على ذلك:

1 – مكتبة الكونغرس الأمريكي، وهي من أكبر المكتبات في العالم، وفيها ركن خاص بالكتب المجانية تضم عشرات الألوف من جميع الاختصاصات.

2 – «المكتبة المفتوحة» أو «أوبن لايبريري» تضم حوالي مليون كتاب وقد ارتادها في شهر نوفمبر الماضي 8,534,792 زائراً.

مقارنة بين الدول الكبرى

نظراً لقلة الإحصاءات عن تفاصيل حركة تجارة الكتاب في العالم، لا مفرَّ من اعتماد الإحصاءات القليلة المتوافرة، ومنها إحصاء تاريخه 1 مارس 2008م. إلا أنه لا بدَّ من التحفظ على هذه الأرقام، فقد حصلت تطورات وتغيرات كثيرة في العالم منذ ذلك الوقت ولا سيما تلك المتسارعة في الهند والصين على الخصوص. وقد نشرت هذه الإحصائية مجموعة دراسات صناعة الكتاب (The Book Industry Study Group) وهي مؤسسة أمريكية تعمل في هذا المجال.

تبيَّن الدراسة أن في الولايات المتحدة الأمريكية نحو 63,000 ناشر كتب. ولاحظت الدراسة أن كثيراً من الناشرين يبيعون كتبهم خارج إطار وسائل بيع الكتب التقليدية. وأن نصف الناشرين الصغار والمتوسطين يسوِّقون كتبهم دون المرور بشركات البيع بالجملة، وفي محلات مثل المتاجر العامة أو محلات بيع الأدوات الرياضية. وهذا الأمر يجعل الإحصاء في هذا القطاع أمراً صعباً، لكنه يشير في الوقت نفسه إلى أن تقديرات حجم سوق الكتاب الإحصائية أقل من حقيقته الفعلية.

وأطلقت الدراسة على كبار الناشرين اسم: الأخوات الست، وهم: برتلزمان، وسي بي إس كوربوريشن، وهاشيت فرنسية، ونيوز كوربوريشن، وبيرسون، وفرلاغ غروبيه (ألمانية).

أما أكثر الناشرين ربحاً هم: ريد إلسفيير، وبيرسون، وتومسون، وبرتلزمان، وفولترز كلور، وماكغروهيل إديوكيشن، وريدرز دايجست، وسكولاستيك، ودي أغوستيني إديتوري، وهولتسبرينك، وجي آر بلانيتا.

• في أستراليا: تصل قيمة مبيعات الكتب الإجمالية إلى 820 مليون دولار أمريكي، بينها مبيعات الكتب الصادرة في أستراليا وقيمتها 486 مليون دولار. أما قيمة صادرات الكتب الأسترالية فهي حوالي 105,6 مليون دولار. وأكبر أسواق التصدير هي: الولايات المتحدة 34%، ونيوزيلاندا 16%، والمملكة المتحدة 14%.

• في كندا: تزيد قيمة مبيعات الكتب سنوياً على 1,5 مليار دولار كندي، ومعظم هذه المبيعات تتم عبر شركة توزيع واحدة وهي «230 ستور إنديغو بوكس أند ميوزيك». وهناك أكثر من 627 ناشراً، أصدروا 27,797 كتاباً، منها 15,744 طبعة أولى. وتمنح الحكومة الناشرين 48 مليون دولار دعماً لصناعتهم. وقيمة الكتب المصدرة 154,8 مليون دولار، أما الحقوق الأجنبية في





أوروبا بين الورقي والرقمي

يؤكد تقرير «غلوبال إي-بوك» الذي وضعه الباحث روديغر فيشنبارت، عن تطور الكتاب الإلكتروني، الذي نُشر في 30 سبتمبر 2013م ما ذهبنا اليه آنفاً من أن القارة الأوروبية تلكأت في حلول الكتاب الرقمي مكان الورقي.

فبريطانيا والبلاد الإسكندنافية هي بين الدول المتقدمة في مسيرة التحوّل إلى الكتاب الرقمي، فيما تحل إيطاليا في آخر الترتيب تسبقها فرنسا.

ذلك أن البريطانيين لحقوا سابقاً بالأمريكيين في التحوّل المذكور، حيث تبلغ النسبة التي تحتلها مداخيل سوق الكتاب الإلكتروني في بريطانيا 15% من مجمل دخل الناشرين في أسواق الكتاب العامة في العام 2013م.

أما ألمانيا، وهي أكبر أسواق الكتاب في أوروبا، إذ يبلغ سوق الكتاب فيها 9,52 مليارات يورو, قُدّرَت في منتصف العام 2013م، حصة الكتاب الرقمي من السوق الإجمالية بنحو 5%، وكان هذا ضعف النسبة التي سُجّلَت في العام 2012م. واليوم، بات 84% من ناشري الكتب الألمان ينشرون الكتب الرقمية أيضاً، أو يرغبون في نشرها.

وتسيطر «أمازون» الأمريكية على 50% من سوق الكتاب في ألمانيا، يتبعه ناشر آخر، هو التحالف الذي أنشأته أكبر سلسلتين ألمانيتين لبيع الكتب: «تاليا» و«فلتبيلد-هوغندوبل». وتشير بعض الدراسات إلى أن المستهلكين الألمان يَعُدُّون أن أسعار الكتب الرقمية لا تزال مرتفعة، فسعر الكتاب الإلكتروني الألماني لا يقل إلَّا 40% عن سعر الكتاب الورقي.

وفي إسبانيا، تتطور سوق النشر الإلكتروني إيجاباً، على نحو يوحي أن هذا إنما هو رد فعل على الأزمة الاقتصادية في البلاد. ونتيجة لذلك يقول الناشرون الإسبان إن رقم أعمالهم تراجع بنسبة 8%، لأن القرَّاء الإسبان يشترون الكتاب الإلكتروني بأسعار «مكسورة» أي منخفضة جداً، بدلاً من شراء الكتب المطبوعة.

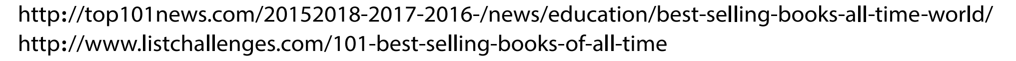
وفي العام 2012م بلغت قيمة سوق مبيع الكتب الرقمية وتحميلها 12 مليون يورو، وفي النصف الأول من العام 2013م، تضاعف هذا الرقم، إلا أنه لا يزال عند نسبة 3%، من مجمل مبيعات الكتب في نفس الوقت.

لفرنسا مكانة خاصة مع الكتاب وصناعته. لكن الفرنسيين مترددون في الإقبال على الكتاب الرقمي مقارنة بالدول الأخرى. فقد بلغت قيمة سوق الكتاب فيها العام 2013م، 4,13 مليار يورو، فالكتاب الفرنسي لا يزال يتقدَّم كل الصناعات التي لها علاقة بالثقافة كالسينما أو الموسيقى. لكن رقم أعمال الكتاب الإلكتروني في هذه المرحلة لا يزيد على نسبة 2,1% من رقم أعمال الناشرين الفرنسيين. ولقد خفَّضت الحكومة ضريبة القيمة المضافة على الكتاب الإلكتروني لتتساوى بنسبة ضريبة القيمة المضافة على الكتاب المطبوع التي هي 5%، بدءاً من رأس السنة عام 2014م. ويأمل ناشرو الكتاب الإلكتروني أن يكون في هذا الأمر قوة دافعة لهذا القطاع. إلا أن دراسات الاستطلاع المختلفة تثبت أن المستهلكين الفرنسيين يجدون أسعار الكتاب الإلكتروني مرتفعة للغاية. فمعدل أسعار الكتاب الرقمي الجديد في الواقع لا تقل عن أسعار الكتاب الورقي، سوى بنسبة 30% فقط.

http://raseef22.com/culture/201523/04//reading-habits-in-the-arab-world/

جدول بالكتب الأكثر مبيعاً في التاريخ

العنوان	الكاتب	البلد	الطبعة الأولى	المبيعات (ملايين النسخ)
قصة مدينتين	تشارلز ديكنز	بريطانيا	1859م	200
سيد الخواتم	ج.ر.ر. تولكين	بريطانيا	1954م	150
الأمير الصغير	أنطوان دو سانت أكزوبري	فرنسا	1943م	140
هاري بوتر وحجر الفيلسوف	ج.ك. رولينغ	بريطانيا	1997م	107
ثم لم يبق أحد	أغاتا كريستي	بريطانيا	1939م	100
حلم الغرفة الحمراء	ساو خيوكين	الصين	1754-1791م	100
الهوبيت (أو ذهاباً وإياباً)	ج.ر.ر. تولكين	بريطانيا	1937م	100
هي: تاريخ من المغامرات	هـ. رايدر هاغارد	بريطانيا	1887	100
الأسد، الساحرة وخزانة الملابس	س.أس. لويس	بريطانيا	1950م	85
شيفرة دا فينشي	دان براون	أمريكا	2003م	2014/3/-8/2/26



http://top101news.com/20152018-2017-2016-/news/education/best-selling-books-all-time-world/
http://www.listchallenges.com/101-best-selling-books-of-all-time

الكتب المنشورة فتبلغ 313 مليون دولار كندي. وتشير بعض الدراسات إلى أن 31% من البالغين الكنديين لم يقرأوا كتاباً واحداً سنة 2007م (مقابل 27% في الولايات المتحدة)، لكن نسبة كبيرة ممن يقرأون، إنما يقرأون أكثر من 20 كتاباً في السنة.

- المملكة المتحدة: اشترى البريطانيون في سنة 2007 نحو 338 مليون كتاب، قيمتها 2,478 مليون جنيه إسترليني.
- الصين: جاءت الصين، كما أشرنا سابقاً، الأولى في العالم من حيث حجم إصدارات الكتب وذلك سنة 2013م وهو 440,000 كتاب. ومن المعروف أنه يوجد في الصين كثير من عمليات «قرصنة» الكتب الأجنبية، أي نشر هذه الكتب دون الحصول على حق النشر.

العالم العربي: صورة غير زاهية

جاء في «تقرير التنمية البشرية» الذي نشرته منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونيسكو» عام 2003م، أن المواطن العربي يقرأ في السنة أقل من كتاب بكثير، فكل 80 شخصاً عربياً يقرأون كتاباً واحداً في السنة. مقارنة بالمواطن الأوروبي الذي يقرأ نحو 35 كتاباً في السنة. وجاء في «تقرير التنمية الثقافية» للعام 2011م الصادر عن «مؤسسة الفكر العربي» أن العربي يقرأ كمعدل عام 6 دقائق سنوياً، بينما يقرأ الأوروبي 200 ساعة سنوياً.

إلا أن هذه الأرقام لا تشمل قراءة النصوص الدينية على أنواعها، التي إذا ما شملها الإحصاء تتغير تغيراً كبيراً.

ويشير «تقرير التنمية الثقافية» إلى أن عدد كتب الثقافة العامة التي تُنشَر سنوياً في العالم العربي لا تتجاوز 5,000 عنوان. أما في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، فيصدر سنوياً، نحو 300 ألف كتاب.

وبحسب تقرير «اليونسكو»، يُترجَم سنوياً في العالم العربي خُمس ما يُترجَم في دولة اليونان الصغيرة. وحصيلة ما تُرجم إلى العربية منذ عصر الخليفة العبّاسي المأمون إلى العصر الحاضر تقارب 10,000 كتاب، وهذا العدد يساوي ما تترجمه إسبانيا في سنة واحدة. وفي النصف الأول من ثمانينيّات القرن العشرين، كان متوسط الكتب المترجمة لكل مليون مواطن، على مدى خمس سنوات، هو 4.4 كتاب (أقل من كتاب لكل مليون عربي في السنة) أما في المجر فبلغ الرقم 519 كتاباً لكل مليون مجري، وفي إسبانيا 920 كتاباً لكل مليون.

وأشارت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «أليكسو» في بيان أصدرته مؤخراً، إلى أن نسبة الأميَّة في الدول العربية تبلغ 19.73%. وهناك تفاوت كبير بين النساء والرجال، إذ تبلغ نسبة النساء من الشريحة الأمية 60.60%.

مقابل هذا التخلف الرهيب، تجاهد معارض الكتب العربية في محاولاتها تحسين هذه الصورة بالترويج للكتاب وتشجيع الأجيال للإقبال على امتلاك الكتب وقراءتها.

إشكالية الأرقام عربياً

ولا يجدر بنا الختام دون التطلع إلى حال أحد العناصر الأساسية في صناعة الكتاب، وهو الكاتب. وقد أسهبنا بما فيه الكفاية في التقرير حول أحوال العنصرين الآخرين وهما القارئ



الدول العربية نشرت 6,500 كتاب عام 1991، بالمقارنة مع 102,000 كتاب في أمريكا الشمالية، و42,000 كتاب في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي

والناشر. والمسألة الحيوية في هذا الخصوص هي حقوق الملكية الفكرية وصيانة مصلحة الكاتب. فبينما يرعى عديد من التشريعات والمؤسسات القانونية والرسمية والأهلية لمراقبة النشر والتحقق منه هذه الحقوق في الدول المتقدمة، إلا أنها شبه غائبة أو قليلة الفعالية في عدد من الدول الأخرى بما فيها منطقتنا.

والحال أن كثيراً من الناشرين المحليين يطبعون من الكتاب الواحد طبعات ثانية وثالثة بعد الطبعة الأولى، دون معرفة الكاتب، ودون حصوله على حقوق الطبعات الإضافية. كما أن ناشرين كثيرين يترجمون كتباً أجنبية دون إذن المؤلف أو الناشر الأصلي. ومن الطبيعي ألَّا يُفصح هؤلاء عن أعمالهم هذه لا لمنظمة اليونيسكو ولا لغيرها. وهذا أمر شديد التأثير في صناعة الكتاب العربي وسوق التأليف والنشر، وبالتالي القراءة.

المواطن العربي يقرأ في السنة أقل من كتاب بكثير، فكل 80 شخصاً عربياً يقرأون كتاباً واحداً في السنة. مقارنة بالمواطن الأوروبي الذي يقرأ نحو 35 كتاباً في السنة. وجاء في «تقرير التنمية الثقافية» للعام 2011م الصادر عن «مؤسسة الفكر العربي» أن العربي يقرأ كمعدل عام 6 دقائق سنوياً بينما يقرأ الأوروبي 200 ساعة سنوياً

سوق كتاب الورق الأوروبي

أعلن اتحاد الناشرين الأوروبيين في 3 ديسمبر 2012م، إحصاءه السنوي لسوق الكتاب الورقي، في العام 2011م. ويضم هذا الاتحاد 28 جمعية ناشرين، عبر القارة الأوروبية (المنطقة الاقتصادية الأوروبية والمملكة المتحدة). وكانت الأرقام الأساسية في الإحصاء، هي التالية:

- بلغ دخل سوق الكتاب الأوروبي سنة 2011، 22,8 مليار يورو، بتراجع 3% عن السنة السابقة، وقد بلغ فيها 23,5 مليار يورو.
- صدر في سنة الإحصاء 530 ألف كتاب جديد، بزيادة نسبتها 1% على السنة السابقة. ويضم سوق الكتاب الأوروبي في مستودعاته، من إصدارات السنة 2011م وما قبلها 8,5 مليون كتاب (المقصود العناوين لا النسخ)، وفي طليعة الدول الناشرة لهذه الكتب: المملكة المتحدة (4,2 مليون كتاب) ثم ألمانيا (نحو 1,4 مليون كتاب) فإيطاليا (أكثر من 700 ألف كتاب)، ثم فرنسا (أكثر من 600 ألف كتاب) وإسبانيا (أكثر من 450 ألف كتاب).
- ترتيب البلدان التي أصدرت كتباً جديدة، غير كتب الطبعات الثانية فما فوق في سنة 2011م، هي المملكة المتحدة (149,800 كتاب) وألمانيا (82,048 كتاباً) وإسبانيا (نحو 44,000 كتاب) وفرنسا (41,902 كتاب) وإيطاليا (39,898 كتاباً).
- يشتغل في صناعة الكتب في أوروبا 135 ألف شخص.

http://www.idboox.com/etudes/les-chiffres-de-l-economie-du-livre-en-europe/



الولايات المتحدة الأمريكية

تشير أحدث الأرقام لمبيعات الكتب الأمريكية لسنة 2014م إلى قصة مثيرة للدهشة. فبيانات مؤسسة «نيلسن بوك سكان» التي تتابع مسلك القرَّاء، وجدت أن مبيعات الكتب الورقية ارتفعت 2.4% في شركة «أمازون» وكافة أنواع المكتبات خلافاً لكل التوقعات.
وعلَّقت شركة «بابلشرز ويكلي» على ذلك أن «هذه الأرقام تشير إلى أن الكتب المطبوعة تحقق مبيعات أفضل منذ الارتفاع الكبير الذي حققته الكتب الرقمية في ذروتها سنة 2012م». ويبدو أن مبيعات الكتب الورقية وصلت إلى الحضيض سنة 2012م. لكن ومنذ ذلك الوقت عكست كتب الأطفال المطبوعة هذا الاتجاه وبدأت بالارتفاع، ثم لحقت بها بعد ذلك كتب الراشدين.
وفي إحصائية لـ «لايبريري جورنال» في عدد ديسمبر 3 سنة 2015م أن تجارة الكتب الرقمية انخفضت 10% مقارنة بسنة 2014م.
وقد أشارت دراسات أخرى إلى أن الطلاب قد أعادوا اكتشاف الورق. منها دراسة أجرتها إحدى مؤسسات «هيوليت باكارد» التي وجدت تفضيلاً قوياً للكتب المدرسية المطبوعة لا سيما طلاب الجامعات الذين جرَّبوا النوعين. وتبيِّن هذه الإحصائية أن 57% منهم يفضِّلون الورق بينما 21% فضَّلوا الرقمية منها.
ووجدت إحصائية «بيست ريدر ريفيو» أن 46% من مستخدمي الإنترنت في الولايات المتحدة الأمريكية يقرأون فقط كتباً مطبوعة. وأن 16% يقرأون كتباً مطبوعة أكثر من الرقمية. وكذلك 17% يقرأون كتباً رقمية متساوية مع الورقية. و15% يقرأون كتباً رقمية أكثر من الورقية. و6% يقرأون فقط كتباً رقمية.
وأشارت الإحصائية إلى أن 23% من الإناث و33% من الذكور في الولايات المتحدة يقرأون كتباً رقمية.

فرنسا: 13 كتاباً في الثانية

يُباع في فرنسا 13 كتاباً كل ثانية، أي ما يقرب من 400 مليون كتاب في السنة، ويبلغ رقم الأعمال الإجمالي 4,2 مليار يورو، يشمل أعمال كل دور النشر. وتُباع الكتب ضمن شبكة توزيع تضم 15,000 نقطة بيع. ويقول 89% من الفرنسيين، إنهم قرأوا كتاباً واحداً على الأقل سنة 2011م.
وتتوقّع مؤسسة «جي إف كا» (GfK) نمو الكتاب الرقمي في فرنسا، من سنة 2013 إلى سنة 2016م، مع بلوغ رقم الأعمال 55 مليون يورو. غير أن المؤسسة أكدت أن الكتاب الرقمي، لم يتخطَّ نسبة 2% من سوق الكتاب، ولذا فإن نمو هذا القطاع لن يشكِّل صدمة رئيسة للكتاب الورقي في هذه السنوات.
وتشير آخر الإحصاءات المعلنة حتى اليوم، وهي تعود للعام 2011م، إلى أن السوق تأثرت بتسويق القارئة الرقمية «كيندل»، من شركة «أمازون»، و«كوبو» من شركة «فناك». وفي هذا العام، حُمِّل 1,1 مليون كتاب رقمي، وبلغ رقم الأعمال 12 مليون يورو.
وبالعودة إلى أرقام العام 2008م الفرنسية، بيع 468,3 مليون كتاب، منها 26,6% كتب «جيب» (livres de poche). وفي ذلك العام، 43% من الفرنسيين لم يشتروا كتاباً. و27% اشتروا بين كتاب و5 كتب. و14% اشتروا بين 6 كتب و11 كتاباً. و16% اشتروا 12 كتاباً أو أكثر.
أما الكتب الأكثر مبيعاً فهي كتب فن العيش والترفيه (المطبخ، التزويق، البستنة، السفر) فهي تتقدَّم على كتب الروايات والتاريخ. وتباع في مختلف أنواع المتاجر، مثل متاجر المأكولات، والمراكز الثقافية، والأكشاك، ومؤسسات الطباعة. أما في المكتبات التجارية فنسبة البيع فيها وحدها 45%.
في سنة 2006م، أنفقت العائلات الفرنسية والمقيمة في فرنسا 3,5 مليار يورو على الكتب، أي أقل من 1% من موازنتها الإجمالية. وآخر ما يتوافر من أرقام، تشير إلى أن رقم أعمال سوق الكتاب الفرنسي في العام 2008م، كان 2,8 مليار يورو، بعدما كان في العام 2007م 2,9 مليار يورو. لكنه قفز في العام 2011م إلى 4,2 مليارات يورو، وفق تقديرات «جي إف كا».

Source : MCC/DEPS

مصادر التقرير

http://www.npr.org/2014/05/12/311111701/why-arent-teens-reading-like-they-used-to
http://www.lemonde.fr/economie/article/2013/10/09/livre-numerique-la-fracture-europeenne
http://moderato.wordpress.com/2008/01/16/a-new-culturalrevolution/
http://raseef22.com/culture/2015/04/23/reading-habits-in-the-arab-world/
http://www.cbsnews.com/news/study-americans-reading-a-lot-less/
http://bestereaderreview.org/paper-book-vs-ebook-industry-statics
http://www.geekwire.com/2015/paper-back-real-books-rebound/
https://openlibrary.org/
https://archive.org/details/library_of_congress?and[]=subject%3A%22World%20War%2C%201914-1918%22



الملف:

الجينز الأزرق

اكتسب سروال الجينز الأزرق خلال العقود القليلة الماضية مكانة في الحياة اليومية ترتقي به من كونه مجرد قطعة لباس إلى مرتبة ذات بُعد ثقافي واجتماعي تستحق التوقف أمامها.
أطلَّ على الحياة اليومية كرمز من رموز البساطة، ينتصر للطابع العملاني الذي يجب أن يميِّز الأشياء كما نريدها في عصرنا. وعلى الرغم من أنه فقد دلالته الرمزية والاجتماعية الأولى، فإنه تابع تقدمه في كل اتجاه في العالم، وفرض نفسه على خزائن الأثرياء بعدما انطلق من بيوت العمال والفقراء.
في هذا الملف إطلالة من إبراهيم العريس وشوقي الدويهي، وبمساهمة محدودة من فريق التحرير، على عالم سروال الجينز الأزرق وتاريخه ومسيرته، علَّ في ذلك ما يفسِّر لغز تمسك العالم بقطعة ملابس موحَّدة استمدت قيمتها الأولى من بساطتها.

ما سر هذا اللباس الذي قد لا يضاهيه لباس آخر؟
قد لا يكاد يكون هناك إنسان في العالم مهما علا شانه أو تواضع، فقيراً كان أم ثرياً، إلا ويمتلك جينزاً واحداً على الأقل، وكثيرون يمتلكون عدة.
ما هو هذا اللباس الذي تراه هو نفسه ملائماً للعمل على زراعة الحديقة أو إصلاح السيارة، وأيضاً للذهاب إلى السوق ولحضور مباراة رياضية أو لقاء الأصدقاء في المقهى أو تلبية دعوتهم لتناول العشاء..وحتى الذهاب به إلى مكان العمل؟
ففي كل مكان تقريباً ومهما كانت المناسبة،الجينز مرشّح لكي يكون اللباس.
ما سر هذا اللباس الذي قد يكون قديمه مرغوباً أكثر من جديده، ويتمسك به صاحبه كلما ازداد قِدماً حتى حدود المبالغة الغامضة في ذلك؟
ما هو هذا «اللباس الظاهرة» الذي تلبسه صبحاً أو مساءً، في الحر والبرد..
لا ريب في أن أي إحصاء في أي فصل من السنة، وفي أي ساعة من اليوم، سوف يُثبت أنه اللباس الأكثر شيوعاً بلا منازع. وكم من منتج في تاريخ الإنسانية حقق هذا الانتشار والرّواج الكاسح؟
إنه محاك من خيوط «الجوت» التي تجمع نعومة الملمس إلى القدرة على مقاومة العوامل المؤثرة في الأقمشة الأخرى. وبات متوافراً بأنسجة مختلفة السماكة، ما يجعله قابلاً للارتداء صيفاً وشتاءً، حتى يمكن تشبيهه إلى حدٍّ ما بجدران الطين في البيوت القديمة، دافئة في الشتاء وباردة صيفاً. كما أن لونه الكحلي القاتم أو الأزرق الحالم يجعله سهل التماشي مع معظم ألوان قطع الملابس الأخرى. فزرقته تبرز بقوة أمام العين، ولكنها تتسم بحياد خاص يجعلها قابلة للتناغم مع باقي الملابس مهما كان لونها أو شكلها. إنه على بساطته الشديدة، يبقى واحداً من أضخم ابتكارات الحياة في العصر الحديث وأكثرها رواجاً، ويستحق التوقف أمامه.

لكل شيء بداية... عبارة بديهية مثل الكلام الذي قاله دكتور واطسون لصديقه شرلوك هولمز. ومع هذا فثمة أمور تبدو من الرسوخ ما يوحي إلى المرء أنها بلا بداية معروفة. إنها وجدت هكذا، ربما بصدفة من الصدف. من هذه الأمور سروال «الجينز»..

ولكن لسروال الجينز حكاية... وهي حكاية طويلة، لها بداية وإن كان يصعب اليوم أن تقول إن لها نهاية... فالجينز، شكلاً وقماشاً تغلغل في ثنايا كل ما له علاقة بالحياة اليومية، حتى صار أسلوب حياة.. بل أسلوب حيوات عديدة، إذ كان عليه في البداية أن يكون قوياً وديمقراطياً وللعمال الفقراء، فصار منذ ما لا يقل عن ربع قرن، وفي العالم كله، متعة للأغنياء يتباهون بها وبسعرها الباهظ. فكيف حدث هذا الانقلاب؟

البداية عند رجل واحد

للبدء بالقصة حسبنا أن نذكر اسم ليفي شتراوس، الذي لا تزال تحمله حتى اليوم، وربما زمناً طويلاً مقبلاً، أشهر السراويل، وغير السراويل، الجينز. هذا الرجل، دخل اسمه عالم الخلود بفضل نوع من القماش، وعقل تجاري واعٍ، فكان هو «المكتشف» الأول لسروال الجينز، ولن نقول المخترع الأول، لأن سر مكانة هذا السروال في قماشه. وكان قماشه مجرد بضاعة آتية من إيطاليا: أقمشة مجهزة لتتحول إلى خيام، لا سراويل. وفي ذلك التحول سرّ ليفي شتراوس وقيمة ما فعل.

فمن هو ليفي شتراوس هذا؟ من هو الرجل الذي حفزه حسّه التجاري ذات يوم من العام 1850م.، ليبتكر سروالاً، باعت شركته منه في قرن ونصف القرن، حتى اليوم، أكثر من مليار قطعة، إذا لم نذكر سوى السراويل؟

مثل الجميع في أمريكا (عدا الهنود الحمر)، أتى ليفي شتراوس من الخارج. من بافاريا في ألمانيا، حيث ولد العام 1829م. وحين بلغ الرابعة عشرة، هاجرت عائلته إلى الولايات المتحدة، بحثاً عن وضع



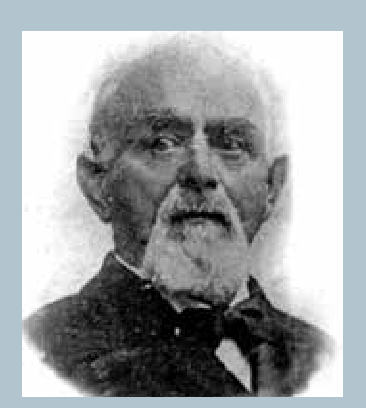
ليفي شتراوس







عمال المناجم



الخياط جاكوب دبليو ديفيس

أفضل. وأقامت أسرة شتراوس في مدينة لويزفيل بولاية كنتاكي بعض الوقت، ثم نزحت بعدئذٍ إلى نيويورك. وهناك، مثل ألوف غيرهم من أبناء الطبقة المتوسطة والدنيا، عاش ذوو ليفي شتراوس من تجارة القماش، عيشاً متواضعاً للغاية. كانت تلك سنوات الرواد، وكان في وسع كل ذي عقل مبتكر ونشاط يومي أن يكسب عيشاً وثروة إن عرف كيف يشتغل. وسرعان ما أحرز آل شتراوس نجاحاً متواضعاً بفضل قماش كانت تستورده من ألمانيا وإيطاليا وتبيعه في حاضرة العالم الجديد، ولا سيما في الحي الألماني. غير أن ذلك الحيز الجغرافي لم يكن من شأنه أن يرضي الشاب ليفي، الذي كان تجاوز العشرين. ففي اجتماع عائلي لدرس سبل إحراز مزيد من النجاح والغنى، تحدث المجتمعون عما يحدث في المركز الثاني في أمريكا: كاليفورنيا، حيث كان الباحثون عن الذهب يتجهون ألوفاً خلف ألوف لينشئوا مجتمعاً جديداً ويكسبوا ثروات جديدة. وإزاء استعراض الوضع قال ليفي لأخويه الأكبرين جوناس ولويس: «أعطوني القماش وسأذهب إلى كاليفورنيا».

طلب عمال المناجم

كانت تلك هي البداية الحقيقية. فبعد أسابيع قليلة، كان ليفي ينزل من باخرة ركاب في مرفأ سان فرانسيسكو، بصحبة مئات الباحثين عن الذهب. أما هو فكان محملاً بالأقمشة، أو ما كان بقي له منها، ذلك أن صاحبنا، بذكائه الموروث من أسرته، باع وهو بعد على ظهر الباخرة، معظم ما كان لديه من قماش صوف وقطن. أما ما بقي لديه فلفائف قماش سميك أزرق اللون، مصنوع في الأصل لصنع الخيام. وكان القماش مستورداً من مدينة جنوى (جينز في اللفظ الإنجليزي آنذاك). وسار صاحبنا ليفي، وهو يحمل لفائف القماش الباقية لديه ضمن قافلة باحثين عن الذهب، واتجه إلى مناطق الداخل، دون أن يدرك آنذاك أنه بدوره، اكتشف «الذهب» من غير أن يتجشم عناء دخول أي منجم. كان همّه أن يغري أي تاجر بشراء ما لديه من قماش، لكي يطلب بعدئذٍ من أخويه أن يرسلا إليه حمولة جديدة.

وصل ليفي إلى مدينة سكرامنتو، حيث التقى جماعة من عمال المناجم. وسألهم من فوره: «هل يهمكم شراء قماش لصنع



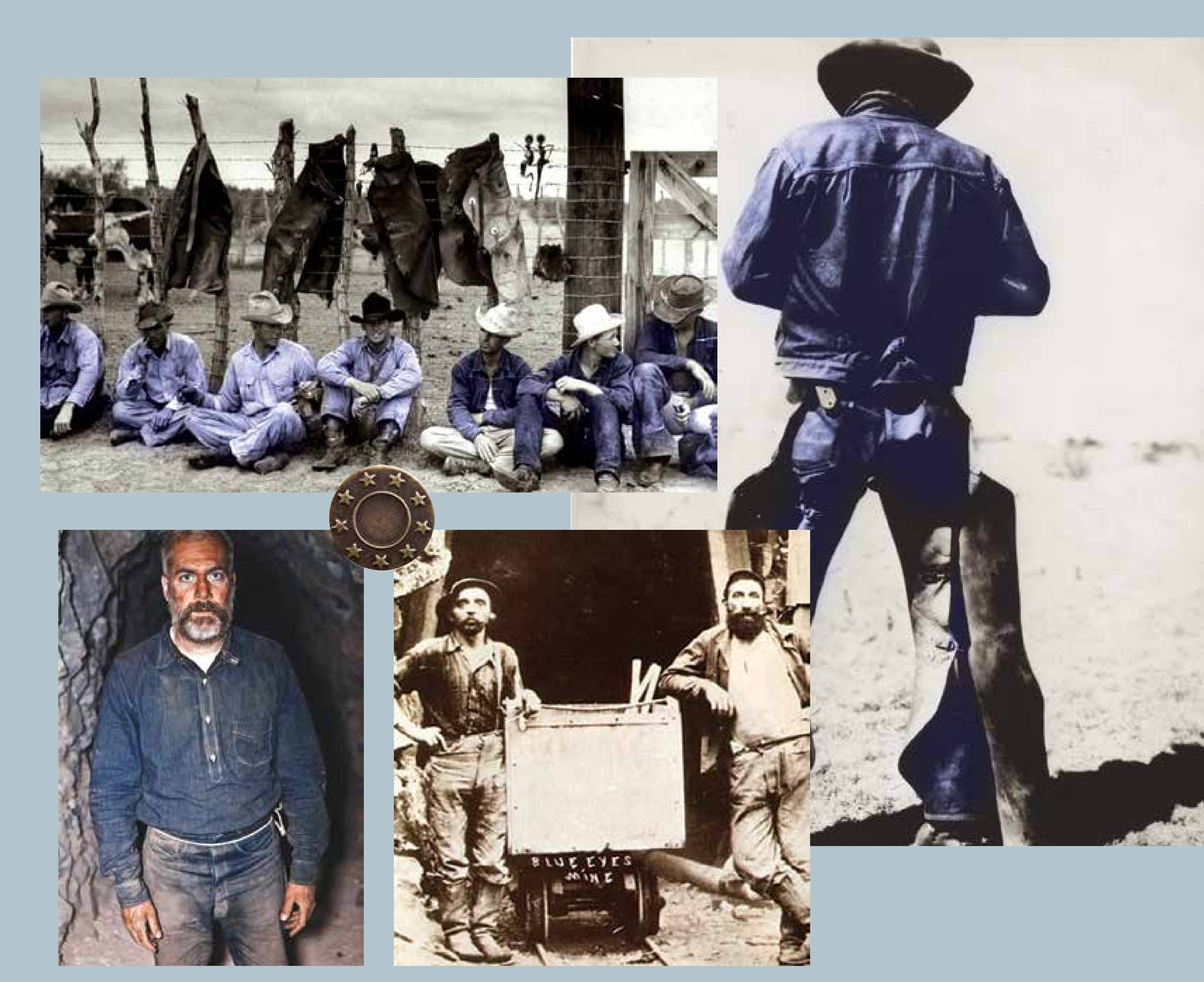


الخيام؟» كان الجواب حاسماً: «لا.. بل يهمنا الحصول على قماش متين نصنع منها سراويل قوية، لا تهترئ في أيام قليلة من العمل والزحف الشاقين في التراب وبين الصخور. سراويل يمكن لنسائنا أن يغسلنها دون أن تتمزق فوراً. ولا تكلفنا مالاً كثيراً». ما إن سمع ليفي هذا حتى أضاءت الفكرة في رأسه: هذا القماش الآتي من جنوى سيتحول إلى سراويل.

هنا ظهر اسم شخص تجاهله التاريخ تجاهلاً شبه تام، إنه اسم الخياط جاكوب دبليو ديفيس، الذي كان أول خياط في التاريخ يخيط «بلو جينز». كان الأول لكن ذلك لم يفده كثيراً، عكس ما كان من نصيب ليفي شتراوس. فمنذ أن بدأ ديفيس يخيط أول سروال من هذا النوع وحتى يومنا هذا، أُهمل اسمه ولم يَبْقَ سوى اسم «ليفي شتراوس».

طبعاً، في ذلك الحين كان ليفي يعرف أنه أحرز نجاحاً... وسيحرز مزيداً، لكنه لم يكن في وسعه أبداً أن يتصور مداه. كل ما في الأمر أنه، في ذلك الحين، راح يجول في مدن «الغرب» وقراه ، يسجل الطلب، مئات وألوفاً، ليصنع سراويله في محترفه الصغير الذي أنشأه في سان فرانسيسكو. وبعد حين، عجزت جنوى الإيطالية عن تلبية كل طلب صاحبنا من قماش، ومعها مدينة نيم الفرنسية، من شدة الإقبال على ملابسه.

وما كان على ليفي شتراوس إلا أن يسجل الطلب ويراكم الثروة، وقد نسي تماماً أنه إذا كان العقل الأول في ذلك المشروع، لإدراكه قوة القماش ومتانته، فإن الخياطة المزدوجة للحوافي والجيوب، كانت ذات فضل كبير في النجاح. ولم تكن هذه الخياطة من بنات فكر ليفي ولا حتى من بنات فكر خياطه الأول ديفيس، بل ابتكار شخص عادي، كان مجرد باحث عن الذهب وفضولي يدعى الكالي آيك، واتته الفكرة يوماً فأسرّ بها إلى ليفي.



جانب غير مشرق في صناعته





ما من شاب في العالم إلا ويعرف أن هناك «مستويات» عدة من الجينز الواحد، استناداً إلى بلد صناعته الذي قد يكون الصين أو فيتنام أو أمريكا مروراً بتايلند أو بنغلاديش.. وله أن يختار منها ما يريد، من دون التوقف على ما يخبئه انتشار هذه الصناعة من مشارق الأرض إلى مغاربها.

في شهر أبريل من عام 2013م، أدَّى انهيار مصنع للملابس في بنغلادش على مَنْ فيه إلى مقتل 1127 شخصاً، وإصابة نحو 2000 بجروح مختلفة. وكانت الكارثة ذات حجم جذب أنظار العالم إلى واقع حال صناعة الملابس في دول جنوب آسيا، بما فيها صناعة الجينز، لتكشف التحقيقات عن وقائع وأرقام مخيفة ومحزنة.

فمنذ خمسينيات القرن الماضي، عندما بدأت الملابس الجاهزة بالرواج في أوروبا، التفت التجار الغربيون صوب آسيا، وبشكل خاص صوب الصين للتصنيع بالجملة فيها والاستفادة من رخص تكلفة اليد العاملة هناك مقارنة بأوروبا. ومن الصين طغت بقعة الزيت في صناعة الملابس لتشمل فيتنام وتايلند والهند وبنغلادش، وهذه الأخيرة صدَّرت في العام الماضي وحده ستة مليارات قطعة ملابس مختلفة.

حياة العامل تتوقف على 15 سنتاً أمريكياً

فيما يتعلَّق بالجينز تحديداً، يقول أصحاب المصانع إن مكوناته هي ذات تكلفة موحدة تقريباً في الصين وأمريكا وباقي دول العالم. أما الفارق الكبير فيكمن في الأجور المدفوعة للخياطة. إذ إن عامل (أو عاملة) الخياطة في بنغلادش يتقاضى 50 دولاراً في الشهر، وفي فيتنام 100 دولار، وفي الصين ارتفع إلى 235 دولاراً، في حين أنه يصل في ولاية أوكلاهوما الأمريكية إلى 1440 دولاراً وفي كاليفورنيا إلى 1800 دولار.

وفسَّر أصحاب مصانع خياطة الجينز في بنغلادش لتلفزيون «بلومبرغ» الأحوال المزرية والخطرة على السلامة والصحة في مصانعهم بقولهم إنهم يتقاضون 75 سنتاً أمريكياً على خياطة السروال الواحد. وأشاروا إلى أن الدراسات أكدت أنه فيما لو قبل الزبائن (أصحاب الماركات وتجار الجملة) رفع هذا السعر إلى 90 سنتاً، لتمكَّنت المصانع من تأمين بيئة عمل آمنة وسليمة. ولكن هؤلاء يصرّون على أن تبقى تكلفة الخياطة عند أدنى حدٍّ ممكن. الأمر الذي أقرَّ بصحته التجار. ولكنهم أضافوا أن الطلب على تصنيع الجينز يتم بشكل «وحدات» تتألف كل منها من 100 ألف سروال. أي إن كل وحدة ستكلفهم مبلغاً إضافياً قدره 15 ألف دولار، وأن المليون سروال (وهو رقم شبه عادي) سيكلِّف 150 ألف دولار إضافية.

إلا أن واحداً من أقبح الوجوه التي تكشفت عنها صناعة الجينز في آسيا، هو في الفضيحة التي انفجرت في الهند عام 2010م، عندما كشف صحافيون أن مصنعاً ينتج سراويل لصالح ماركة معروفة عالمياً، يفرض على عماله العمل لمدة 16 ساعة يومياً، مقابل 40 سنتاً أمريكياً، أي 12 دولاراً في الشهر. الأمر الذي دفع الشركة العالمية إلى إصدار بيان تقول فيه إنها تحرص على «تصنيع منتجاتها وفق مقاييسها وشروطها»، وأنها ستعالج هذه القضية. ولم يسمع أحد لاحقاً بأية تطورات طرأت على ذلك، حتى عام 2013م، عندما أعلنت الشركة نفسها أنها ستتعاون مع عشرين شركة أخرى لتفتيش المصانع المتعاقدة معها في بنغلادش للاطلاع على ظروفها، وكان ذلك عقب انهيار المصنع الكبير الذي أشرنا إليه.



أساطير متحف

في العام 1873م، وبعد عشرين عاماً من بداية «الجينز» و«الدينيم»، حصل ليفي شتراوس أخيراً على براءة الاختراع باسمه. وكان من شروط البراءة أن يواصل الرجل بيع السروال بدولار. فهل علينا أن نقارن ذلك بما يحدث اليوم حين تباع سراويل جينز من علامات تجارية عالمية، بسعر قد يصل إلى ألف دولار؟!

قبل أن تصل الأمور إلى هذا الحدّ، كان على سروال «الجينز» أن يواصل رحلة نجاحه، فيتحول من ذخر للباحثين عن الذهب، إلى زي لرعاة البقر، ثم إلى رداء رسمي لجنود الشمال، كما تدل سراويل لا تزال معروضة حتى اليوم في جناح خاص في متحف سميثسونيان في واشنطن، إلى جانب بعض أثمن القطع المتعلقة بتاريخ الولايات المتحدة وأساطيرها. ذلك أن الجينز سرعان ما دخل من باب الأسطورة والتاريخ في آنٍ. وحسبنا هنا أن نتذكر كتابي جون دوس باسوس وجون شناينبك وما جاء فيهما عن تلك السراويل، في بعض أكثر الروايات ارتباطاً بالأسطورة الأمريكية والحلم الأمريكي.

ولقد عاش ليفي حتى بداية القرن العشرين. فمات عام 1902م. ثرياً في سان فرانسيسكو، قبل أن يخطر في باله أن سرواله سيصبح جزءاً من ثقافة، ويحدث تبدلاً أساسياً في الذهنية العامة. ولا نخالنا مغالين إن قلنا هذا. فالقرن العشرون، كما كان حافلاً بالأساطير الثقافية العديدة والمتشعبة، عرف كيف يجعل «الجينز» واحدة من أساطيره، ولا سيما مع خروج أمريكا نفسها إلى العالم. وقد يصح هنا أن نقفز مباشرة إلى الأربعينيات من القرن العشرين، لنرى كيف وصل «الجينز» إلى أوروبا، بعدما كان سمة أساسية من سمات الفقر، منذ انهيار سوق مال نيويورك والركود الاقتصادي الأمريكي. وصل السروال إلى أوروبا، أولاً إلى إيطاليا، مع الجنود الأمريكيين الذين كانوا يرتدونه. وبهذا اكتشف الأوروبيون سروالاً، لم يدركوا أن أصله عندهم، مع «العلكة» (اللبان) و«الكوكا كولا» والسوبرماركت، وزمن سبق الهمبرغر.

رفيق التحول في العمارة والفن

العالم كان مستعداً لاستقباله

منذ العقد الثاني من القرن العشرين، ظهر في أوروبا ميل واضح إلى «التبسيط» في كل ما ينتجه الإنسان، تماشياً مع متطلبات الحياة في المدن الصناعية، وحتى مع فلسفة الصناعة نفسها. ففي الفن التشكيلي ظهر التجريد، وفي العمارة ظهرت لأول مرة المباني الخالية من أية زخارف، الأمر نفسه ينطبق على صناعة المفروشات والأدوات المنزلية وكل مستلزمات الحياة اليومية. وتعزَّز هذا الميل إلى تبسيط كل شيء بفعل الحربين العالميتين اللتين تركتا خلفهما الكثير من الفقراء المضطرين إلى العمل، وفي الوقت نفسه إلى الاقتصاد في مصاريفهم على المظاهر الباذخة. في ذلك الوقت بالذات، أي في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية أطلَّ الجينز برأسه في أوروبا، وكانت أوروبا مستعدة تماماً لاستقباله.





كان في أوروبا آنذاك عدد من دور الأزياء الشهيرة التي عملت على تبسيط الملابس حتى أقصى حدٍّ ممكن، وانتصرت للطابع العملي والمريح على حساب مقاييس الأناقة التقليدية كثيرة الحشو بعناصر لا لزوم لها، ومن أشهر هذه الدور دار «شانيل» التي كانت رائدة وطليعية في هذا التطوير.

ولكن تطور تصميم الأزياء هذا كان مؤشراً على تطور الحاجات العامة أكثر مما كان موجهاً إلى تلبيتها. فالملابس الجاهزة كانت شبه غير معروفة آنذاك. وبالتالي فإن خياطة الملابس بقيت غير قادرة على تلبية رغبات الناس في تخفيض مصاريفها. فاتجهت أنظار الفقراء وأبناء الطبقات الدنيا إلى هذا السروال الجاهز والمتين والرخيص.. ولهذا ارتبط سروال الجينز في أولى إطلالاته خلال تلك الفترة بالطبقات الاجتماعية الدنيا، قبل أن ينجح في اكتساح العالم خلال النصف الثاني من القرن.

ويعزو علماء الاجتماع مراحل النجاح وأسبابها إلى حركات الشبيبة التي سيطرت على الأفق الاجتماعي في النصف الثاني من القرن العشرين. بل إنهم يقسمون هذا الحيز الزمني قسمين: قبل العام 1970م وبعده. خلال القسم الأول، كان ارتداء الجينز مقتصراً على شرائح اجتماعية معيَّنة، لكنه في الوقت نفسه أصبح واحدة من علامات تزيين الطليعة الثقافية، التي رأت فيه تخلصاً منطقياً من ضغط السراويل المنمقة التي تحتاج إلى عناية وكي دائمين.

في ذلك الحين لم تكن الشبيبة قد «اكتشفته» بعد. كان «الجينز» في حاجة إلى أن يشاهد عبر الشاشة الكبيرة يرتديه جيمس دين ومارلون براندو وإلفيس برسلي، ثم فرق الروك الإنجليزية، حتى تتنبه الشبيبة في أوروبا، ثم في العالم كله إليه. وما إن أطل القسم الثاني من سنوات القرن العشرين الأخيرة، حتى تحوّل الجينز في العالم كله، من مجرد سروال، أو سترة أو أي شيء آخر، إلى علامة على نزعة طليعية. عاد ما كان أسطورة ليتحول من جديد إلى جزء من الحياة اليومية، إلى جزء من حرية الفرد في مواجهة المجتمع. لا حرية الحركة فقط بل تحرر العقل أيضاً. وإذا كان علينا أن نصل إلى خاتمة الحكاية، فالحكاية لم تنته بعد، ويمكننا الحديث عمَّا صارت إليه الحكاية الآن، وهذا أمر يدخل في نطاق ما يمكن لعلم الاجتماع، لا تاريخ الأزياء، أن يدرسه.

في كتابه شبه المنسي اليوم «نحو التحرر»، يتحدث عالم الاجتماع الألماني الأمريكي هربرت ماركوزه، الذي يُعد من أبرز المفكرين الذين درسوا وحللوا حركات الشبيبة العالمية في الستينيات من القرن الماضي، مفسراً كيف استوعب سادة العالم وسادة الشركات هذه الحركات، وكيف تمكنت الشركات والمؤسسات والأنظمة المهيمنة من استيعاب الفنون وأفكار التمرد الطليعية وإعادة توظيفها، حتى فقدت جوهرها وبقي شكلها. فضرب أمثلة من لوحات أندي دارهول



إلى سان فرانسيسكو، محملاً قماشاً لا يعرف ماذا يعمل به أو من سوف يشتريه: فهي بعدما كانت اعتراضاً على المجتمع ورهافته الكاذبة، صارت اليوم جزءاً من هذا المجتمع. جزءاً من كماليات هذا المجتمع وأساطيره، حتى وإن بدت للوهلة الأولى ديمقراطية، إذ يرتديها الغني والفقير في الوقت نفسه. فالحقيقة أن ليفي شتراوس، الراحل سعيداً بأفكاره وثروته، قبل مئة عام ونيّف، ما كان ليتصور أبداً في حياته أن سروالاً يحمل اسمه سوف يباع ذات يوم بما يساوي دخل عائلة متوسطة، شهراً في بلد متواضع، من دون ذكر سراويل «جينز» تطرز بالجواهر، وتباع بسعر يناسب اسم العلامة التجارية، لا نوع القماش ومتانته. وقد وصل الأمر إلى بيع أحد نماذجه المصوغة عام 1880م، بمبلغ 46,532 دولاراً في صفقة على شبكة التجارة الإلكترونية.

والسوريالية وما إلى ذلك... وصولاً إلى أغاني البيتلز، التي صارت جزءاً من أرقام أعمال تقدر بالمليارات، وكانت نهضت في الأصل اعتراضاً على هذه الثروات التي تجمعها أيدٍ قليلة. والمؤكد أن هذا التحليل النافذ، وإن كان يبدو خارج إطار الدارج في زمننا هذا، يصح على سراويل ذلك الشاب الذكي الذي انتقل ذات يوم من نيويورك

ولكن هذه المغالاة نفسها في السعر، لن تكون أبداً قادرة على محو الأسطورة، طالما وجد في طول العالم وعرضه ألوف المصانع تنتج كل يوم ملايين السراويل وغير السراويل، تباع بسعر يراوح حقاً، وحتى اليوم، بين دولار أو دولارين، شغل تايوان، وألف وألفين من الدولارات للقطعة الواحدة!

لغز الجيب الصغير.. وابتكار الجيبين الأماميين

فوق الجيب الأيمن من كل سروال جينز يوجد جيب صغير، غير مستخدم عملياً لأي شيء. ولكنه هناك «لزوم ما لا يلزم».

وفي البحث عن أصل هذا الجيب تبيَّن أنه كان في ثمانينيات القرن التاسع عشر أكبر بقليل مما هو عليه اليوم، وأن ليفي شتراوس أضافه إلى التصميم لأن رعاة البقر كانوا يربطون الساعات التي يحملونها بسلاسل إلى سراويلهم ويخبئون الساعة تحت الحزام، فكان هذا الجيب الصغير لوضع الساعة فيه أولاً. ثم صار يُستعمل لوضع شذرات الذهب الصغيرة التي يعثر عليها الباحثون عن الذهب في كاليفورنيا. كما يُروى أن البعض كان يستخدم الجيب الصغير لحمل النقود الذهبية وفصلها عن الفضية الكبيرة والأشياء الأخرى التي كانت تُحمل في الجيب الكبير.

ولأن السراويل التقليدية في القرن التاسع عشر، كانت إما من دون جيوب، أو ذات جيب أو جيبين جانبيين، ابتكر ليفي شتراوس الجيبين الأماميين لحمل أشياء، قد تكون مهددة بالسقوط من الجيب الجانبي، خاصة عند ركوب الخيل. أما الجيبان الخلفيان، فواحد منهما كان للمنديل، والآخر للاستعمال الحر.

واليوم، لا يزال الجينز التقليدي بجيوبه التقليدية الخمسة. غير أن الاستعمالات تبدلت. فمن الجيوب الخلفية يستعمل الكثيرون واحدة فقط لحمل المحفظة، والجيبان الأماميان للنقود والمفاتيح (يضيف البعض إلى ذلك التلفون). أما الجيب الصغير فيبقى مجرد تذكار من القرن التاسع عشر.



أقمشة ممزقة على الموضة

من عناصر «التجديد» التي أضيفت إلى سراويل «الجينز» في السنوات الأخيرة، تجديد ما كان في إمكانه أبداً أن يخطر ببال ليفي شتراوس، يوم كان يضاعف إنتاج السراويل المصنوعة من ذلك القماش السميك، ليضرب سوقاً تزيد طلبها. لكن هذا التجديد يتلاءم مع سمعة قماش هذه السراويل منذ البداية بصفته قوياً صلباً. فمنذ عقد ونصف العقد من السنين، بدأت تظهر (موضة) السراويل الممزقة. حتى صار السروال الممزق، أو المشروخ هنا وهناك، يباع بأغلى من السروال غير الممزق، على أساس أن التمزيق يتطلب وقت الخياطين، ناهيك بأن التمزق نفسه يعد دليلاً على قوة القماش ومتانته. وهذا صحيح إذ إننا نعرف أن ليس ثمة في العالم، إذا استثنينا قماش الجينز، أي قماش يخدش أو يمزق، ويبقى الخدش أو المزق في حدوده. فأي شرخ في القماش يزداد اتساعاً من فوره ليشمل قطعة القماش كلها. أما قماش الجينز فعسير جداً على أي شرخ. ومن هنا انتشرت هذه الدُرجة، ولا تزال حتى الآن، وصار الخياطون يتفننون في أماكن التمزيق، إلى درجة صار معها ارتداء سروال جينز ممزق، دليلاً على الطليعية وربما الثراء أيضاً!

عند حدود الاحترام

رغم شيوعه، لم يستطع سروال الجينز أن يتجاوز بعض الخطوط الحمراء التي تصده في بعض الظروف والمناسبات، وفي كل مجتمعات العالم تقريباً.

فبسبب خطابه الذي يقول بالبساطة والتواضع، واللامبالاة إذا كان السروال معتقاً أو ممزقاً، يصبح ارتداء الجينز غير مستحب (أو حتى غير مقبول بتاتاً) في المناسبات التي تشكِّل فيها اللامبالاة إهانة، مثل اللقاءات الرسمية وحفلات الأعراس والمآتم ولقاءات الشخصيات المهمة. فإذا كان مقبولاً أن يتقدَّم شاب إلى وظيفة معيَّنة وهو يرتدي سروال جينز شبه جديد وحسن الصُنع، فمن غير المقبول بتاتاً أن يرتدي سروالاً من الجينز الممزق عندما يكون على موعد مسبق مع مديره، مهما غلا ثمن هذا السروال.

فحُسن المظهر وفق المقاييس التقليدية لا يزال قيمة تفرض نفسها على مناسبات عديدة، حيث لا مكان للجينز.. وفي ذلك رسم للحدود ما بين المجالات التي يمكن تقبل البساطة واللامبالاة فيها من جهة، وتلك التي تصبح فيها البساطة إما تعبيراً عن قلة الاحترام، وإما مجرد ادعاء بساطة.

فصحيح أن بعض رؤساء الجمهوريات ظهروا أمام عدسات التصوير بسراويل الجينز (كان أولهم الرئيس الأمريكي جيمي كارتر)، ولكن علينا أن نتذكر أن حراسهم وخدمهم لم يظهروا يوماً إلا ببذلاتهم الرسمية وربطات العنق. فالمسألة مسألة تراتبية، لم يتمكن الجينز إلى الآن من تحطيمها.

الجينز في البلاد العربية

دخل الجينز إلى البلاد العربية من بوابة بيروت، وتحديداً من محيط الجامعة الأمريكية فيها. وتاريخ هذا الدخول موثق بدقة.

فقد اكتشف سكان بيروت هذا السروال عقب الإنزال البحري الأمريكي في بيروت إبان أحداث عام 1958م. ورافق هذا ظهور الأحذية الرياضية الخاصة بلعبة كرة السلة، التي لم يعد انتعالها مقتصراً على مزاولي الرياضة، إنما أمسى يحل تدريجاً محل الأحذية العادية لدى فئات الشباب.

وقد خطرت فكرة الاتجار بسراويل الجينز يوم لاحظ أحد أبناء آل الخوري، حين كان يرتاد ملاعب الجامعة الأمريكية، شباناً يزاولون بعض ضروب الرياضة وهم يرتدون هذا الزي. وبعد اطلاعه في المجلات على شؤون هذا الزي وشجونه، لم يتأخر والد الشاب عن الأخذ بفكرة ولده، القائلة إنه يمكن الاتجار به، على الرغم من المجازفة الكبيرة. ذاك أن هذا الزي، إضافة إلى كونه جديداً، فهو غامض الهوية بين الألبسة، أي إنه لا يَدرُج في أي باب من أبوابها المعروفة، فهو بهذا خارج التصنيف التقليدي.

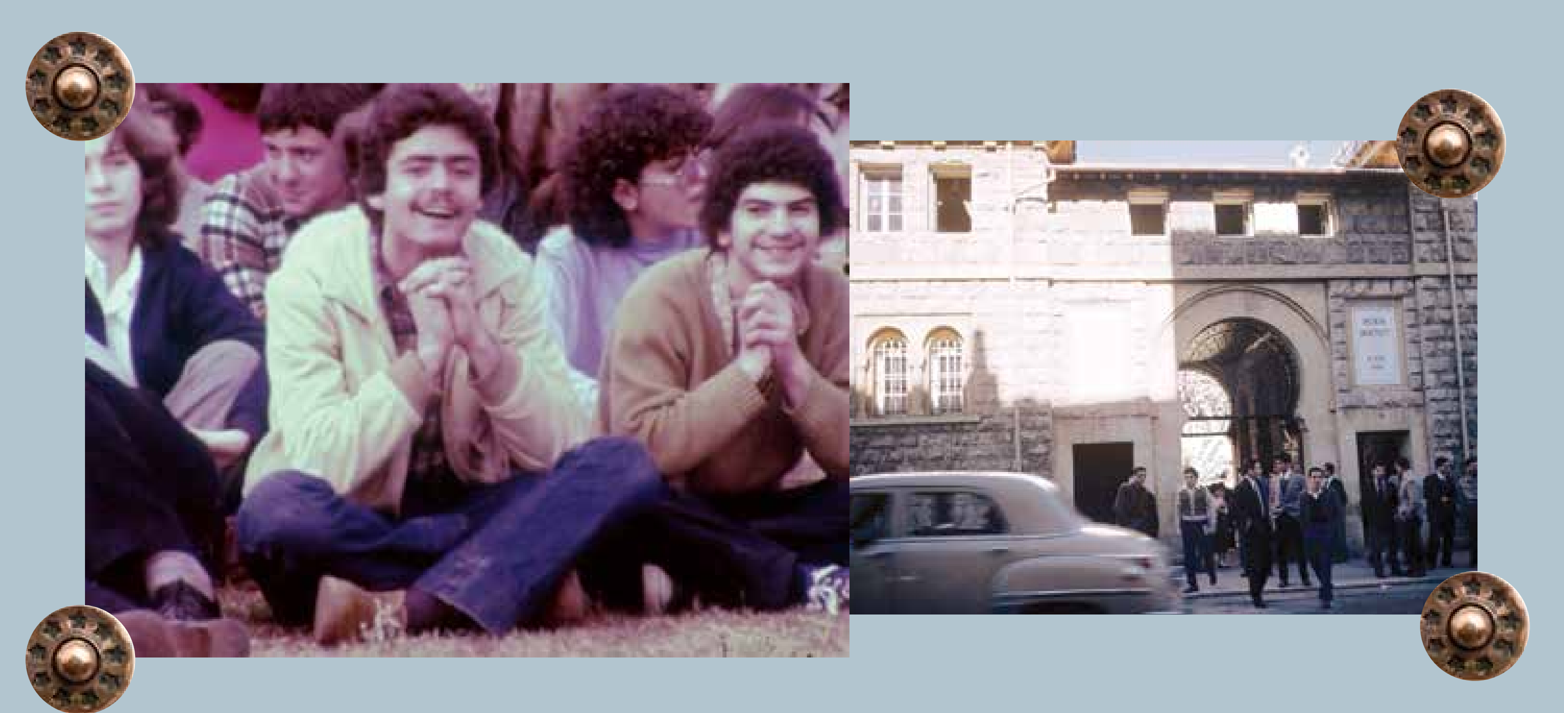
كانت الجامعة الأمريكية المعبر الأول الذي عبر منه هذا الزي إلى المدينة وسوقها. وبهذه الصفة لم يسلك المسار الذي سلكه في أمريكا، حيث تحوّل من زي للعمال في بدايته ليصبح فيما بعد زياً للمثقفين، بل ربما يمكن القول إنه سلك المسار الذي عرفته أوروبا على هذا الصعيد.

وشاع الجينز في لبنان عند فئات جديدة. فإذا كان في بدايته مقتصراً على فئات الشبان من الذكور الذين لم تكن أعمارهم تتجاوز عشرين سنة، أي ما يمكن تبويبه في أولى سنوات الدراسة الجامعية، فالملاحظ أن الفتيات لم يتأخرن عن التهافت عليه بعد مدة قصيرة، أي بدءاً من أواسط الستينيّات. غير أن التهافت هذا الذي ظل في الحقيقة، محدوداً إلى حدٍّ ما، لم يؤدِّ إلى صنع زي خاص بهن، زي «يحترم» خصوصيتهن.

لكن الجديد على هذا الصعيد، ظهر يوم بدأت الفتيات ارتداء هذا الزي متعدد الألوان، فصرت ترى فيه الأخضر والأسود وأحياناً الأحمر. وفي بداية السبعينيّات، ومن أجل الترويج للجينز لدى فئات عمرية أكبر، كتب صاحب محلات خوري لافتة علقها عند مدخل محله: «للأهل والأولاد». وكان طبيعياً أن يرافق هذا الأمر شكلٌ جديد من الجينز غير شكله التقليدي المعروف. وأهم ما حدث على هذا الصعيد اعتماد «الغمزات» في خياطة خصر الجينز، وجعل جيبه شبيهاً بجيب السروال الرجالي العادي، أي على الجانبين، بدلاً من أن يكون من الأمام عند الزنار. غير أن التحول هذا وإن لعب دوراً في الترويج للزي الجديد لدى هذه الفئة، إلا أن الجينز ظل عند هذه الفئة زياً خاصاً بعطلة نهاية الأسبوع، ذاك أن النظرة إليه لم تخرج عن كونه زياً يتميز بالخفة، إن لم نقل عدم لياقته.

ظلَّ الاسم التجاري الوحيد في السوق ذلك المسمى «ليفايز» الذي وفّر ثلاثة طرز (موديلات) فقط، أشهرها طراز 501 الشهير.

لم يطرأ جديد على التحوُّل الذي ذكرنا حتى بداية الثمانينيّات، فخلال تلك السنوات تحوَّل الجينز من الشكل التقليدي إلى الشكل المسمى «فاشن» (Fashion). ويبدو أن الانتقال هذا لم يكن ممكناً لولا دخول الجينز الأوروبي إلى السوق. وشهدت تلك المرحلة، على ما يبدو، انقلاباً فعلياً في هوية زبائن هذا الزي. فبعدما كانت نسبة





مبيعه لدى الشبان هي العليا، تساوت النسبة لدى الشابات مع الشبان، فأصبح لدى عديد منهن جزءاً من خزانة ملابسهن لمجموعة الجينز، ولم تعد النظرة إليه خاصة فيما يتعلق بهن، نظرة يشوبها كثير من الالتباس، إن لم نقل من عدم اللياقة.

في أي حال، أمسى هذا كله من الماضي، إذ إن هذا الزي أضحى بدءاً منذ أواسط التسعينيّات زياً يُعد زبائنه من الجنس اللطيف الكثرة الواضحة. وفي هذا يُجمع أصحاب محالّ الجينز على أن مبيعاتهم لدى الفتيات تفوق سبعين في المئة، شأن نسب مبيعه في العالم.

ويلاحظ على هذا الصعيد أن الجينز الذي يصنع في الصين وبعض بلدان شرق آسيا، صار يستأثر تقريباً بثمانين في المئة من البضاعة في السوق. أما الباقي فيصنع في فرنسا أو إيطاليا.

ومن بيروت انطلق الجينز إلى باقي الدول العربية ولا سيما سوريا والعراق ودول الخليج العربي. فكثير من طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت كانوا من أبناء هذه الدول، ولعبوا دوراً كبيراً في تعريف هذا الزي في بلدانهم التي كانت في البدء ترتاب حياله. إذ كان هذا الزي عندها رمزاً من رموز طريقة العيش الأمريكية. ولكنها، تدريجاً بدأت بالارتياح إليه، أو لنقل باتت تقابله بلا مبالاة، إن كان ارتداؤه لا يخرق في بعض الظروف القيم الاجتماعية المتعارف عليها.

والواقع، أن المواقف الاجتماعية من ارتداء سراويل الجينز ليس واحداً في العالم. والشرائح الاجتماعية المحافظة في البلدان العربية، ليست وحدها في التطلع إلى سروال «الجينز» بعدم الرضا. ففي كثير من الدول الآسيوية مثل الهند والنيبال وميانمار، ظل ارتداء الفتيات لسراويل «الجينز» غير مقبول اجتماعياً حتى سنوات قليلة خلت، ولربما لا تزال المدن الصغيرة والأرياف على نظرتها المتحفظة هذه حتى يومنا هذا.

حجم صناعته وسوقه

تستهلك أمريكا الشمالية نحو 39 في المئة من إنتاج العالم من سراويل الجينز، تليها أوروبا الغربية بنحو 10 في المئة ومن ثم اليابان وكوريا 10 في المئة وباقي دول العالم 31 في المئة. ولأن اليد العاملة الآسيوية هي أرخص تكلفة بشكل ملحوظ مما هي عليه في أوروبا أو أمريكا، كثرت في العقود الثلاثة الأخيرة مصانع الجينز في الصين وتايلند وسريلانكا والهند، التي تصدِّر منتجاتها إلى البلدان الغربية. ويقول مدير مصنع براندكس، الذي بلغت تكلفة إنشائه 10 ملايين دولار، في سريلانكا، أن مصنعه ينتج ثلاثة ملايين سروال جينز في السنة، وإن العمال يستغرقون حوالي 13 دقيقة لتفصيل وخياطة السروال الواحد ذي الخمسة جيوب، وتبلغ تكلفته الأصلية نحو 6 دولارات، أما زبائنه الذين يضعون اسمهم على المنتج فيبيعونه في أوروبا وأمريكا بنحو مئة دولار. وفي العام 2005م، صرف الأمريكيون 15 مليار دولار على شراء سراويل الجينز. ولكن هذا الرقم انخفض في عام 2011م إلى 13.8 مليار دولار. والسبب في ذلك ظهور منافس جديد لسروال الجينز، ألا وهو السروال الرياضي الفضفاض للرجال، وسروال «اليوغا» الضيِّق للنساء.. فهل بدأ الجينز يفقد زعامته على عرش الملابس الشعبية في العالم؟

الجينز في الغناء الغربي

بدأ الجينز يغزو فنّ الغناء من باب التمثيل أولاً، إذ ظهر إلفيس بريسلي في الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي، وهو يلبس الجينز في فلم: «جيلهاوس روك» (رقص الروك في السجن). ثم ظهر به مارلون براندو في فلم: «وايلد وان» (المتوحش)، وجيمس دين في «متمرد بلا سبب»، ومارلين مونرو في «صراع في الليل». وظهر مغنو فرقة «رولنغ ستونز» على غلاف إحدى إسطواناتهم وهم يرتدون الجينز. غير أن الجينز صار موضوعاً يتناوله شعر الأغاني نفسها. فغنى نيل يونغ: شفينوس في البلوجينز»، و«سروال جينز أسود»، و«بلوجين بوب». وغنت مادونا: «يمكن للبنات أن يلبسن الجينز». وغنّى نيل دايموند: «في البلو جينز إلى الأبد». ويرى إلتون جون أن موسيقى «البلوز» التي ظهرت في أواسط القرن الميلادي الماضي، في مدينة نيو أورليانز الأمريكية الجنوبية، إنما سميت «بلوز» لأن الموسيقيين والمغنين السمر كانوا يؤدونها وهم يلبسون سروال البلوجينز.

وصار الجينز مزاجاً في الغناء، فغنت جانيس جوبلين: «كنت أحس أنني باهتة مثل سروالي الجينز»، وهي أغنية كتبها معها الممثل كريس كريستفرسون. وغنت مليسا إثردج: «ثمة مزق في الجينز». وحين أراد المغني جون بون جوفي التعبير عن شعوره بالراحة قال في أغنيته: «مثل البلوجينز المفضل الممزق، ذلك الجلد الذي أسكنه مطمئناً». كذلك غنى إلتون جون لسيارته وكيف يحلم بسرواله «البلوجينز القديم». وتحدثت أغنية للورين هيل عن كتابة أسماء قدامى الأصدقاء بالحبر على البلوجينز. وذهب ديفيد بووي إلى حد تسمية الفتاة الفقيرة التي قابلها لتوه «بلو جينز».



بيت الشمس الشارقة (أو الطالعة)

«أنيمالز» 1964م:
هناك بيت في نيو أورليانز
يدعونه «الشمس الشارقة»
كان «خرابة» كثير من الأولاد الفقراء.
أعرف أنني واحد منهم.
أمي، كانت خيَّاطة،
خاطت لي سروالي «الجينز» الجديد.
أبي، كان رجلاً مقامراً
في حارات نيو أورليانز

فينوس، بالجينز الأزرق

جيمي كلانتون - 1962م:
إنها فينوس، بالجينز الأزرق
موناليزا، ذات خصلة كذيل المهر
تخطر، وتتكلم، كعمل فني
إنها الفتاة التي سلبت قلبي.
هذه الفينوس، خاصتي، بالجينز
الأزرق هي السندريللا التي أعشق
إنها أيضاً ملاكي الخاص جداً
إنها أسطورة مجسَّدة

بالجينز الأزرق، إلى الأبد

نيل دايموند - 1979م:
قد تتكلم النقود
لكنها لا تغني، ولا ترقص، ولا تمشي
وطالما كان بوسعي الاحتفاظ بك
هنا، معي،
فإني غالباً ما سأبقى مرتدياً الجينز
الأزرق، إلى الأبد.

السراويل القوية بين الفن والإعلان





بعد سنوات طويلة تجاهل فيها الفنانون سراويل «الجينز»، حتى وإن اعتادوا ارتداءها، أتت سنوات صخب الشباب، وصخب المثقفين منذ الستينيّات، لتلفت نظر الفنانين إلى مزاج التمرد الذي يمكن إسباغه على هذه السراويل ومرتديها. وهكذا لم يعد ارتداء سروال الجينز دليل ثورة شباب، في الأفلام السينمائية وفي الحياة الثقافية فقط، بل صار دارجاً عند الفتية أيضاً. وهكذا شاهدنا فنانين من طينة آندي دارهول يُلبسون أشخاص لوحاتهم تلك السراويل. ذلك قبل أن تدخل فنون الدعاية والإعلان هذا المجال، مستعيرة مواضيعها من لوحات كلاسيكية وأقل كلاسيكية، لبعض أهم الرسامين في تاريخ الفن التشكيلي، ومضيفة إلى أزياء أشخاص اللوحات، أو مغطية فيها بسراويل وسُتر من جينز. وعلى هذا النحو باتت لدينا لوحات، كانت مجرد لافتات دعائية في أول الأمر، ثم صارت معلقة في لوحات الأزياء والإعلان، يرتدي أشخاصها تلك السراويل وتوابعها: لوحة لديلاكروا، وأخرى لانغر، لوحة لجيريكو أو تمثال لمايكل أنجلو، وصولاً إلى الفنان الهولندي الكبير بيتر بروغل، الذي صار فلاحوه الذين يخلدون إلى الراحة بعض الشيء، من مرتدي سراويل الجينز..الزرق.

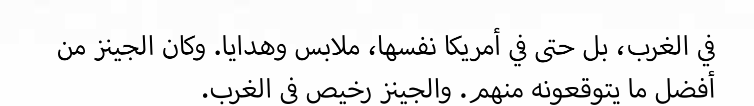


الجينز... سلاح في الحرب الباردة

بعد الحرب العالمية الثانية، انقسمت ألمانيا قسمين: غربياً تحتله الدول الغربية الثلاث التي انتصرت في الحرب، وهي الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا، وشرقياً يحتله الاتحاد السوفياتي. وفي سنة 1948م، أخذت الأمور تتحسن على الصعيد الاقتصادي في القسم الغربي الذي سمي: جمهورية ألمانيا الاتحادية، فيما كان الوضع الاقتصادي في شرق البلاد الذي سمي: جمهورية ألمانيا الديمقراطية، لا يزال سيئاً. وكان لهذا سبب واضح، هو أن الولايات المتحدة التي لم تمسسها الحرب في أراضيها خرجت مزدهرة بصناعة نشطتها الحرب ولم تلحق بها الضرر الذي شهدته الأرض الأوروبية. ولم تكن الولايات المتحدة بحاجة إلى الألمان ولا إلى مصانعهم ولا حتى إلى التعويض الذي تقرر أن تدفعه ألمانيا للحلفاء. أما الاتحاد السوفياتي الذي خرج مثخناً بالخراب، فبدأ ينقل كثيراً من المصانع من الجانب الشرقي من ألمانيا إلى أرضه، بدل التعويض الذي أقر له بموجب تسوية ما بعد الحرب. وسرعان ما أخذ هذا الفرق يظهر في مستوى عيش الجانبين الغربي والشرقي في ألمانيا، التي كان كثير من العائلات منقسماً فيها بين الدولتين، ولا سيما في برلين التي كانت جزيرة في قلب ألمانيا الشرقية، وكانت منقسمة هي نفسها إلى أربعة قطاعات: أمريكي وفرنسي وبريطاني وسوفياتي.

من داخل برلين الغربية هذه، التي تتوسط ألمانيا الشرقية، ومن داخل أرض ألمانيا الغربية المتاخمة، كان الاتصال بين الألمان في البدء ميسوراً، لكنه أخذ يضيق شيئاً فشيئاً، مع بداية الحرب الباردة. وحين بدأ فارق مستوى العيش بين الألمانيتين يتسع، كانت الإذاعة تتولى إخبار الشرقيين ببعض ما حُظر عليهم سماعه من تقدم عند أقربائهم في الغرب. وصدف أن ظهرت التلفزة في ذلك الوقت. كانت الرقابة الشيوعية الصارمة قادرة على منع المنشورات والصحف والكتب الآتية من الغرب، أما موجات الأثير والبث التلفزيوني فكان أمرهما صعباً. كان الشيوعيون المتشددون والحزبيون التقليديون ينظرون نظرة ارتياب إلى الملابس التي تروج في الغرب وتستهوي أذواق الشرقيين، ولا سيما الشبان. وكانوا يصنفون هذا التأثر على أنه «تأثر بنمط حياة بورجوازية فاسدة»، ويخشون أشدّ الخشية أن يتسع التأثر من الجانب الاجتماعي إلى الاقتصاد والسياسة. وحين أخذ الخياطون في ألمانيا الشرقية، يسايرون ذوق زبائنهم من الشبان الراغبين في شيء مما يروج في الغرب، مثل الجينز، كانت الجودة أدنى مرتبة والوقت متأخراً سنوات عن زمن بدء دروج الملابس في الغرب. وفي سنة 1961م، شيَّد الشيوعيون جدار برلين، الذي أحاط برلين الغربية في بعض المناطق التي تتلاصق فيها الأحياء، مع أحياء برلين الشرقية. لكن هذا الجدار الذي قلَّص احتمال الانتقال أو الهرب من شرق المدينة إلى غربها، لم يستطع بالطبع أن يمنع انتقال البث الإذاعي والتلفزيوني، من غرب المدينة إلى شرقها. كانت ألمانيا حالة خاصة في الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، لأن الألمان الشرقيين لغتهم الأم هي نفسها لغة الألمان الغربيين، بل إن التماس بين الجانبين كان وثيقاً يصعب فكاكه. ولم تكن حالة تشيكوسلوفاكيا أو المجر أو بولندا، وهي دول انتقلت إلى المعسكر الشرقي موحدة غير مقسومة. كانت اللغة والصلات الاجتماعية الألمانية حصان طروادة الذي اقتحم المعسكر الشرقي، من بوابة براندنبرغ، رمز الحدود بين البرلينين، في جادة أونتر دن ليندن.

في هذه الحقبة من التاريخ بالضبط، كان الجينز ينتشر بين الشبان في الغرب انتشار النار في الهشيم، ولم تكن ثورة الطلاب في فرنسا سنة 1968م تدفع في اتجاه معاكس، بل إنها فاقمت الأمور لدى العقائديين المتشددين في المعسكر الشرقي. وعندما جاءت السبعينيات من القرن الماضي، كانت موضة الجينز والقمصان البسيطة قد غلبت على لباس الشبان في ألمانيا الغربية. وساعد في ذلك اشتداد الوضوح في تباين الوضعين على الصعيد الاقتصادي، في كل من جانبي البلاد. إذ كان النجاح بادياً في الغرب، ولم يكن ما في الشرق يشبهه على الإطلاق. أما التأثير فلم يكن يأتي من البث الإذاعي والتلفزيوني من ألمانيا الغربية وحدها. فبعد اعتماد فيلي برانت، مستشار ألمانيا الغربية آنذاك، سياسة الانفتاح على ألمانيا الشرقية، أخذ الأولاد والشبان الشرقيون يتلقون من أفراد عائلاتهم المقيمين



في الغرب، بل حتى في أمريكا نفسها، ملابس وهدايا. وكان الجينز من أفضل ما يتوقعونه منهم. والجينز رخيص في الغرب.

أضف إلى ذلك أن الرقابة نفسها التي أنشأتها الحكومة الألمانية الشرقية الشيوعية على المطبوعات، لم يكن ثمة ما يوازيها في مجال مراقبة البث الإذاعي أو التلفزيوني. ومع أن المعسكرين كانا يشوِّشان بعضهما على إذاعات البعض الآخر في خضم الحرب الباردة، إلا أن الغريب في هذه الحرب أن ألمانيا الشرقية لم تشوش على البث الإذاعي والتلفزيوني الآتي من ألمانيا الغربية. صحيح أن الاستماع إلى إذاعات الغرب ومشاهدة تلفزيونات الجانب الآخر، كان ممنوعاً في القانون الألماني الشيوعي آنذاك، إلا أن الجميع كان يستمع إلى هذه الإذاعات. وكان البث التلفزيوني من برلين الغربية ومن ألمانيا الغربية نفسها يصل إلى معظم أراضي ألمانيا الشرقية، عدا قليل من المناطق التي كانت جبال تحجب عنها هذا البث. ويرى عدد كبير من علماء الاجتماع أن مشاهدة أسلوب العيش الغربي، ولا سيما اللباس والرفاه، كان أشد أثراً في الشرقيين من الدعاية السياسية المباشرة التي كان الغرب يبثها عبر وسائل إعلامه الكثيرة والمتنوعة. ولم يقتصر ما يشاهده الألمان الشرقيون في هذه الوسائل على ما ينتجه إخوانهم الغربيون، بل إن نسبة كبيرة من المادة التي كانت تصل إليهم كانت مادة أمريكية وأفلام «كاوبوي» أو أفلاماً اجتماعية تلفت الانتباه بما يرتدي فيها الأبطال من ملابس على الطريقة الأمريكية. والجينز في الطليعة. ويعرف الذين تسنى لهم السفر إلى البلاد الشيوعية في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، أيام النظام الشيوعي، أن الملابس كانت على رأس قائمة السلع المشتهاة في تلك البلاد آنذاك، حتى إن الطلاب الذين كانوا يهرّبون سراويل الجينز أو جوارب النساء «النايلون» كانوا يسدِّدون جزءاً ملحوظاً من نفقاتهم هناك من بيع هذه المهربات التي كانت غير قانونية. وأما السكان في تلك البلاد، فكانوا يدخرون ما أمكنهم من عملة صعبة، بل صعبة جداً، لشراء هذه الملابس المهربة، وفي طليعتها سلاح خطير في الحرب الباردة اسمه... الجينز.



الجينز والبيئة

على الرغم من أن سروال الجينز الأزرق يُغسل أقل من غيره من الملابس كالقمصان البيضاء وما شابهها، إذ تقدِّر الأوساط العلمية أن معدَّل ما يستهلكه سروال الجينز الواحد من الماء على مدى عمره يبلغ نحو 3479 ليتراً، ويشمل هذا الرقم الماء اللازم لري قطنه وتصنيعه وغسله. غير أن قضية الجينز على المستوى البيئي تصبح أخطر من ذلك، عندما يتعلق الأمر بسراويل الجينز ذات المظهر المستعمل. فلإضفاء هذا المظهر، تستخدم المصانع مجموعة من المواد الكيميائية مثل برمنغانات البوتاسيوم، والهيبوكلورايت والفينول وبعض الراتنجات والأحماض. ومن وسائل تعتيق الجينز غسله بالرمال أو حكه بورق الزجاج.. واستنشاق غبار هذه المواد يمكنه أن يؤدي إلى مرض رئوي يُعرف باسم «سيليكوزيس». وتذكر موسوعة ويكيبيديا أن مصانع الجينز في تركيا، شهدت خمسة آلاف إصابة بهذا المرض، انتهت 46 منها إلى الوفاة. مما حمل عدداً من شركات تصنيع الجينز على إعلان امتناعها عن استخدام ورق الزجاج والرمال في «تعتيق» الجينز.

في أواخر عام 2010م، أجرت منظمة «غرين بيس آسيا» استطلاعاً لأحوال منطقة كسينتا في الصين، التي تُعد عاصمة صناعة الجينز في العالم بإنتاجها البالغ 260 مليون سروال سنوياً، أي ما يوازي 60 في المئة من إجمالي إنتاج الجينز في الصين و40 في المئة مما يباع في أمريكا خلال العام الواحد.

وجاء في التقرير الذي نشرته المنظمة على موقعها أن تحليل 21 عينة من مياه هذه المنطقة، أكد احتوائها على خمس معادن ثقيلة هي الكادميوم، الكروميوم، الزئبق، الرصاص، والنحاس، المتأتية من صناعة قماش الجينز وصباغته وتعتيقه. وأن نسبة الكادميوم بلغت في إحدى العينات 128 مرة الحد الأقصى المسموح به في الصين.

ونسب التقرير إلى شهود عيان وعمال أن معظم العاملين في صباغ الجينز وغسله، يعانون من متاعب صحية متفاوتة الخطورة، ينتهي كثير منها بأورام رئوية قاتلة، وفقدان القدرة على الإنجاب.
ويُروى أن شركة «ليفايز» طرحت مؤخراً جينزاً صديقاً للبيئة، مصنوعاً من القطن العضوي (غير النباتي)، ومصبوغاً بمواد صباغة طبيعية، ويحمل زراً على الوسط من قوقعة جوز الهند الطبيعي، والورقة التي تحمل السعر مصنوعة من الورق المعاد تدويره، ومطبوع عليها بحبر من الصويا (الصديقة للبيئة)، أما السعر المطبوع على الورقة فهو بكل بساطة 250 دولاراً.

دليل المعلِّمين لمحتوى القافلة

هذه الصفحة هي للتفاعل مع قطاع المعلِّمين والمعلِّمات ومساعدتهم على تلخيص أبرز موضوعات القافلة في إصدارها الجديد، وتقريبها إلى مفهوم وأذهان الفئات العمرية المختلفة للطلاب والطالبات.



طاقة

الطاقة الشمسية

تحت سقفها الواقعي

د. أشرف فقيه

الطاقة الشمسية تحت سقفها الواقعي

مقابل الصورة التي يرسمها البعض للطاقة الشمسية على أنها الحل لكل المشكلات، يتضمَّن هذا البحث الإشارة إلى أن التقدم في استثمار هذه الطاقة النظيفة لا يزال يواجه صعاباً اقتصادية وتقنية وحتى بيئية، رغم كل ما تم إنجازه حتى الآن على هذا الصعيد.



نقاش مفتوح

جلسة نقاش على هامش معرض جدة للكتاب

معارض الكتاب ومتاعبها

معارض الكتاب ومتاعبه

في جلسة النقاش هذه مجموعة آراء حول أهمية معارض الكتاب ودورها. ويمكن لبعض الآراء أن تكون منطلقات لاستكشاف أهمية هذه المعارض بالنسبة للطلاب.



الملف:

الجينز الأزرق

ملف الجينز

سروال الجينز هو واحد من أشهر الابتكارات في العصر الحديث. فلماذا راج بهذا الشكل؟ وما هو تاريخ صناعته؟ وماذا تخبِّئ صناعته خلفها؟



أدب وفنون

صالح حيدو يجمعه ويدوِّنه

الأدب الشعبي عند الأكراد

مهوش أحمد

الأدب الشعبي عند الأكراد

عرض لهذا الأدب المجاور للأدب العربي وخصوصياته، يشجِّع على مزيد من الاطلاع على ألوانه التي تتراوح بين الحكايات والأشعار والأحاجي.

القافلة

Al-Qafilah Bi-Monthly Cultural Magazine

A Saudi Aramco Publication

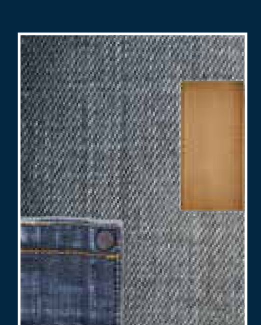
January - February 2016

Volume 65 - Issue 1

P. O. Box 1389 Dhahran 31311

Kingdom of Saudi Arabia

www.saudiaramco.com





Saudi Aramco website



Qafilah website